الاستلزامات التخاطبية للأساليب البلاغية
دراسة وصفية تحليلية

تأليف الدكتور/ خالد محمد علي عون المشرقي

١٤٤٣/٩/٤

المقدمة

تعمل هذه الدراسة علي ربط البلاغة، بالمناهج اللسانية الحديثة وعلى وجه الخصوص المنهج التداولي بغية التجديد في الدرس البلاغي، وسهولة التعاطي معه من قبل المتلقي والدارسين على وجه الخصوص، وذلك من خلال التجسير والمقاربة بين ما طرحه البلاغيون القدماء من جهة وما طرحه الفكر التداولي الحديث من رؤى ومقترحات تتعلق بتحليل النصوص ووصف الاستلزامات التخاطبية الناتجة عنها؛ ويأتي ذلك من إيمان عميق لدى الباحث بأن ما قدّمه البلاغيون القدماء من جهود تتعلق بتحليل الأساليب واشتقاق المعاني الضمنية منها لا تختلف كثيرا عمّا قدّمته التداولية الحديثة.

وعليه ستحاول الدراسة الحالية العمل على ظاهرة الاستلزام التخاطبي كونها ظاهرة لصيقة باللغة الطبيعية، وتؤسس للتواصل غير المعلن، أو الضمني على اعتبار أن المتكلم يقول كلاما ويقصد غيره، والمخاطب يسمع كلاما ويفهم غيره؛ إذ من المعلوم أن أي خطاب إذا روعي مقام إنجازه؛ فإنه لا يقتصر على المعاني الظاهرة التي تبرز من خلال ألفاظه وتعابيره، بل هناك العديد من المعاني الضمنية التي تشتق منه ويستدل عليها من خلال الظروف المحيطة بالنص التي منها السياق ومقام الخطاب والمتكلم وغيرها من الملابسات التي تكتنف النص، وذلك هو ما اشتغل عليه البلاغيون القدماء خصوص في قسم المعاني.

فمثلا عندما يقول المتكلم: (الجوُّ حار)؛ فإن هذه الجملة قد تكون في سياق ما وصفا لحالة الجوّ، وقد تكون في سياق آخر طلبا غير مباشر لفتح النافذة إذا كانت النافذة مغلقة، وقد تكون في سياق آخر لوما وسخرية من المتكلم للمخاطب؛ كونه يرتدي ملابس خفيفة والجو شديد

البرودة، وما من شك أن هذا الاختلاف، والتعدد للمعني الضمني للجملة السابقة مرده إلى التأويل الذي يتغير بتغير السياق ومقصدية الخطاب والخلفيات المعرفية.

إن أهمية دراسة الاستلزامات التخاطبية في الأساليب البلاغية كما هو مبسوط في هذه الدراسة تكمن في كونها حاولت التجسير والتقريب بين ما طرحته التداولية من مقترحات وآراء تتعلق بتحليل النص ووصف الاستلزامات التخاطبية الناتجة عنه، وبين ما طرحه الفكر البلاغي القديم من إسهامات تتعلق بهذا الشأن؛ فهي وإن استفادت من الطرح التداولي الشيء الكثير، لكنها بالمقابل لم تذهب بعيدا عن الطرح البلاغي القديم المتعلق بتحليل النص وآلياته في الانتقال من الغرض الأصلي إلى الغرض الفرعي أو البلاغي كما سماه البلاغيون القدامى؛ لما لهذه الآلية من خصوصية تتعلق بتحليل الأساليب العربية، كونها مبنية على شروط خاصة بكل ظاهرة من الظواهر البلاغية عن طريقها يتم الاستدلال على الخرق، والانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني بمعونة السياق وقرائنه، وقد هدفت الدراسة من خلال ذلك إلى الآتي:

التدليل على أن المعطيات والمقترحات التي قدمها البلاغيون العرب من أمثال الجرجاني والسكاكي والمتعلقة بكيفية الانتقال من الغرض الأصلي للخطاب إلى الغرض البلاغي، أو الانتقال من المعاني الصريحة إلى المعاني المستلزمة؛ لا تختلف كثيرا عمّا قدّمه غرايس وغيره من التداوليين من مبادئ ومقترحات تتعلق بوصف الاستلزام التخاطبي.

الإثبات والتدليل على أن التراث الثقافي، والمعرفي وخصوصا البلاغة يمثل مجالا خصبا ورافدا قويا للدرس التداولي يتعين الاستفادة من معطياته ومخرجاته، والعمل على تطويرها وإثرائها بالرؤى والمقترحات المستفادة من الدرس اللساني الحديث.

الرد الضمني على الذين ينفون وجود أي وعي بالاستلزامات التخاطبية عند القدماء من البلاغيين، وذلك من خلال ما ستتناوله الدراسة من طروحات وآراء عند البلاغيين القدامى تتعلق بهذا الشأن وعلى وجه الخصوص طروحات عبد القاهر والسكاكي المتعلقة بوصف الاستلزامات التخاطبية أو الانتقال من الغرض الأصلي إلى الغرض المجازي كما يسميه السكاكي.

ومن أجل تحقيق الأهداف السابقة؛ فقد اعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على تحليل نماذج من النصوص داخل الظاهرة البلاغية، ووصف الاستلزامات التخاطبية الناتجة عنها وكيفية حدوثها وفق آلية مقترحة، ومستفادة يتم من خلالها الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني عبر الخرق باعتباره مقدمة استدلالية على وجود الاستلزام في النص المدروس وعلى ضوء ذلك يتم الانتقال إلى المعنى الضمني وتحديده بمعونة القرائن والملابسات المحيط بالنص والتي منها السياق والمقصدية والمقام وغير ذلك من القرائن.

ويتم ذلك من خلال عرض النص على شروط إجرائه المستنبطة من خلال تعريف الظاهرة البلاغية المدروسة، أو كلام البلاغيين عنها، أو من خلال علم النحو على اعتبار أن البلاغة مكملة لعلم النحو؛ كونها تخصصت بدراسة الأساليب التي خرجت عن مقتضى الظاهر والدلالة التي تنتج عن السياق ومن خلال الظروف المحيطة بالنص.

هذا وقد اقتصرت الدراسة على توصيف الاستلزامات التخاطبية في الأساليب البلاغية التي درسها البلاغيون في قسم المعاني، غير أنها عملت على دمج بعض الظواهر المتشابهة والتي كانت متفرقة عند البلاغيين منعا للتكرار والإطالة، ومن ذلك أنها جعلت الذكر والحذف والإيجاز والإطناب تحت مسمى واحد هو: الإيجاز والإطناب على اعتبار أن الحذف نوع من أنواع الإيجاز، وكذلك الذكر هو في الحقيقة إطناب؛ كونه يشكل خرقا لقاعدة من قواعد مبدأ الأسلوب وهي قاعدة الإيجاز، وتخلصت من بعض التفريعات داخل الظاهرة ذاتها؛ لأنها رأت أن

مجال دراستها النحو وليس البلاغة؛ كالحديث عن الغرض من التعريف بالضمير والعَلَمية وغيرها. بالمقابل عملت الدراسة على إثراء الظاهرة قيد الدراسة بالشواهد والأمثلة من القرآن والشعر وعملت على تحليلها ووصف الاستلزامات التخاطبية الناتج عنها.

وعليه فقد تكونت الدراسة من أربعة فصول، ومقدمة وخاتمة؛ حيث خصص الفصل الأول للحديث عن مصطلحات الدراسة، والفصل الثاني تناول الاستلزام التخاطبي للخبر والإنشاء، واحتوى على مبحثين المبحث الأول: الخبر واستلزاماته التخاطبية، والثاني بعنوان: الإنشاء واستلزاماته التخاطبية، أما الفصل الثالث؛ فقد خصص للحديث عن الاستلزامات التخاطبية لخصائص التركيب، واحتوى على اربعة مباحث هي على التوالي: الاستلزامات التخاطبية للتقديم والتأخير، والاستلزامات التخاطبية للتنكير، والاستلزامات التخاطبية للتعريف، والاستلزامات التخاطبية للتعبير بالاسم والفعل، وتناول الفصل الرابع الاستلزامات التخاطبية لطرائق التعبير عن المعنى واشتمل على المباحث الآتية: المبحث الأول: الإيجاز واستلزاماته التخاطبية. والمبحث الثاني: الإطناب واستلزاماته التخاطبية، والمبحث الثالث: القصر واستلزاماته التخاطبية والمبحث الرابع تناول الفصل والوصل واستلزاماتهما التخاطبية.

هذا فإن وفقت؛ فالتوفيق من الله جل وعلا، وإن زللت؛ فالزلل من الشيطان ومن نفسي وحسبي أني اجتهدت لأنال رضا الله ثم رضا المتلقي. أسأل من الله الكريم المنان أن يجعل عملي هذا خالصا لوجهه الكريم، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العلمين والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين محمد بن عبد الله الطاهر الأمين.

خالد محمد علي عون

٩/٤/ ١٤٤٣هـ – ٥/٤/٢٠٢٢م

الفصل الأول

الاستلزام التخاطبي مدخل نظري

المبحث الأول

الاستلزام التخاطبي

(Conversational implicature)

وجدت فكرة الاستلزام التخاطبي في الفكر اللساني التداولي على يد العالم اللغوي غريس(Grice)؛ فمنذ ظهرت مقالة غريس(Grice) المنطق والتخاطب، والذي بحث فيها مجموعة من المعاني المختلفة في الكلام؛ ظهرت فكرة الاستلزام التخاطبي؛ فقد لاحظ أن بعض الأقوال تبلّغ أكثر مما تدل عليه مجموع الكلمات التي تكوّن الجملة، وعليه فرق بين ما يقال وما يقصد؛ فما يقال هو: ما يدل على معناه بظاهر لفظه، أما ما يقصد؛ فهو الذي يحتاج إلى إعمال الفكر لاستخراجه؛ لأن معناه مشتق من المعنى الأول[١].

وبذلك فإن الاستلزامات التخاطبية عند (غراس) هي تلك المعاني التي تفلت من شروط صدق الجملة، وهذه الاستلزامات تختلف باختلاف العامل الذي يحدثها؛ فهي إما أن تكون استلزامات تخاطبية وضعية إن كان العامل الذي يحدثها عاملا لغويا، أو استلزامات تخاطبية محادثية إن كان العامل الذي يحدثها عاملا غير لغوي؛ كتلك التي تنشأ من خلال مبادئ عامة مقترنة بالتواصل[٢].

ويختلف الاستلزام التخاطبي عن الدلالة الحرفية في أن الاستلزام ينشأ عن السياق وملابساته أما الدلالة الحرفية فتنشأ عن الألفاظ وتركيبها في الجملة؛ فإذا كانت الدلالة هي المعنى الناتج عن الجملة بمعزل عن السياق؛ فإن الاستلزامات التخاطبية هي: المعاني غير

---

(١) ينظر: محمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: /٣٣

(٢) ينظر: جاك موشلر– آن ريبو، القاموس الموسوعي للتداولية: /٢١٢

الصدقية للأقوال؛ أو المعنى التابع للدلالة الأصلية[٣]؛ لأن هذه المعاني ضمنية تفهم من خلال قرائن السياق وليس من خلال الألفاظ وتركيبها في الجملة.

ولتوضيح ذلك عن طريق المثال يمكن القول: عندما يقول المتكلم:(الحر شديد هنا)؛ فهذه العبارة لها معنيان: معنى صريح، ومعنى ضمني؛ المعنى الصريح، أو الحرفي هو: وصف أو إخبار بحالة الجو أنه شديد الحرارة، وهذا المعنى مأخوذ من دلالة الألفاظ ومن علاقتها مع بعظها داخل التركيب، غير أنها في ظروف معينة قد تستلزم معاني ضمنية أخرى غير التي دل عليها مضمونها القضوي؛ كطلب فتح النافذة إذا كان الجو حارا والنافذة مغلقة، أو طلب قفل النافذة إذا كان الجو باردا، أو السخرية من المخاطب إذا كان مرتديا ملابس خفيفة في وقت يكون فيه الجو شديد البرودة، وكل ما سبق يطلق عليه المعاني الضمنية، أو الاستلزامات التخاطبية التي استند المخاطب في الاستدلال عليها إلى معلومات سياقية، ومعلومات أخرى من خارج اللغة.

فالاستدلال الذي أفضى إلى تأويل الجملة السابقة(الحر شديد هنا) على أنها مرادفه لـ(افتح النافذة لو سمحت)؛ استند إلى معلومات ثلاث: معلومة معرفية (يستدعي الحر الشديد التهوية)، ومعلومة إدراكية (وجود نافذة في الغرفة مغلقة)، ومعلومة اجتماعية (مساواة المتكلم للمخاطب)[٤] وكذا بقية الاستدلالات التي استند إليها المتكلم في التوصل إلى أن الجو بارد أو أن المتكلم يسخر من المخاطب كلها استدلالات غير لغوية؛ لذلك وجد غرايس أن التأويل الدلالي

---

(٣) ينظر:ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي نموذجا، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان العربي، جامعة الحاج خضر، باتنة، كلية الآداب قسم اللغة العربية: /١٠٧

(٤) ينظر: أحمد المتوكل، الخطاب وخصائص الجملة العربية :/٥٥

للعبارات في اللغة العادية أمر متعذر إذا اكتفى المخاطب بالنظر إلى شكلها الظاهر فقط؛ لذلك اقترح عند تحليل العبارة في اللغة العادية مجموعة من الشروط تمثلت بالآتي: [٥]

- تحديد معنى الجملة المتلفظ بها من قبل المتكلم في علاقته بالمخاطب.
- المقام الذي تنجز فيه العبارة
- مبدأ التعاون

أنواع الاستلزامات التخاطبية:

تقسم الاستلزامات التخاطبية بحسب العامل الذي يحدثها، وكيفية حصولها والاستدلال عليها إلى استلزامات تخاطبية وضعية، واستلزامات تخاطبية غير وضعية، والاستلزامات التخاطبية غير الوضعية تنقسم بدورها إلى استلزامات محادثية، واستلزامات غير محادثية، وتنقسم الأخيرة إلى استلزامات محادثية معممة، واستلزامات محادثية مخصصة، وذلك على النحو الآتي[٦]:

الاستلزامات التخاطبية الوضعية ويقصد بها: الأقوال المضمرة التي تنشأ من خلال قادح لغوي في البنية السطحية؛ فمثلا إذا قال المتكلم: (جون إنجليزي إذن فهو شجاع)؛ استلزام ذلك أن جميع الإنجليز شجعان، وأن مصدر شجاعته هي: جنسيته، وهذا الاستلزام لم يقله المتكلم صراحة وإنما تولد بفعل (إذن)، وهو قادح لغوي في البنية السطحية؛ لذلك سماه غرايس استلزاما تخاطبيا وضعيا[٧].

---

(٥) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، مشورات الاختلاف، الرباط:/١٨

(٦) ينظر: جاك موشلر– آن ربيو القاموس الموسوعي للتداولية: /٢١٢

(٧) ينظر: المرجع السابق

أما الاستلزامات التخاطبية غير الوضعية؛ فهي التي لا تتقدح بفعل عامل لغوي في البنية السطحية، وإنما تتولد من خلال مبادئ عامة مقترنة بالتواصل والمعقولية كمبدأ التعاون عند غرايس[٨]، أو من المعنى الوضعي والمعارف الخلفية للمتحاورين.

عندما تخبر عن شخص يشتغل في مؤسسة مالية؛ فتقول: (فلان على علاقة جيدة بزملائه، ولم يزج به في السجن بعد)؛ فإن هذا القول يستلزم تخاطبيا أن سلوك هذا الشخص غير سوى، وهذا الاستلزام لم ينشأ من خلال البنية التركيبية للنص السابق، ولا بفعل عامل لغوي كما في المثال السابق، وإنما نشأ من خلال المعارف الخلفية للمتحاورين، وبفعل عوامل أخرى غير لغوية؛ لذلك كان الاستلزام في مثل هذه الحالة استلزاما تخاطبيا غير وضعي[٩]، وتنقسم الاستلزامات التخاطبية غير الوضعية إلى قسمين كبيرين هما:

١- **الاستلزامات التخاطبية غير المحادثية**، وهي تلك الاستلزامات التي تحتسب انطلاقا من المعنى الوضعي للكلمات، ومن المعارف الخلفية، وترتبط بحكم غير محادثية ذات طبيعة جمالية أو أخلاقية من ذلك حكمة(كن مؤدبا)عند غرايس، وهي حكم ليست كونية كحكم المحادثة وإنما هي قواعد خاصة بثقافة ما، ولا تحمل صفة الكونية، بل هي قواعد جمالية ترتبط بنظرية الوجوه؛ التي تنطلق من فرضية أن كل فرد يحرص قبل كل شيء في إطار التفاعل الاجتماعي على الحفاظ على ماء الوجه؛ فمن حيث المبدأ يجب على المتحاورين أن يحرص كل منهما على

---

(٨) ينص مبدأ التعاون على ما يلي: لتتناسب مساهمتك المحادثية مع ما هو مطلوب منك عند المستوى الذي تبلغه وعبر الغاية أو المنحى المقبول من التبادل الكلامي المحكي الذي تكون ملتزما فيه. (ينظر: كيربرايت- أوريكوني، المضمر: /٣٤٥)

(٩) ينظر: جاك موشلر- آن ريبو، القاموس الموسوعي للتداولية: /٢١٢

الحفاظ على ماء وجه الآخر؛ ولا يعرضه للخطر، وذلك ما يسمح بإقصاء مظاهر التأدب من صنف الاستلزامات الخطابية المحادثية(١٠).

٢- **الاستلزامات التخاطبية المحادثية**، وهي الاستلزامات التي لا تنقدح من خلال عامل لغوي، وإنما من خلال حكم المحادثة، وقانون التعاون والذي ينص على: أنه من المفترض أن يكون كل مشارك في عملية التبادل القولي متعاونا؛ بمعنى أن إسهامه يجب أن يكون وفق ما هو مطلوب منه(١١)، ووفق قوانين محترمة من قبل طرفي الحوار وأي خرق لهذه القوانين يؤدي إلى اختلال المعني، وهذه القوانين حددها غريس بأربعة مبادئ فرعية هي (١٢):

- **مبدأ الكم (Quantity):** وينص على أن تجعل إسهامك في الحوار بالقدر المطلوب دون أن تزيد عليه أو تنقص منه؛ فلو أن امرأة سألت طفلها هل نظفت أسنانك ونظفت غرفة نومك؛ فأجابها بقوله: نظفت إسناني وسكت عن الإجابة عن بقية السؤال يكون بذلك أخل بقاعدة الكم.
- **مبدأ الكيف (Quality):** لا تقل ما تعتقد أنه غير صحيح، ولا تقل ما ليس عندك دليل عليه؛ فلو أن معلما أخبر تلميذه بعد أن سلمه نتيجة الاختبار الذي أخفق فيها؛ فقال له: إن إجابتك مذهلة يكون المعلم من خلال الرد قد أخل بقاعدة الصدق.
- **مبدأ المناسبة (Relevance):** اجعل كلامك على علاقة مناسبة بالموضوع؛ فلو أن شخصا سأل أستاذا عن مستوى ابنه في مادة الرياضيات؛ فأجابه بالقول: إن ابنك لديه شغف بمادة التاريخ يكون الاستاذ بذلك قد خرق قاعدة المناسبة ؟

(١٠) ينظر : جاك موشلر- آن ريبو، القاموس الموسوعي: /٢٥٦، و كيربرات- أوريكوني، المضمر، تر/ريتا خاطر:/ ٤٠٨.

(١١) ينظر: جاك موشلر – آن ريبو، القاموسي الموسوعي للتداولية: / ٢٦٦

(١٢) ينظر: المرجع السابق، ومحمود نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي: /٣٤

- **مبدأ الطريقة (Manner):** كن واضحا ومحددا؛ فتجنب الغموض، وتجنب اللبس، وأوجز ورتب كلامك، فلو قلت: لمخاطبك اذهب إلى الغرفة الفلانية وأدخل المفتاح في خرم الباب ثم أدر المفتاح وافتح الغرفة ثم اذهب إلى الدولاب وافتحه ثم انظر إلى الرف وأتني بالورق الفلاني؛ فهنا حدث خرق نتج عنه عدم الإيجاز.

الاستلزامات الخطابية المعممة والمخصصة :تقسم الاستلزامات التي تتقدح من خلال حكم المحادثة إلى قسمين هما:

- **الاستلزامات المحادثية المخصصة:(particularized)** وهي التي ترتهن إلى السياق وتفترض التمكن من جملة من المعلومات التي تكون المعارف المشتركة[١٣]؛ أي أنه لا يحصل الاستدلال إلا استنادا إلى معرفتنا بالظروف والأحوال المخصوصة للخطاب.

أ- أين اختفت الحلوى؟.

ب- تبدو فرح في غاية السرور.

فإن إجابة (ب) عن سؤال (أ) تستلزم استلزاما محادثيا مخصصا أن (فرح) هي من أكلت الحلوى ويمكن القول: "إن كل المفاهيم الناشئة عن اعتبار مبدأ المناسبة هي مفاهيم مخصوصة لأنها لا تكون كذلك إلا بالنظر إلى الموضوع قيد الدراسة"[١٤].

- **الاستلزامات التخاطبية المعممة: (generalized)**، وهي تلك الاستلزامات التي لا ترتهن إلى السياق، وإنما ترتهن في حصولها إلى الوحدات اللغوية وحدها، ومن أمثلة ذلك (إنما) فهذه الكلمة دائما تستلزم الحصر وهي دلالة معممة لا تحتاج إلى السياق لبيان

---

(١٣) ينظر: المرجع السابق: /٢٠٧

(١٤) مُحَمَّد مُحَمَّد يونس، علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية، لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦م:/٢٢٦

دلالتها، ولأجل ارتباط هذا النوع من الاستلزام بشكل العبارة ومحتواها كان عرضة للالتباس بالاستلزامات الخطابية الوضعية[١٥] من أجل ذلك قدم (غرايس) مجموعة من المقاييس التي تفرق بين الاستلزامات التخاطبية الوضعية والاستلزامات التخاطبية غير الوضعية.

---

(١٥) ينظر: جاك موشلر- آن ريبو، القاموس الموسوعي للتداولية:/ ٢٠٧

مقاييس التميز بين الاستلزامات الخطابية:

قدم غرايس (Grice)١٩٧٥م في نهاية مقاله ستة مقاييس تمكن من التميز بين مختلف أنواع الاستلزامات الخطابية؛ فكانت على النحو الآتي[١٦]:

م	الاستلزامات الخطابية المحادثية	الاستلزامات الخطابية الوضعية
١-	قابلة للاحتساب	غير قابلة للاحتساب
٢-	قابلة للإلغاء	غير قابلة للإلغاء
٣-	غير قابلة للانفصال[١٧]	قابلة للانفصال
٤-	غير وضعية	وضعية
٥-	رهينة إلقاء القول	مستقلة عن إلقاء القول
٦-	غير محددة	محددة

١- **قابلية الاحتساب:** ويقصد به أن تحليل الاستلزامات المحادثية يقع بالاستناد إلى مبدأ التعاون والحكم المحادثية، أما الاستلزامات التخاطبية غير الوضعية؛ فتتقدح من خلال مؤشرات لفظية؛ فهي إذا غير قابلة للاحتساب.

٢- قابلية الإلغاء: يقصد به أن الاستلزامات المحادثية يمكن إلغاؤها دون أن يحدث تناقض في العبارة بعكس الاستلزامات التخاطبية الوضعية؛ فإن إلغاءها يحدث التناقض؛ فإذا قال المتكلم: حضر الأستاذ والطالب؛ فإن هذا القول –وفق حكمة الترتيب– يستلزم حضور

(١٦) ينظر: جاك موشلر–آن ريبو القاموس الموسوعي للتداولية: /٢٦٩

(١٧) الاستلزام الخطابي لا يكون قابلا للانفصال إذا كان قائما على معنى العبارة لا على شكلها (ينظر: المرجع السابق:/٢٧١)

الأستاذ أولا، غير أن هذا الاستلزام يمكن إلغاؤه بقول المتكلم –عقب حديثه–: وليس على هذا الترتيب قصدت؛ فهو إذا استلزام محادثي، بخلاف ما لو قال: حضر الأستاذ، فالطالب؛ إذ لا يمكنه أن يقول: وليس على هذا الترتيب قصد؛ لأن استلزام الترتيب ينقدح من خلال مؤشر الفاء التي تعني الترتيب والتعقيب؛ فهو إذا استلزام تخاطبي وضعي.

٣ –**قابلية الانفصال:** ويقصد به أن الاستلزامات التخاطبية المحادثية قائمة على معنى اللفظ لا على شكل العبارة؛ ففي سياقات محددة كالسخرية مثلا عندما يقول المتكلم للمخاطب: أنت عبقري؛ فإنه يستلزم استلزاما خطابيا محادثيا؛ أنت غبي.

٤–**عدم الوضعية:** بمعنى أن الاستلزامات المحادثية ليست جزءا من المعنى الوضعي للعبارة خلافا للاستلزامات التخاطبية الوضعية.

٥- **رهينة إلقاء القول:** وهذا المقياس ينسجم مع مقياس عدم الوضعية؛ فإذا كانت الاستلزامات المحادثية ليست جزءا من معنى القول؛ فإنه لا يمكن أن تنقدح إلا من التلفظ بعبارة ما في معنى ما.

٦–**عدم التحديد:** ويقصد به أن الاستلزامات المحادثية غير محددة في قول ما، فقد تستلزم عبارة ما أكثر من استلزام خطابي محادثي.

نقد مبدأ التعاون والتعديل عليه

لقد أثار مبدأ التعاون الذي اقترحه غرايس اهتمام العديد من الدراسات اللسانية التالية لـ(غرايس)، وفتح الباب على مصراعيه أمام العديد من الاعتراضات، و كان من ضمن هذه الاعتراضات: أن مبدأ التعاون والقواعد المتفرعة عنه لم أهتم بالجانب التبليغي من العملية التواصلية، ولكنه أهمل الجانب التأديبي والتهذيبي.

وكونه قد أشار إلى هذا الجانب بالقول: إن "هناك أنواعا شتى لقواعد أخرى جمالية واجتماعية وأخلاقية من قبيل كن مؤدبا" فهذا لم يكن كافيا في دفع هذا الاعتراض لكونه لم يقم لها كبير وزن(١٨)، وعلى إثر ذلك قدمت العديد من المبادئ التداولية ذكرها الدكتور طه عبد الرحمن(١٩) في كتابه التكوثر العقلي من ذلك:

مبدأ التأدب: الذي قدمته روبن لاكوف في مقالتها الشهيرة (منطق التأدب)، وينص هذ المبدأ على القول: لتكن مؤدبا ويتفرع هذا المبدأ إلى مجموعة من القواعد هي:

1- قاعدة التعفف ومقتضاها: لا تفرض نفسك على المخاطب

2- قاعدة التشكك ومقتضاها: لتجعل المخاطب يختار بنفسه

3- قاعدة التودد ومقتضاها : لتظهر الود لمخاطبك.

مبدأ التواجه: الذي قدمه (براون) و(ليفنسن) في دراستهما المشتركة (الكليات في الاستعمال اللغوي: ظاهرة التأدب)، وينص هذا المبدأ على: لتصن وجه غيرك، ويتفرع عن هذا المبدأ خمس قواعد يختار منها المتكلم ما يراه مناسبا لقوله وهذه القواعد هي:

1- أن يمتنع المتكلم عن إيراد القول المهدد.

2- أن يصرح بالقول المهدد من غير تعديل يخفف من وقعه التهديدي.

---

(١٨) ينظر: طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي أو اللسان والميزان: /٢٣٩، ٢٤٠

(١٩) ينظر: المرجع السابق

٣–أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الدافع.

٣– أن يصرح بالقول المهدد مع تعديل يدفع عن المستمع الإضرار بوجهه الجالب.

٤– أن يؤدي القول بطريق التعريض تاركا للمستمع أن يتخير إحدى معانيه المحتملة.

مبدأ التأدب الأقصى: الذي أورده ليتش وصاغه في صورتين هما: قلل من الكلام غير المؤدب– أكثر من الكلام المؤدب ويتفرع هذا المبدأ إلى القواعد الآتية:

1– قاعدة اللباقة والتي تنص على التقليل من خسارة الغير الإكثار من ربح الغير.

٢– قاعدة السخاء وتنص على الإقلال من ربح الذات والإكثار من خسارة الذات.

٣– قاعدة الاستحسان وتنص على الإقلال من ذم الغير والإكثار من مدح الغير.

٤– قاعدة التواضع وتنص على الإقلال من مدح الذات والإكثار من ذم الذات.

٥– قاعدة الاتفاق وتنص على الإقلال من اختلاف الذات والغير والإكثار من اتفاق الذات والغير.

6– قاعدة التعاطف وتنص على الإقلال من تنافر الذات والغير والإكثار من تعاطف الذات والغير.

مبدأ التصديق: أورده الدكتور طه عبد الرحمن[٢٠] وينص على: لا تقل لغيرك قولا لا يصدقه فعلك، ويتفرع عن هذا المبدأ مجموعة من القواعد نجدها عند الماوردي في كتابه أدب الدنيا والدين وهذه القواعد هي:

1– ينبغي للكلام أن يكون لدع يدعو إليه إما لجلب مصلح أو دفع مفسدة.

2– ينبغي للمتكلم أن يأتي به في موضعه ويتوخى به إصابة فرصته.

3– ينبغي أن يقتصر من الكلام على قدر حاجته.

4– يجب أن يتخير اللفظ الذي به يتكلم.

(٢٠) ينظر: المرجع السابق: /٢٤٠

وهذه القواعد تشمل القواعد المتفرعة عن مبدأ التعاون عدا قاعدة الصدق كما أن هناك قواعد أخرى تتصل بالجانب التعاملي متفرعة عن مبدأ التصديق أخذت من التراث الإسلامي كما يقول الدكتور طه عبد الرحمن وهذه القواعد هي:

1- قاعدة القصد وينص على لتتفقد قصدك في كل قول تلقي به لغيرك.

2- قاعدة الصدق وتنص عل لتكن صادقا في ما تنقله لغيرك.

3- قاعدة الإخلاص وتنص لتكن في توددك لغيرك متجردا من أغراضك.

ولو نظرنا إلى هذه القواعد سنجد أنها تتضمن ما تقرر في مبدأ التأدب ومبدأ التواجه مع احترازها عما وقعت تلك المبادئ من قصور [٢١].

(٢١) ينظر: المرجع السابق: /٢٤٠- ٢٥٠

الدلالة الحرفية والدلالة الاستلزامية

ميزت البلاغة القديمة منذ أرسطو بين الاستعمال الحرفي للغة والاستعمال غير الحرفي؛ فإذا قلنا: (القط فوق الحصير)؛ فإننا نكون قد استعملنا اللغة في معناها الحرفي، وتكون الدلالة حرفية، أما إذا قلنا– لشخص ما–: (غرفتك حضيرة أبقار)؛ فإننا بذلك استعملنا اللغة في الدلالة غير الحرفية، ويكون المعنى غرفتك متسخة، وغير مرتبة وهي دلالة غير حرفية[٢٢].

إن التواصل الخطابي بين البشر غالبا ما يحمل في طياته معان ضمنية، بل يمكن القول: إن أي تواصل يكون صريحا بشكل جزئي وضمنيا بشكل جزئي، وأي دلالة تنشأ لا بد وأن يكون في قسم منها معطيات ضمنية، وغالبا ما يكون نصيب الضمني أكبر من نصيب الحرفي سواء تعلق الأمر بالدلالة الحرفية، أو الدلالة الضمنية، أو بالإخباريات، أو برؤية للعالم يختص بها لسان معين؛ ذلك لأننا لا نقول كل شيء، كما أننا نحتاج إلى الدخول في محادثات اجتماعية كي ننتج دلالة من الدلالات؛ فإذا غاب هذا الضمني امتنع التواصل[٢٣].

من ثم تميز الأنحاء الوظيفية والتداولية بين قوتين إنشائيتين؛ قوة إنشائية حرفية مدلول عليها بصيغة العبارة؛ كالتنغيم والأداة والفعل، وقوة إنشائية مستلزمة متولدة عن السابقة وفقا لمقتضيات مقامية تداولية، وقد اصطلح على ظاهرة الانتقال من القوة الحرفية (ق (ح)) إلى القوة المستلزمة (ق (م)) بالاستلزام الحواري؛ ذلك لأن العبارة الواحدة مرشحة لحمل عدد من القوى

---

(٢٢) ينظر: آن ريبول، جاك موشلر، التداولية اليوم علم جديد للتواصل، تر، سيف الدين دغفوس، ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة:/١٨١، ١٨٢

(٢٣) ينظر: فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر، صابر حباشة، ط١,٢٠٠٧م:/١٤٤، ١٤٥

الإضافية عبر مسار التخاطب[٢٤]، ويتدرج الانتقال من المعنى الحرفي إلى المعنى الضمني وفق التالي: [٢٥]

- معالجة التعبير بصفته تعبيرا حرفيا
- التوصل إلى عدم حرفية التعبير
- اعتماد استراتيجية بديلة للوصول إلى الدلالة الضمنية أو المستلمة.

فعندما نقول– في سياق المدح–: فلان كثير الرماد فإن الدلالة تصبح غير مفهومة من خلال سياق المدح عندها يلجأ المخاطب إلى التأويل وذلك وفق الآتي:

قال المتكلم أن فلان كثير الرماد (فعل القول)

السياق سياق مدح بكثرة العطاء (قرائن السياق)

المخاطب يعرف أن كثرة الرماد ليست مما يمتدح به (خلفية معرفية)

ما عرضه المتكلم غير ملائم (مبدأ الملاءمة)

ما دام المتكلم على عقد التعاون فهو يقصد شيئا آخر (مبدأ التعاون)

ما دام السياق سياق مدح فلابد من وجود علاقة بين كثرة الرماد وكثرة العطاء (الملاءمة المعقولة للإفادة) [٢٦]. وحينئذ يبدأ الاستدلال على النحو التالي:

- كثرة الرماد ناتج عن كثرة إحراق الحطب، وكثرة إحراق الحطب ناتجة عن كثرة الطبخ.
- كثرة الطبخ دليل على كثرة الضيفان
- كثرة الضيفان دليل على الكرم والكرم مما يمتدح به ومن ثم فكثرة الرماد دليل على الكرم[٢٧].

---

(٢٤) ينظر: احمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية مدخل نظري، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٩م:/٢٢

(٢٥) ينظر: د/ باسم خيري خضير، الاستلزام الحواري في شعر أحمد مطر:/١٦٢

(٢٦) ينظر: السابق: /١٦٣

الاستلزامات التخاطبية في الموروث البلاغي

على الرغم من أن التداولية منهج لساني حديث النشأة غير أن البحث فيه يمكن أن يؤرخ له منذ قرون عند العلماء العرب خصوصا في الدرس البلاغي، وهذا هو ما ذهب إليه العديد من الباحثين، ولا عجب في ذلك؛ فقد تحدث البلاغيون عن فكرة التداول بالمعنى الحديث، وناقشوها في أكثر من موطن خصوصا ما يتعلق بقسم المعاني في البلاغة العربية، حيث درسوا اللغة في الاستعمال ومن خلال المقام، وتحدثوا عن بلاغة المتكلم بصفته مرسلا للخطاب، وعن الشروط التي يجب أن تتوفر فيه حتى يكون متكلما بليغا، وعن بلاغة الخطاب بصفته الرسالة المشتركة بين المتكلم والمخاطب وعن الشروط التي يجب توفرها في الخطاب حتى يكون بليغا؛ وتكلموا عن المخاطَب وحالاته بصفته مستقبلا للخطاب، وعن الشروط التي ينبغي للمتكلم أن يراعيها حتى يكون كلامه مطابقا لحال السامع.

و تميزت الدراسات البلاغية بالاهتمام ببعض القضايا التي تعد اليوم من أساسيات البحث التداولي؛ فقد درسوا النص اللغوي باعتباره خطابا بين مرسل ومستقبل في سياق معين وليس باعتباره نصا شكليا معزولا عن سياقه، وتحدثوا عن المقام بأنواعه ومطابقة مقتضى الحال وكانوا السباقين إلى تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء وتحدثوا عن أنواع الخبر بالنسبة لحال المخاطب، وعن الأغراض البلاغية الناتجة عنه؛ كما تحدثوا عن المقامات الكلامية وأنها متعددة ومتغيرة؛ فمقام التعريف يباين مقام التنكير، ومقام الإطلاق يباين مقام التقييد، كما ذكروا أن لكل كلمة مع صاحبتها مقاما(٢٨) و أن المتكلم لا يكون بليغا إلا إذا راعى اختلاف المقامات وأعطى

---

(٢٧) ينظر: ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية: /٣٩٦، ٣٩٧

(٢٨) عبد المتعال الصعيدي ، بقية الايضاح ط٧ ٢٩/١

لكل مقام حقه من التعبير؛ لأن بلاغة التعبير هي مطابقته لمقتضى الحال التي هي الأمر، أو المقام الذي جعل المتكلم يراعي خصوصية ما في تعبيره حتى طابق مقتضى الحال(٢٩).

وتبدو هذه الملامح والسمات التداولية واضحة في الأعمال والمؤلفات البلاغية كدلائل الإعجاز للجرجاني(ت ٤٧١هـ)، والكشاف للزمخشري (ت ٥٣٨هـ)، ومفتاح العلوم لسكاكي(ت ٦٢٦هـ)، وكتاب الإيضاح للقزويني(ت٧٣٩هـ) كل هذه الأعمال عالجت بعض القضايا والسمات التداولية وهو ما حدا ببعض الباحثين إلى القول: بأن العرب القدماء كانوا سباقين إلى الحديث عن التداولية من الدرس الأوربي بزمن طويل ويتضح هذا من خلال حديثهم عن المقام وتوضيحاتهم لفكرة(لكل مقام مقال).(٣٠)

وكان اهتمام البلاغيين بالسياق وأثره في تحديد المعنى، والكشف عنه لا يقل عن اهتمام اللسانيات الحديثة؛ فقد أشار عبد القاهر إلى أن اللفظ لا يتحدد معناه أو منزلته من الفصاحة وعدمها بمعزل عن السياق، أو النظم الذي هو توخي معاني النحو؛ و أن المزية للفظ ترجع لمراعاة مكانه من النظم، وليس لكونه مفردا منزوعا عن السياق، وأن معنى اللفظ يحدده السياق أو النظم.

وإذا كان علم المعاني هو علم توخي معاني النحو كما يقول عبد القاهر؛ فإنه يفترق عن النحو في أن وظيفة علم المعاني ليس توخي المعاني الأولية للجملة، وإنما المقصود هو المعاني الثواني، أو معنى المعنى كما قال عبد القاهر عند حديثه عن نظرية النظم وذلك في

---

(٢٩) ينظر: المرجع السابق ، و باديس لهو يمل ، السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة الآداب ، الجزائر، جامعة بسكرة العدد التاسع ٢٠١٣م /١٦٧,١٦٨

(٣٠) ينظر: د/ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها /٣٣٧

سياق حديثه عن الكناية؛ حيث ذكر أن حقيقة الكناية يرجع إلى أنها إثبات لمعنى أنت تعرفه عن طريق المعقول، وليس عن طريق اللفظ ألا ترى أن كثير الرماد يعني كثير القرى والضيافة(٣١).

كما تحدث عن الاستلزام الحواري، وكيفية الاستدلال عليه وإن بمسميات مختلفة؛ نلمس ذلك من خلال تقسيمه الكلام إلى ضربين: ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وهي الدلالة الحرفية، والآخر يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه في اللغة ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية هي دلالة الاستلزام تصل إلى الغرض كالكناية والاستعارة والتمثيل؛ يقول: " وإذا قد عرفت هذه الجملة فهاهنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول: المعنى، ومعنى المعنى تعني بالمعنى المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة ومعنى أن تحصل من اللفظ معنى ثم يقضي بك المعنى إلى المعنى آخر"(٣٢).

ونلمس ذلك أيضا من خلال حديثه عن الفروق بين أن يقول المتكلم: زيد منطلق والمنطلق زيد؛ حيث ذكر أن العبارة الأولى تلقى للشخص الذي لا يعلم أن هناك انطلاق قد كان لا من زيد، ولا من عمر أما الثانية؛ فتلقى لمن يعلم أن هناك انطلاقا قد كان، ولكنه لا يعلم إن كان هذا الانطلاق من زيد، أو عمر(٣٣)، كما تحدث عن التقديم والتأخير وعن المعاني الضمنية التي تنتج عنهما؛ ألا ترى أن قولهم: زيد جاءني مغاير لقولهم: جاءني زيد؛ فمن قال: جاءني زيد كان الاهتمام منصبا على المجيء، ومن قال: زيد جاءني كان الاهتمام منصبا على المسند إليه من حيث كونه هو الذي جاء لا غير، أو أنه جاءه في حال انكر مجيئه من قبل المخاطب.

(٣١) ينظر: دلائل الاعجاز ، تح/ مُحَمَّد رشيد رضا ،/٣٣٠، ٣٣١، ٣٥٩

(٣٢) ينظر: السابق /٢٠٣

(٣٣) ينظر: دلائل الاعجاز، تح، محمود شاكر: /١٧٣

ونجد بها الدين السبكي عند حديثه عن فائدة علم المعاني يذكر الفرق بين الدلالة بالوضع والاستلزام التخاطبي وذلك من خلال تفريقه بين علم النحو، وعلم المعاني حيث ذكر: أن غاية النحو أن ينزل المفردات على ما وضعت له، ويركبها عليها أي أن الدلالة حرفية، أما غاية علم المعاني؛ فهي البحث في مقاصد الخطاب التي لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تتناهى(٣٤).

ونجد مثل ذلك عند العلوي وهو يتحدث عن تعريف علم المعاني وعلم البيان، والفرق بينهما وبين علم اللغة وعلم النحو؛ فقد ذكر أن غاية علم اللغة هو احراز معاني الألفاظ، وغاية علم النحو هو إحراز الدلالة التي تكون عن طريق الإسناد؛ أما علم المعاني الذي هو علم البلاغة، وعلم البيان الذي هو علم الفصاحة؛ فدلاتهما وراء ذلك مع كونها متوقفة عليهما؛ يقصد وراء علم التركيب وعلم اللغة(٣٥).

لقد لاحظ البلاغيون القدامى أن الجملة في بعض مقامات الخطاب لا تكتفي بالدلالة الأصلية التي تنتج من ضم الكلمات إلى بعض وإنما هناك معان ضمنية تنشأ من خلال المقام وقرائنه، بل قد تخرج بعض الجمل عن الدلالة الأصلية وتتجاوزها إلى معان ضمنية يستدل عليها من خلال السياق وقرائنه المبثوثة فيه؛ كأن تقول –لشخص وأنت تراه يضرب والده–:

أتضرب والدك؟!.

فهذه الجملة لا يمكن حملها على الاستفهام كما هو الأصل من الصيغة الصورية للجملة؛ لأن الأصل في السؤال أن يكون عن شيء يجهله المتكلم ويطلب العلم به من المخاطب فإذن لابد من حملها على معنى آخر يستدل عليه من خلال السياق، وقرائن الأحوال على اعتبار

---

(٣٤) عروس الأفراح شرح التلخيص، تح، هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣– ٢٠٠٣م: /٤٧

(٣٥) ينظر: يحيى بن حمزة، كتاب الطراز، مكتبة المعارف، الرياض، ١٩٨٠م: ١٢/١، ١٣

أن المتكلم ملتزم بقانون التعاون، وبالعودة إلى السياق سنجد أن هذا المعنى هو الإنكار والتعجب وهذا المعنى لم ينشأ عن الصيغة، وإنما بوسطة المقام وقرائنه، وما من شك أن المقام يشمل المتكلم والسامع والظروف المحيطة بالخطاب، ومن هنا بدت الأهمية للمقام، أو سياق القول لدى البلاغيين؛ فمن خلاله تمكنوا من الاستدلال على المعنى الضمني، أو الاستلزامي الذي ينتج عن الجملة عندما لا تطابق الجملة مقام إنجازها.

بل لقد قادتهم ملاحظاتهم تلك إلى وصف الاستلزام باعتباره إشكالا دلاليا يبرز في الخطاب وبينوا طريقة الاستدلال عليه، ويتضح ذلك من خلال حديثهم عن مقتضى ظاهر الخطاب والخروج عن مقتضى الظاهر وقد طرحت جملة من الاقتراحات لوصفه واستقصائه[٣٦] ولعل السكاكي خير من دقق في كيفية الانتقال من المعنى الأول؛ الصريح إلى المعنى الثاني؛ الاستلزامي؛ نلمس ذلك جليا من خلال حديثه عن الإنشاء الطلبي، ومقابلته بين الغرض الأصلي للجملة والغرض المتولد عنها مقاميا ومن الأمثلة التي ساقها لكيفية الاستدلال على المعنى الضمني، أو الغرض الثاني المتولد عن الغرض الأول قوله:

إذا قلت لمن بعثته لإنجاز مهمة وأنت تراه عندك.

أما ذهبت بعد؟

امتنع الذهاب إلى أنه أراد من خلال جملته تلك توجه الاستفهام إليه؛ لكونه معلوم الحال واستدعى شيئاً مجهول الحال مما يلابس الذهاب مثل: أما يتيسر لك الذهاب، وتولد منه الاستبطاء والتحضيض.

أو كأن تقول لعبد لا يمتثل لأمرك.

لا تمتثل لأمري!

---

(٣٦) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: /٢٥

امتنع طلب ترك الامتثال؛ لأنه حاصل وتولد عنه التهديد والوعيد(٣٧).

ويتضح لنا- من خلال تحليل السكاكي للأمثلة السابقة- أن التحليل الذي قدمه لخروج الجملة عن معناها الأصلي إلى معان أخرى فرعية يقوم على أربعة مفاهيم رئيسة هي: الأصل- المقام- وإجراء الأصل أو امتناعه- الملابسة(٣٨).

وكان السكاكي قد قسم الكلام إلى قسمين: خبر وإنشاء، وجعل الإنشاء نوعين: طلبي، وغير طلبي، وحصر الإنشاء الطلبي في خمسة أغراض هي: الأمر والنهي والاستفهام والنداء والتمني، ثم جعل لكل غرض من الأغراض السابقة شروط إجراء كما سنبين ذلك عند الحديث عن الاستلزامات الخطابية للإنشاء ومن خلال ذلك حدد كيفية الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني المستلزم حيث جعل ذلك يتم من خلال مرحلتين:

المرحلة الأولى : وفيها يؤدي عدم مطابقة المقام إلى خرق أحد شروط إجراء المعنى الأصلي فيمتنع إجراؤه.

المرحلة الثانية: يتولد عن الإخلال بشروط إجراء المعنى الأصلي، وامتناع إجرائه معنى آخر يناسب المقام(٣٩).

أي أن استدلال السكاكي على الاستلزام الخطابي مبني على خرق قاعدة أو أكثر من قواعد إجراء المعنى الأصلي التي ذكرها عند حديثه عن الأغراض الأصلية للخبر والإنشاء حيث ذكر للاستفهام شروطا يجب تحققها حتى يكون الاستفهام حقيقيا؛ فإذا حدث خرق لأحد هذه

---

(٣٧) ينظر: المفتاح، تح، نعيم زرزور: /٣٠٥

(٣٨) د/أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ط١ ،١٤٣١-٢٠١٠م /٤٩

(٣٩) د/أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي: /٩٨

الشروط، أو كلها انتقل الاستفهام من معناه الحقيقي إلى معنى مستلزم يعرف من خلال السياق، وقرائن الأحوال، وكذلك فعل مع بقية صيغ الطلب التي هي الأمر والنهي والتمني والنداء(٤٠).

ونستطيع القول- على وجه الإجمال-: إن حديث البلاغيين عن الاستلزامات التخاطبية وعن كيفية الاستدلال عليها؛ كان مبنيا على العدول، أو خرق الأصل كمؤشر استدلالي على المعنى الضمني أو الاستلزامي؛ إما خرق الأصل في ترتيب الجملة كما هو الحال في التقديم والتأخير، أو خرق الأصل في التعبير عن المعنى كحديثهم عن الإيجاز والإطناب أو الذكر والحذف، وإما الخرق الأصل في تركيب الجملة مع اختها في النسق كحديثهم عن الفصل والوصل على اعتبار أن العطف بالأداة هي الأصل، وما جاء على خلاف ذلك؛ فهو عدول عن الأصل يجب أن يسأل عن علته؛ لذلك كان حديثهم في البلاغة منصبا على الأساليب التي خرجت عن مقتضى الظاهر؛ يدلك على ذلك أنهم- وبالأخص عبد القاهر الجرجاني- تحدثوا عن أسباب الفصل بين الجمل، ولم يتحدثوا عن الوصل بالأداة لأنه أصل، إلا في المواطن التي حدث فيها خرق، أو عدول لأسباب بلاغية؛ كأن يفصل والظاهر يقتضي الوصل، أو أن يوصل والظاهر يقتضي الفصل، وتحدثوا عن الإيجاز والإطناب ولم يتحدثوا عن المساواة على اعتبار أنها الأصل ولم ينتج عنها استلزام خطابي كما سنعرف ذلك من خلال الحديث عن الاستلزامات التخاطبية للأساليب.

كما لم يقتصر حديثهم عن الاستلزامات التخاطبية المخصصة التي تنشأ من خلال الخرق وبمعونة السياق وقرائن الخطاب، وإنما أيضا تحدثوا عن الاستلزامات التخاطبية المعممة التي لا تحتاج إلى السياق لمعرفتها؛ كحديث عبد القاهر عن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي

---

(٤٠) ينظر: المفتاح، تح، نعيم زرزور: /٣٠٥، وما بعدها

في سياق النفي، وحديثه عن القصر وأقسامه، وحديثهم عن الدلالة الناتجة عن التعبير بالاسم والفعل وهو ما سنوضحه لاحقا في مكانه المخصص.

وكانت آليتهم في الاستدلال على الخرق والانتقال منه إلى الغرض البلاغي مبنية على شروط خاصة وهي آلية لا يختلف كثيرا عمّا قدمه غرايس بل إن اقتراحات السكاكي- كما أشار إلى ذلك الدكتور أحمد المتوكل- تمتاز بأنها أكثر دقة من اقتراحات غرايس من حيث كونه جعل شروطا لكل معنى من معاني الطلب الأصلية، وهذه الدقة لا تجدها في قواعد غرايس التي ركز فيها على قواعد الخطاب المتعلقة بالجمل الخبرية، والتي لا تصلح إلا لوصف الاستلزام الناتج عن خرق قاعدة من قواعد الخطاب الإخباري، كما أن اقتراحات السكاكي تملك القدرة على التنبؤ بالاستلزام؛ كونها تمكن المتلقي من خلال ربط خرق المتكلم لشرط من شروط إجراء المعنى على الأصل من الجزم بحدوث الانتقال من المعنى الصريح إلى المعنى الضمني أو الاستلزامي، وهذا من شأنه يفضي إلى نفي إمكانية إلغاء الاستلزام الذي هو أحد خصائص الاستلزام التخاطبي عند غريس[٤١].

علم المعاني

عرَّف الخطيب القزويني علم المعاني بالقول: هو " علم يعرف به أحوال اللفظ العربي التي بها يطابق مقتضى الحال "[٤٢] وهذا هو تعريف علم المعاني في اصطلاح البلاغيين.

يقصد بأحوال اللفظ ما يشمل أحوال الجملة وأجزاءها؛ أحوال الجملة كالفصل والوصل والإيجاز والإطناب والمساواة، وأحوال أجزائها كأحوال المسند إليه وأحوال المسند وأحوال متعلقات الفعل [٤٣]، وهذه الأحوال هي التي يقتضيها الحال في اللفظ هي بعينها مقتضى الحال.

---

(٤١) ينظر: مُحَمَّد يزيد سالم، الاستلزام التخاطبي في ضوء المقاربة الوظيفية، مجلة اللسانيات، العدد٢٤، جامعة مُحَمَّد خيضر، الجزائر: /٢٤٩

(٤٢) ينظر: عبد التعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،ط٧،مكتبة الآداب ومطبعته ، القاهرة/٤٠

وأول من أطلق هذه التسمية على هذا الفن هو السكاكي وإن كان الأوائل قد استعملوا مصطلح المعاني في دراساتهم للقرآن الكريم، أو الشعر العربي بقولهم: معاني القرآن أو معاني الشعر، أو اتخذوا من ذلك أيضا أسماء لكتبهم غير أن مصطلحاتهم تلك لا تتصل بالبلاغة أو أحد متونها(٤٤) من هؤلاء ابن فارس؛ فقد عقد في كتابه الصاحبي بابا سماه معاني الكلام قال عنها: هي عند أهل العلم عشرة "خبر واستخبار وأمر ونهي ودعاء وطلب، وعرض وتحضيض، وتمن، وتعجب" (٤٥).

وهذه الإشارة من ابن فارس جعلت العديد من علماء البلاغة يقولون عنه أنه صاحب الفضل في إطلاق معني الكلام على مباحث " الخبر والإنشاء التي أصبحت بابا من أبواب علم المعاني، بل بالغ بعضهم بأن جعل كتاب الصحابي من أهم الكتب التي أعتمد عليها البلاغيون في بحث علم المعاني لا سيما الفصل الخاص بمعاني الكلام، كما زاد بعضهم؛ فجعل هذا الفصل ربما أوحى لعبد القاهر الجرجاني في كتابه (دلائل الإعجاز) جانبا من أفكاره التي تقوم على أن للكلام معان إضافية غير معانيها الحقيقية(٤٦) .

وقد كان لظهور نظرية النظم لعبد القاهر الجرجاني الأثر البالغ في توضيح أصول علم المعاني؛ يقول: واعلم أن ليس النظم إلا أن تضعَ كلامَك الوضعَ الذي يَقتضيهِ علمُ النّحو وتعملَ على قوانينهِ وأُصولِه وتعرفَ مناهجَهُ التي نُهِجَتْ فلا تزيغُ عنها وتحفَظُ الرُّسومَ التي رُسمتْ لك فلا تُخلَّ بشيءٍ منها، وهو من خلال ذلك يوضح مقصوده من خلال الحديث عن الخبر وصوره(٤٧).

---

(٤٣) ينظر: السابق

(٤٤) ينظر: عبد الفتاح لاشين ، المعاني في ضوء أساليب القرآن، /١٠٥

(٤٥) ينظر: أحمد بن فارس، الصاحبي، تح، السيد أحمد صقر، مط، بابة الحلبي، القاهرة: /٨٩

(٤٦) ينظر: عبد الفتاح لاشين، المعاني في ضوء أساليب القرآن /١٠٥ وما بعدها

(٤٧) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، ط١،١٩٩٥،دار الكتاب العربي بيروت،/٧٧

ثم جاء الزمخشري بعد ذلك؛ فكان يطلق على مباحث البلاغة كلها اسم علم البيان؛ فالاستئناف الذي هو من ضمن باب الفصل والوصل في علم المعاني يأتي عنده تحت مسمى علم البيان، وكذلك فعل في الاختصاص –وهو من أبواب علم المعاني– في معرض تفسيره لقوله تعالى: "قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربك إذا لأمسكتم خشية الإنفاق" (الإسراء : ١٠٠)؛ يقول: فأما ما يقتضيه علم البيان؛ فهو أن قوله: (أنتم تملكون) فيه دلالة على الاختصاص[٤٨].

وإذا كان علم المعاني هو علم توخي معاني النحو كما قال عبد القاهر؛ فإنه يفترق عنه في أن وظيفة علم المعاني ليس توخي المعاني الأولية للجملة التي تنشأ من خلال التركيب والإعراب، وإنما المقصود هو المعاني الثواني أو معنى المعنى كما قال عبد القاهر عند حديثه عن نظرية النظم وتوضيح المقصود منها.

ويتضح هذا جليا من خلال حديث بها الدين السبكي عن فائدة علم المعاني حيث قال: "ولعلك تقول: أي فائدة لعلم المعاني؟ فإن المفردات والمركبات علت بالعلوم الثلاثة: – اللغة والنحو والصرف– وعلم المعاني غالبه من علم النحو؟ ثم يجيب عن ذلك فيقول: كلا إن غاية النحو أن ينزل المفردات على ما وضعت له ويركبها عليها ووراء ذلك مقاصد لا تتعلق بالوضع مما يتفاوت به أغراض المتكلم على أوجه لا تتناهى وتلك الأسرار لا تعلم إلا بعلم المعاني، والنحو وإن ذكرها فهو على وجه إجمالي يتصرف فيه البياني على أوجه خاصة لا يصل إليها علم النحو[٤٩]".

ويوضح العلوي الفرق بين علم المعاني وعلم اللغة، وعلم النحو من خلال مثال اختاره وهو قوله تعالى: (ولكم في القصاص حياة)؛ حيث ذكر أن مهمة اللغوي تقتصر على بيان أن

---

(٤٨) ينظر: جار الله الزمخشري، الكشاف: ٦٩٧/١؛'

(٤٩) عروس الأفراح شرح التلخيص، تح، هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣– ٢٠٠٣م: /٤٧

القصاص وحياة موضوعة لمعانيها المفردة، ونظرة النحوي من جهة رفع المبتدأ وتقديم الخبر عليه وتنكير المبتدأ وتوسيط الظرف، ونظرة صاحب علم المعاني من جهة بلاغتها وتأديتها المعنى المقصود منها على أوفى ما يكون[٥٠] وذلك من خلال الدلالة التي تحصل من خلال التقديم ومن خلال التعريف والتنكير، ولم قال حياة ولم يقل الحياة وعلاقة كل ذلك بقصدية الخطاب.

(٥٠) ينظر: كتاب الطراز، مرجع سابق: ١٨/١

الفصل الثاني

الاستلزامات التخاطبية للخبر والإنشاء

مدخل

قسم البلاغيون العرب الكلام إلى قسمين كبيرين هما: الخبر والإنشاء وجاء تقسيمهم مبني على أن الكلام إما أن يكون له نسبة في الخارج تحتمل الصدق والكذب بالنظر إلى مطابقة النسبة الداخلية للنسبة الخارجية، وإما أنه ينشئ الواقع إنشاء، وفي هذه الحالة؛ فالكلام لا يحتمل صدقا ولا كذبا لعدم وجود النسبة الخارجة أو الواقع؛ ذكر الخطيب القزويني أن الكلام إما خبر أو إنشاء؛ لأنه إما أن يكون له خارج يطابقه أو لا يطابقه؛ فذلك الخبر، وإما ألا يكون له خارج؛ فذلك هو الإنشاء(٥١).

وهي الفكرة ذاتها التي عرضها (اوستن) بعد ذلك بقرون عند حديثه عن الأفعال الكلامية؛ حيث ذكر أن وظيفة اللغة لم تقتصر على مجرد الوصف للواقع كما ذهبت إليه الفلسفة التحليلية والوضعية، بل هناك وظائف أخرى للغة، واستدل على ذلك بالقول: عندما أقول في الكنيسة: (نعم أقبل الزواج بها)؛ فأنا في هذه الحالة لا أذيع خبرا بل لسان حالي يقول قبلت بالزواج وهذا النوع من الجمل اقترح أن تسمى إنشائية أو إنجازية، وعلى هذا؛ فهناك نوعين من الأفعال الكلامية؛ أفعال تقريرية، وأفعال إنجازية(٥٢).

إن المعيار الذي استقر عليه أغلب البلاغيين في تقسيم الكلام إلى خبر وإنشاء هو وجود النسبة الخارجية للكلام التي تحتمل الصدق والكذب من عدمها؛ فإذا كان للكلام نسبة خارجية تحتمل الصدق والكذب؛ فذلك هو الخبر، وإن لم يكن له نسبة خارجية؛ فإنه الإنشاء؛ لأن الكلام في هذه الحالة لا يصف الواقع وإنما ينشئه إنشاء.

---

(٥١) ينظر: الخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة:/٢٤

(٥٢) ينظر: أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) تر، عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، ١٩٩١م: /١٧

غير أن هناك العديد من الأقوال لها نسبة في الخارج تحتمل الصدق والكذب بحسب ظاهر الخطاب، وهي مع ذلك أفعال إنشائية؛ كقولنا: لمن أراد السفر (وفقك الله)؛ فهذا القول له نسبة خارجية تحتمل الصدق والكذب بحسب ظاهر الخطاب؛ لكنه عند النظر في السياق فعل خطابي إنشائي؛ لأنه دعاء، والدعاء فعل إنجازي، وكذلك قوله تعالى: " رب إني وضعتها أنثى" (آل عمران: ٣٦)، هو إنشاء؛ لأن الغرض منه التحسر، والتحسر فعل إنجازي، وكذلك العديد من الأقوال التي يكون لها في الظاهر نسبة خارجة تحتمل الصدق والكذب ولكنها في الحقيقة إنشاء.

من ثم فإن بناء التقسيم على أساس من المعيار السابق وحده يبدو غير واضح عند العديد من المتلقين، ويحتاج إلى آلية محددة وواضحة نستطيع بواسطتها تميز الخبر من الإنشاء في السياقات المختلفة، فهل البلاغيين العرب لم يكونوا على وعي بأن بناء التقسيم على أساس من احتمال النسبة الخارجية للصق والكذب غير واضح في بعض مقامات الخطاب؟

الحقيقة أنهم كانوا مدركين لهذا؛ يدلك على ذلك قولهم- عن بعض الأساليب-: اللفظ لفظ الخبر والمعنى إنشاء، أو اللفظ لفظ الإنشاء والمعنى خبر، ومعنى ذلك أن الآلية التي اتبعوها للتمييز بين الخبر والإنشاء، أو النسبة الكلامية التي تحتمل الصدق والكذب من غيرها – في ما يبدو لي- كانت مبنية على الغرض من الخطاب في السياق الذي يجب أن يكون مطابقا للغرض الأساسي من الخبر المتمثل في إعلام المتكلم المخاطب فائدة الخبر أو لازم الفائدة؛ فإن طابق غرض الجملة في السياق الغرض الحقيقي للخبر كانت الجملة خبرية تحتمل الصدق والكذب، وإن انعدمت المطابقة؛ فالجملة إنشائية لعدم احتمالها للصدق والكذب، ولها أغراض سياقية عدة تفهم عن طريق المقام.

يدلك على ذلك كلام السكاكي عن السبب في كون الخبر يحتمل الصدق والكذب؛ فلو رجعنا إلى كلام السكاكي وهو يتحدث عن الخبر؛ سنجد أنه ارجع ذلك إلى الغرض الحقيقي من الخبر المتمثل في إعلام المخاطب بفائدة الخبر؛ كأن تقول له: (زيد قام) إذا كان لا يعلم ذلك؛ أو لازم الفائدة؛ كأن تقول لمن حفظ التورات: (لقد حفظت التورات)[٥٣]، ومعنى ذلك أن النسبة الكلامية في الجملة لا تكون محتملة للصدق والكذب إلا إذا كان الغرض منها في السياق إعلام المخاطب بفائدة الخبر، أو لازم الفائدة وإذا كانت كذلك فالجملة خبرية؛ لأنها تصف فعلا خطابيا قد وقع ولا تنشئه إنشاء، وإلا فهي إنشاء.

ويبدو لي أن هذه الآلية في التصنيف لو فهمت وطبقت مع كل المقامات ستكون أكثر وضوحا ودقة وصلابة في تمييز الخبر عن الإنشاء؛ لأنها مبنية على غرض المتكلم من خطابه وغرض المتكلم لا يتضح إلا من خلال مقام التخاطب؛ بمعنى أنه غرض استلزامي يتغير بتغير المقام؛ ولذلك فالجملة الواحدة قد تكون خبرية في سياق تخاطبي، وإنشائية في سياق تخاطبي آخر وذلك بناء على المقصدية المفهومة من المقام وسياق التخاطب؛ فإذا كان غرض المتكلم هو وصف فعل خطابي موجود؛ فالجملة خبرية، وإن كان غرضه إنشاء فعل خطابي، فالجملة إنشائية.

فمثلا قول المتكلم: (حكمت المحكمة ببراءة فلان)، هذا القول قد يكون إنشائيا؛ لأن فعله التخاطبي إنجازي، وقد يكون خبريا؛ لأن فعله التخاطبي وصفي، وتحديد ذلك مرهون بالمقصدية من الخطاب؛ هل القصد من الخطاب إنشاء فعل خطابي لم يكن موجودا إلا بواسطة اللغة، أم أنه أراد الإخبار بفعل موجود تم انجازه، والذي يحدد المقصدية هو مقام الخطاب.

---

(٥٣) ينظر: مفتاح العلوم: /٧٣

فلو نطق الجملة السابقة قاض في محكمة من المحاكم؛ فالقول إنشاء؛ لأنه أراد من خلال كلامه إنشاء، أو إنجاز فعل خطابي لم يكن موجودا قبل زمن التخاطب؛ فالحكم بالبراءة لم يكن موجودا، وإنما أنجزه القاضي بوسطة اللغة؛ لذلك كان القول لا يحتمل الصدق والكذب، وإنما يحتمل التوفيق والإخفاق، أما لو نطق الجملة السابقة أي شخص آخر غير قاضي المحكمة؛ فالقول خبر؛ لأن غرض المتكلم الإعلام بالبراءة أو الوصف لفعل خطابي منجز وله نسبة خارجية تحتمل الصدق والكذب سواء نطقت الجملة قبل زمن صدور الحكم أو بعده فيكون صادقا إن طابقت النسبة الكلامية النسبة الخارجية، ويكون كاذبا إن انعدم التطابق.

ولتوضيح ذلك يمكن اقتراح الآلية التالية والتي من خلالها يتم التمييز بين الخبر و الإنشاء أو بين النسبة الكلامية التي تحتمل الصدق والكذب من غيرها بحسب ما فهمناه من خلال كلام البلاغيين عن الخبر والإنشاء في السياقات المختلفة، وتتمثل هذه الآلية بالتالي:

- الخبر هو القول الذي له نسبة خارجية تحتمل الصدق والكذب
- تكون النسبة الخارجية محتملة للصدق والكذب إذا كان غرض المتكلم المفهوم بدلالة المقام هو الإعلام بفعل خطابي منجز.
- إذا كان غرض المتكلم المفهوم من السياق هو إنجاز فعل بوسطة اللغة وليس وصفه فالجملة أ و القول إنشاء لا يحتمل الصدق والكذب ولكن يحتمل التوفيق والإخفاق .

وإذا شئنا اختصار ذلك كله نقول: إذا كان الغرض من القول بعد النظر في السياق هو إعلام المخاطب فائدة الخبر، أو لازم الفائدة؛ فالقول خبر يحتمل الصدق والكذب سواء أكان بصيغة الخبر أم بصيغة الإنشاء؛ لأن الغرض وصف الفعل وليس إنجازه بواسطة اللغة، وما عدا ذلك؛ فهو إنشاء له أفعال غرضية متعددة تفهم من خلال السياق وقرائن الأحوال.

لتوضيح ذلك عن طرق المثال نقول: إذا قال المعلم للطالب: (الأرض تدور حول الشمس)؛ فإن هذه الجملة خبرية؛ لأن غرضها إعلام الطالب أمرا كان يجهله، ويسمى ذلك فائدة الخبر؛ ومن ثم فالفعل الخطابي وصفي له نسبة خارجية تحتمل الصدق والكذب.

كذلك إذا قال الطالب مجيبا على سؤال المعلم: (الأرض تدور حول الشمس)؛ فإن هذه الجملة أيضا خبرية؛ لأن غرض الطالب إعلام المعلم أنه يعلم ما يعلمه المخاطب، ويسمى ذلك لازم الفائدة، ومن ثم فالفعل التخاطبي في الجمل وصفي يحتمل الصدق والكذب.

أما قول مريم عليها السلام: " رب إني وضعتها أنثى" (آل عمران: ٣٦)؛ فإن هذه الجملة إنشائية على الرغم من أنها جاءت على صور الخبر إلا أنها بعد النظر في السياق فاقدة لشرط من شروط الخبر، وهو أن المتكلم بالجملة السابقة لم يكن غرضه إعلام المخاطب بفائدة الخبر، بدليل أن المخاطب يعلم الفائدة مسبقا، ولم يكن غرضه إعلام المخاطب أنه يعلم الذي يعلمه، وإنما غرضه إنجاز فعل خطابي آخر هو التحسر بدليل المقام والسياق لذلك كانت الجملة إنشائية لا تحتمل الصدق والكذب لأن فعلها أنجزه المتكلم بواسطة اللغة.

كذلك قوله تعالى: " والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء" (البقرة: ٢٢٨)؛ فعلى الرغم من أن هذا القول له نسبة خارجية تحتمل الصدق والكذب بالنظر إلى الظاهر، إلا أنها إنشائية بعد النظر في السياق؛ لفقدان الشرط الأساسي من شروط الجملة الخبرية؛ فالغرض من القول ليس إعلام المخاطب فائدة الخبر؛ أي حدوث هذا الفعل من المطلقات، بدليل أنه لم يحصل أصلا، وإنما غرضه أمر المطلقات بالتربص ثلاثة قروء؛ لذلك كانت الجملة السابقة إنشائية طلبية لأن فعلها فعل طلبي أمر بالتربص.

بالمقابل فإن قوله تعالى :" هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" (الرحمن ٦٠).

الظاهر أن الجملة السابقة ليس لها نسبة خارجية؛ لأنها استفهام وهذا قبل النظر في السياق، ولكن عند النظر في السياق سنجد أن غرضها في السياق يتطابق مع الغرض الحقيقي للخبر، فالغرض منها هو إعلام المخاطب فائدة الخبر والمتمثل في أن جزاء الإحسان مقصور على الإحسان لمن أحسن، فالفعل الخطابي وصفي يحتمل الصدق والكذب.

والأمر كذلك في قول الشاعر:

وتضن سلمى أنني أبغي بها　　　　بدلا أراها في الظلام تهيم

البيت الشعري السابق عبارة عن جملتين الأولى: (وتظن سلمى أنني أبغي بها بدلا) وهذه الجملة خبرية لأن غرض الشاعر منها إعلام المخاطب بحالة سلمى؛ أي أن الفعل الخطابي وصفي؛ لأنه يصف حالة سلمى للمخاطب، وهذا الفعل يحتمل الصدق والكذب، والثانية (أراها في الظلام تهيم) إنشائية؛ لأن غرض المتكلم منها هو الإنكار والتعجب من ظنها السابق وهذا فعل خطابي لم يكن موجودا وإنما أنشأه الشاعر إنشاء؛ لذلك فهو لا يحتمل الصدق والكذب وإنما يحتمل التوفيق والإخفاق يدلك على ذلك الفصل بين الجملتين؛ إذ لو أردها خبرية لعطفها على الأولى بحرف العطف.

من ثم يمكن القول: إن الذي يحدد نوع الفعل الخطابي في الجملة إن كان خبريا أو إنشائيا هو غرض المتكلم من الخطاب المفهوم من خلال المقام؛ أي أنه مستلزم تخاطبي يتغير بتغير المقام؛ لذلك وجدنا البلاغيين، وغيرهم من اللغويين عند حديثهم عن الأغراض تناولوا الجملة الخبرية بحسب الظاهر أي أن لها نسبة خارجية تحتمل الصدق والكذب قبل النظر في السياق، ثم من خلال المعيار السابق؛ أي الغرض من الخبر اشتقوا الأغراض المجازية للخبر التي هي في الأساس أفعال إنشائية أو إنجازية.

يدلك على ذلك أنهم عند حديثهم عن الإنشاء الذي هو القسم الثاني؛ تحدثوا عن الأغراض البلاغية للإنشاءات الطلبية فقط الناشئة عن الصيغة بحسب الظاهر، ولم يتحدثوا عن الإنشاءات المستلزمة عن الخبر سواء أكانت طلبية، أو غير طلبية ليس لأنها أفعل خبرية، وإنما؛ لأنها أفعال مستلزمة عن الخبر، وسبق لهم وأن تحدثوا عنها عند حديثهم عن أغراض الخبر كما سنبين ذلك من خلال الحديث عن الاستلزامات التخاطبية للخبر والإنشاء في ما يلي.

المبحث الأول

الخبر واستلزاماته التخاطبية

الخبر عند جمهور البلاغيين هو ما يحتمل الصدق والكذب، بالنظر للسياق وذات الخبر؛ أي أن له نسبة خارجية أو واقع نستطيع من خلاله الحكم على صدق الخبر من كذبه، ومع اتفاق البلاغيين في المعيار الذي يميز الخبر عن الإنشاء، وهو احتمال القول للصدق والكذب، إلا أن نظرتهم للأمر الذي على أساسه يحدد صدق الخبر من كذبه مختلفة؛ فجمهور البلاغيين متفقون على أن الذي يحدد صدق الخبر من كذبه هو مطابقة الخبر للواقع أو مطابقة النسبة الكلامية للنسبة الخارجية من عدمها؛ فإن كان الخبر مطابقا للواقع كان الخبر صادقا وإن لم يطابق الواقع كان الخبر كاذبا[٥٤].

غير أن هناك من خالف الجمهور في النظرة إلى صدق الخبر وكذبه، ومن هؤلاء النظام والجاحظ؛ فقد أرجع النظام صدق الخبر من عدمه إلى اعتقاد المخبر وليس للواقع؛ حيث قال: إذا كان الخبر مطابقا لاعتقاد المتكلم؛ فهو خبر صادق سواء صادقه الواقع أم كذّبه، كما أن الخبر الكاذب هو ما خالف اعتقاد المتكلم سوء صادقه الواقع أم كذّبه؛ فلو أن قائل قال: السماء فوقنا، وهو لا يعتقد ذلك؛ فخبره كاذب وإن صادقه الواقع، ولو أنه قال: الواحد ضعف الاثنين معتقدا بصدق الخبر؛ فإن الخبر يكون صادقا عند النظام وإن خالفته القوانين، ويدخل عنده– في الخبر الكاذب– الخبر الذي يلقيه المتكلم دون اعتقاد أصلا كخبر الشاك، ولذا يكون من قال: محمد رسول الله، وهو شاك يكون كاذبا وإن صادقه الواقع؛ لأنه ألقى خبرا غير معتقد بمضمونه، وحجته في ذلك كله ترجع إلى أمرين؛ الأول: أن من اعتقد أمرا؛ فاخبر به ثم ظهر

---

(٥٤) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة:/٢٥

خلافه؛ يقال عنه: ما كذب ولكن أخطأ، كما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: في ما شأنه كذلك" ما كذب ولكنه وهم" الأمر الثاني قوله تعالى: " والله يشهد إن المنافقين لكاذبون " (المنافقون: ١) تكذيبا للمنافقين في قولهم نشهد إنك لرسول الله مع أن قولهم هذا مطابق للواقع غير أنهم قالوه دون اعتقاد منهم ومن ثم كان خبرا كاذبا .

أما الجاحظ؛ فقد أنكر انحصار الخبر في قسمين وزعم أن الخبر ثلاثة أقسام :- صادق، وكاذب، وغير صادق ولا كاذب وذلك على النحو الآتي:[٥٥].

الخبر الصادق: وهو ما طابق الواقع مع الاعتقاد بأنه مطابق؛ كقول القائل: (العلم نور) وهو يعتقد ذلك .

الخبر الكاذب: هو غير المطابق للواقع مع الاعتقاد بأنه كذلك؛ كقول القائل: (الظلام يأتي نهارا)؛ فهذا خبر كاذب؛ لأنه مخالف للواقع ومطابق لاعتقاد المتكلم بمخالفته للواقع.

خبر غير صادق أو كاذب: وهذا- عند الجاحظ- يأتي على أربعة أنواع؛ الخبر المطابق للواقع دون اعتقاد بأنه كذلك؛ كأن يخبر شخص بان الواحد نصف الاثنين غير معتقد بصحة ذلك، أو قول المنافق: (محمد رسول الله)، الخبر المطابق للواقع دون اعتقاد أصلا؛ كأخبار الشاك المتردد، الخبر غير المطابق للواقع مع اعتقاد المتكلم بأنه مطابق؛ كقول الكافر: (الإسلام شر كله)، الخبر غير المطابق دون اعتقاد أصلا ومن ذلك مبالغات الشعراء والأدباء وكذا أخبار الشاك، وقد احتج الجاحظ لذلك بقوله تعالى: " أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِباً أَمْ بِهِ جِنَّةٌ " (سبأ: ٨)؛ من حيث كونهم حصروا دعوى الرسول صلى الله عليه وسلم للرسالة في أمرين هما: الافتراء، والجنون، والإخبار حال الجنون ليس كاذبا؛ لأنهم قابلوه بالافتراء، ولا صادقا لأنهم لم يعتقدوا صدقه فثبت أن من الأخبار ما ليس صادقا ولا كاذبا.

---

(٥٥) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة:/٢٥، ٢٦

الاستلزامات التخاطبية للخبر

سبق وأن أشارت الدراسة في المدخل أن الاعتماد على كون الجملة لها نسبة خارجية تحتمل الصدق، والكذب غير واضح في التمييز بين الخبر والإنشاء إذا لم يكن الغرض من القول في السياق هو المعول عليه في التمييز؛ لأن ذلك يمكن له تميز الخبر عن الإنشاء في بعض مقامات الخطاب، لكنه لا يميز الانشاء المستلزم من الخبر في المقامات الأخرى من الخطاب؛ خصوصا وأن العديد من الإنشاءات متولدة عن الخبر بمعونة السياق؛ كما أن الخبر أيضا قد يكون مستلزما من بعض صيغ الإنشاء.

ولما كان الأمر على هذا النحو، ولتوصيف الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن الخبر بحسب ظاهر الخطاب؛ فقد اعتمد البلاغيون على مطابقة غرض المتكلم المفهوم من المقام أو الساق للغرض الأساسي من الخبر كمحدد رئيس لتمييز خروج الخبر عن مقتضى الظاهر من الغرض إلى أغراض أخرى تفهم من السياق من جهة، كما اعتمدوا على مطابقة الكلام لحال السمع من عدمها للتمييز خروج الخبر عن مقتضى الظاهر بحسب حال المخاطب؛ كمقدمة استدلالية لوجود أغراض أخرى غير المطابقة تفهم من خلال السياق وقرائنه من جهة أخرى.

من ثم نستطيع القول: إن هناك نوعين من الاستلزامات التخاطبية الناشئة عن خروج الخبر عن مقتضى الظاهر؛ نوع يستدل عليه من خلال عدم مطابقة غرض المتكلم المفهوم من خلال المقام للغرض الأساسي من الخبر وفيه يتحول الفعل الخبري إلى فعل إنشائي له أغراض متعددة، ومتنوعة يستدل عليها من خلال السياق وقرائنه، والنوع الثاني ينشأ من خلال خرق مطابقة الكلام لمقتضى حال المخاطب؛ فينزل المخاطب منزلة غيره.

ولتوضيح ذلك ومن أجل توصيف الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن الخبر سنقترح آلية مستفادة من الدرس البلاغي واللغوي وتقوم على الشروط الحقيقية للخبر؛ فإن كان الكلام مطابقا لهذه الشروط كان الغرض حقيقيا، وإن حدث خرق كان مؤشرا على وجود الاستلزام التخاطبي وهذه الآلية تتمثل بالآتي:

يكون الخبر جاريا وفق مقتضى الظاهر؛ إذا توفرت فيه الشروط الآتية:

1- أن يكون الغرض منه إعلام المخاطب إما فائدة الخبر، وإما لازم الفائدة.

2- ينبغي أن يقتصر المتكلم من الكلام على القدر الذي يفي بحاجة المخاطب.

إذا تحققت الشروط السابقة في الخبر؛ كان الخبر جاريا وفق مقتضى الظاهر، وكان الغرض منه حقيقيا، ومن ذلك أن يقول الأستاذ للطالب، أو أن يقول الطالب مجيبا على سؤال الأستاذ: (الخبر هو ما يحتمل الصدق والكذب)؛ فالجملة السابقة تحققت فيها الشروط السابقة؛ لأن غرض الأستاذ كان إعلام الطالب أمرا كان يجهله ويسمى ذلك فائدة الخبر، وغرض الطالب إعلام الأستاذ أنه يعلم فائدة الخبر ويسمى ذلك لازم الفائدة؛ كما أن الجملة السابقة ألقيت خالية من التوكيد؛ لأن المخاطب خالي الذهن، ومن ثم فالجملة السابقة طابقت مقام إنجازها ولم ينتج عنها استلزام خطابي غير فائدة الخبر أو لازم الفائدة.

أما إذا فقد الخبر أحد الشرطين السابقين؛ فإنه يخرج عن مقتضى الظاهر ويتحول إلى غرض آخر مقابل للشرط المفقود؛ فإن فقد الشرط الأول؛ أي لم يكن الغرض منه إعلام المخاطب فائدة الخبر، أو لازم الفائدة تحول الخبر من فعل وصفي إلى فعل إنشائي له أغراض متعددة ومتنوعة بتعدد وتنوع السياق وقرائنه، وإن فقد الشرط الثاني؛ أي لم يكن مطابقا لحال الخاطب؛ فإنه يُنَزِل المخاطب منزلة غيره وذلك بحسب نوع الخبر الملقى، وحال المخاطب قبل إلقاء الخطاب، ويكون ذلك على النحو التالي:

أولا الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن فقدان الخبر للشرط الأول

إذا فقد الخبر الشرط الأول من شروطه؛ أي لم يكن الغرض من إلقاء المتكلم لخبره فائدة الخبر أو لازم الفائدة؛ فإن الكلام حينئذ يتحول إلى أغراض إنشائية تختلف باختلاف السياق وقرائنه ومن تلك الأغراض ما يلي(٥٦):

إظهار التحسر

ومن شواهده قوله تعالى – على لسان أم مريم–:" قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم" (آل عمران: ٣٦).

الخطاب في الآية موجه من أم مريم لله سبحانه وتعالى، ولم ترد من خلال خطابها السابق إعلام المخاطب شيئا يجهله؛ لأن المخاطب هو الله وهو يعلم مولودها مسبقا، ولما لم يكن غرضها كذلك؛ فلابد أن يكون لها غرض آخر يفهم من خلال السياق، وبالعودة إلى السياق سنجد أن الغرض هو التحسر من خيبة أملها كون المولود أنثى، وهي كانت تنتظر الولد، وهو غرض إنجازي إنشائي مستلزم من خلال الخرق المتمثل بفقدان الخبر لشرط الإفادة، ومن خلال سياق النص وقرائنه الذي يشير إلى أن مريم كانت تنتظر مولودا ذكرا فخاب أملها؛ يدلنا على ذلك قوله تعالى: "رب إني نذرت لك ما في بطني محررا" (آل عمران: ٣٦)؛ فقد نذرت ما في بطنها لخدمة بيت المقدس، ولكن نذرها لم يتحقق؛ لأن من شروط النذر لخدمة بيت الله أن يكون المولود ذكرا لذلك تحسرت.

الشكوى

ومن شواهده قوله تعالى –على لسان زكريا–: "رب إني وهن العظم مني " (مريم: ٤).

---

(٥٦) ينظر: أحمد مطلوب عمر، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت: /٩٩

النص السابق خرق شرطا من الشروط السابقة وهو أن المخاطب في الآية السابقة يعلم أن المتكلم قد شاخ وكبر، ومن ثم لم يكن غرضه إفادة الخبر كما لم يكن غرضه لازم الفائدة، ومن هنا فالتعبير خرج عن مقتضى الظاهر واستلزم معنى ضمنيا آخر مستوحى من السياق هو الشكوى إلى الله وإظهار الضعف طمعا في أن يرزقه بمولود يسانده حال ضعفه؛ يدلك على ذلك سياق الآية؛ فالجملة وردت في سياق طلب الولد (هب لي من لدنك وليا)؛ فكأن الجملة بمثابة التمهيد للدعاء.

توبيخ السامع ولومه كقول الشاعرة:

وأنتَ الذي أخلفتَني ما وعدتَني   وأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيكَ يلومُ

الاستلزام التخاطبي للبيت السابق هو التوبيخ واللوم للمخاطب وهذا المعنى لم تقله البيت صراحة وإنما هو مفهوم من خلال قرائن الخطاب، ومن خلال الخرق المتمثل بفقدان شرط الإفادة إذ لم ترد الشاعرة إعلام من تخاطبه بمضمون الخبر؛ لأنه يعلمه سلفا وهذا يستلزم أنها أرادت من خلال خطابها غرضا آخر، وبالعودة إلى السياق سنجد أنها أرادت التوبيخ واللوم للمخاطب؛ يدلك على ذلك السبب الذي من أجله قيلت البيت؛ فقد ذكر صاحب الأغاني: أن ابن الدمينة أحب امرأة من قومه يقال لها أميمة؛ فهام بها مدة؛ فلما وصلته تجنى عليها وجعل ينقطع عنها لذلك قالت ما قالت[٥٧].

الاسترحام والاستعطاف:

ومنه قول الشاعر :

فمالي حيلة إلا رجائي   لعفوك إن عفوت وحسن ظني

يظن الناس بي خيرا وإني   لشرٌ الناس إن لم تعف عني

(٥٧) ينظر: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ط٢، دار الفكر، بيروت: ١٠٥/١٧

الشاعر يخاطب مولاه بهذه الأبيات، لا ليعلمه مضمون الخبر؛ فالمخاطب يعلم ذلك مسبقا كما لم يرد إعلامه لازم الفائدة كما هو الأصل من إلقاء الخبر، وذلك يعد مؤشرا استدلاليا على أن المتكلم يريد شيئا آخر غير الإفادة وبالرجوع إلى سياق الخطاب سنجد أن الشاعر أراد طلب الرحمة والعطف من المخاطب؛ يدلك على ذلك السياق؛ فالسياق سياق إقرار بالذنوب أمام من يملك الرحمة والغفران وهو الله سبحانه وتعالى.

المدح: ومنه قول المتنبي :

أرى كل ذي ملك إليك مصيره   كأنك بحر والملوك جداول

إذا مطرت منهم ومنك سحائب   فوابلهم طل وطلك وابل

الغرض من الأبيات السابقة هو مدح المخاطب، وليس أعلامه بفائدة الخبر ولا لازم الفائدة، يدلك على ذلك السياق الذي وردت فيه الأبيات، ومقام التخاطب، ومن ثم فالفعل الخطابي إنشاء وليس خبرا؛ لأنه مدح والمدح فعل إنجازي.

الفخر : ومنه قول الفرزدق:-

ترى الناس ما سرنا يسيرون خلفنا   وإن نحن أومأنا إلى الناس وقفوا.

المتكلم في البيت السابق لم يرد- من خلال كلامه- إعلامنا بفائدة الخبر ولا بلازم الفائدة، وإنما أراد الافتخار، بدليل المقام، والافتخار فعل إنجازي غير وصفي، ومن ثم فالقول إنشائي يحتمل التوفيق، أو الإخفاق، ولا يحتمل الصدق والكذب.

الحث على السعي والجد في العمل: ومنه قول الشاعر

وما نيل المطالب بالتمني   ولكن تؤخذ الدنيا غلابا

في هذا البيت لم يكن غرض المتكلم إعلام المخاطب فائدة الخبر ولا لازم الفائدة، وإنما غرضه إنجاز فعل خطابي آخر بواسطة اللغة وهو حث المخاطب على السعي والجد في العمل ومن ثم، فالجملة إنشائية وليست خبرية لفقدانها شرط الإخبار.

الأمر

ومنه قوله تعالى: " وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوءٍ " (البقرة: ٢٢٨) وقوله تعالى: " وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ " (البقرة: ٢٣٣) .

الخبر في الآيتين خرج عن مقتضى الظاهر بفقدانه شرط الإفادة؛ لأن الغرض من الخبر لم يكن إعلام المخاطب بحصول التربص، أو بحصول الإرضاع؛ فالفعل لم يحدث أصلا قبل الخبر بدليل سياق النص؛ فالسياق سياق طلب حصول الفعل من المكلفين وهو مؤشر استدلالي على أنه أراد الأمر بصورة لطيفة وهذا هو الاستلزام التخاطبي من إلقاء الخبر.

النهي

ومنه قوله تعالى: " الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ " (الحج: ١٩٧).

الغرض من الخبر هو النهي عن الرفث والفسوق والجدال؛ أي لا يرفث لا يفسق لا يجادل.

والاستلزامات التخاطبية الناتجة عن فقدان الخبر للغرض الحقيقي منه كثيرة فبالإضافة إلى ما ذكر؛ فهناك أغراض أخرى[٥٨] منها:

التمني

نحو قول المتكلم للمخاطب: (وددتك عندنا).

---

(٥٨) ينظر: أحمد بن فارس، الصاحبي، تح، السيد أحمد صقر، مط، عيسى الحلبي، القاهرة: / ٢٩٠

التعظيم

نحو قوله تعالى: "سبحان الله رب العرش عما يصفون". (الأنبياء: ٢٧).

في الآية السابقة لم يكن غرض المتكلم إعلام المخاطب فائدة الخبر ولا لازم الفائدة، وإنما غرضه التعظيم لله سبحانه وتعالى والتعظيم فعل خطابي إنجازي؛ فالمتكلم لا يصف وإنما ينجز فعلا خطابيا هو التعظيم، وعلى ذلك؛ فالجملة إنشائية وليست خبرية.

الدعاء

نحو: (عفا الله عنك).

الغرض من الجملة السابقة هو الدعاء للمخاطب، والدعاء فعل إنجازي إنشائي.

الوعد

نحو: " سنريهم آياتنا في الآفاق" (فصلت: ٥٣).

في الآية السابقة لم يكن الغرض من القول إعلامنا أمرا نجهله ولا إعلامنا بأنه يعلم الذي نعلمه، وإنما أراد الوعد بالرؤية مستقبلا، والوعد فعل إنجازي غير وصفي ولذلك فالجملة لا تحتمل الصدق والكذب، فهي إنشاء وليست خبرا.

الوعيد

نحو قوله تعالى: "وسيعلم الذين ظلموا" (الشعراء: ٢٢٧).

الجملة في الآية السابقة ليست خبرية؛ لأنها فقدت شرط الإخبار؛ فلم يكن الغرض المفهوم من السياق هو إعلام المخاطب فائدة الخبر، ولا لازم الفائدة، وإنما غرضها المفهوم من السياق هو الوعيد والتهديد للذين ظلموا، والوعيد فعل إنجازي، يدلك على ذلك السياق فالسياق سياق رد وتكذيب للذين اتهموا القرآن بالشعر، ومن ثم فالجملة إنشائية.

ولو نظرنا إلى الاستلزامات التخاطبية السابقة كلها؛ سنجد أنها أفعال كلامية لا تحتمل الصدق والكذب؛ لأنها أفعال إنجازية وهذه الأفعال نتجت من خلال فقدان القول للغرض الأصلي من الخبر، وهو ما يؤكد أن النسبة الكلامية إذا فقدت الغرض من الخبر تحولت الصيغة من خبرية إلى أفعال غرضية إنشائية يستدل عليها من السياق.

ثانيا الاستلزامات التخاطبية للخبر الناتجة عن فقدان الشرط الثاني:

إن كل الاستلزامات التخاطبية السابقة نشأت من خلال خرق المتكلم للشرط الأول من شروط إلقاء الخبر وفق مقتضى الظاهر، وهذا الخرق تمثل في فقدان الغرض الأساسي من الخبر الذي هو فائدة الخبر ولازم الفائدة، وسنتكلم الآن عن الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن خرق المتكلم للشرط الثاني من شروط مطابقة الخبر لمقتضى الظاهر من الخبر لكن قبل ذلك لا بد من بسط الكلام حول ما يتعلق بهذا الشرط حتى تتضح الأمور ونستطيع وصف الاستلزامات الناتجة عن الخرق.

ولتوضيح ذلك نقول: إن من الأمور التي اهتم بها البلاغيون القدامى أثناء حديثهم عن المقام؛ حديثهم عن مطابقة الكلام لحال السامع على اعتباره ركنا من أركان العملية التواصلية وكان اهتمامهم به لا يقل عن اهتمامهم بالمتكلم والخطاب ومن ذلك قولهم: إنه يجب على المتكلم أن يأتي بالخبر على قدر حال السامع دون زيادة أو نقصان؛ ذكر سعد الدين التفتازاني أنه إذا قصد المخبر بخبره إفادة المخاطب بخبره ينبغي أن يقتصر من التركيب على قدر الحاجة حذرا عن اللغو(٥٩).

وقد قسم البلاغيون الخبر تبعا لحال السامع إلى ثلاثة أقسام؛ ابتدائي و طلبي وإنكاري، ووضعوا لكل نوع من أنوع الخبر شروطا إن تحققت في الخبر كان الخبر وفق مقتضى الظاهر

---

(٥٩) ينظر: مختصر المعاني، دار الفكر، ط١، ١٤٤١هـ: /٢٨

وإن خرق المتكلم شرطا من هذه الشروط أو كلها خرج الخبر عن مقتضى الظاهر لأغراض بلاغية يبتغيها المتكلم وذلك على النحو التالي[٦٠]:

شروط الخبر الابتدائي: يشترط في الخبر الابتدائي شرطان هما:

1- أن يكون المخاطب خالي الذهن .

2- أن يكون الخطاب خاليا من التوكيد.

مثل أن تقول لمخاطبك: (محمد ناجح)؛ فهذا الخبر يكون ابتدائيا لتحقق الشرط الثاني وهو خلوه من التوكيد لكن قد يكون هذا الخبر وفق مقتضى الظاهر وقد يكون خارجا عن مقتضى الظاهر وذلك تبعا لمطابقته لحال السامع من عدمها، فإذا كان السامع خالي الذهن لا يشك أو لا ينكر الخبر؛ كان الخبر وفق مقتضى الظاهر، وإن لم يكن كذلك؛ بأن كان شاكا في الخبر أو منكرا له يكون الخبر خارجا عن مقتضى الظاهر، واستلزم معنى ضمنيا زائدا على مدلول الجملة يفهم من خلال المقام وقرائن السياق كما سنتبين ذلك لاحقا.

شروط الخبر الطلبي: يشترط في هذا النوع من الخبر شرطان هما:

١- أن يكون المخاطب شاكا في الخبر أو مترددا.

٢- أن يكون الخطاب مؤكدا بمؤكد واحد.

مثل أن تقول لمخاطبك: (إن محمدا ناجح)؛ فهذا الخبر طلبي؛ لأنه مؤكد بمؤكد واحد لكن بالنظر لمطابقة الكلام لحال السامع؛ فقد يكون هذا الخبر وفق مقتضى الظاهر وقد يكون خارجا عن مقتضى الظاهر، فإذا كان السامع مترددا أو شاكا في نجاح محمد كان الخبر وفق مقتضى الظاهر، وإن لم يكن كذلك بأن كان منكرا للخبر أو خالي الذهن؛ غير شاك فيه يكون الخبر خارجا عن مقتضى الظاهر لاستلزام خطابي ابتغاه المتكلم من خلال هذا الخروج.

---

(٦٠) ينظر: القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة:/٢٨

شروط الخبر الإنكاري: يشترط في الخبر الانكاري أمران:

1- أن يكون المخاطب منكرا للخطاب.

2- أن يكون الخطاب مؤكد بأكثر من مؤكد على حسب درجة إنكار المخاطب.

مثل أن تقول لمخاطبك: (إن محمدا لناجح)، أو (والله إن محمدا لناجح)؛ فنوع الخبر في الجملتين إنكاري؛ لأنه مؤكد بمؤكدين فأكثر (إن واللام في خبرها) كما في الجملة الأولى، أو (القسم وإن واللام في خبرها)، كما في الجملة الثانية، لكن بالنسبة لمطابقة الكلام لحال السامع قد يكون هذا الخبر وفق مقتضى الظاهر، وقد يكون خارجا عن مقتضى الظاهر، فإذا كان السامع منكرا لنجاح محمد؛ كان الخبر وفق مقتضى الظاهر، وإن لم يكن كذلك بأن كان المخاطب خالي الذهن، أو كان شاكا مترددا في الحكم يكون الخبر خارجا عن مقتضى الظاهر لاستلزام خطابي ابتغاه المتكلم من خلال هذا الخروج.

ومن الشواهد التي جرى فيها الخطاب وفق مقتضى الظاهر لمطابقته حال المخاطب قوله تعالى: " واضرب لهم مثلا أصحاب القرية إذا جاءها المرسلون إذ أرسلنا إليهم اثنين فكذبوهما فعززنا بثالث، فقالوا إنا إليكم مرسلون قالوا ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الرحمن من شيء إن أنتم إلا تكذبون قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون".(يس: ١٣).

انظر خطاب المرسلين كيف تنوع بتنوع اعتقاد المخاطبين؛ في البداية كان الخطاب مؤكدا بمؤكد واحد" إنا إليكم مرسلون " (يس: ١٣) على اعتبار أن المخاطبين في الآية شاكون في خبر الرسل، ولكن لما تبين إنكار المخاطبين للرسل من خلال القرائن الخطابية التي علمت من خلال ردهم؛ حيث قالوا:" ما أنتم إلا بشر مثلنا وما أنزل الله من شيء إن أنتم إلا تكذبون " (يس: ١٣) جاء الخبر مؤكدا بأكثر من مؤكد هو: (القسم وإن واللام في خبرها) "ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون "(يس: ١٣).هذا هو الظاهر في إلقاء الخبر تبعا لحال المخاطب.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: " إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " (الإنسان: ٢).

في الآية السابقة أكد الخبر بمؤكد واحد هو (إنّ)، واستلزم ذلك تخاطبيا أن المخاطب يشك بالخبر ولا ينكره بدليل تأكيد الخبر بمؤكد واحد؛ وبالعودة إلى السياق لمعرفة مدى مطابقة الخبر لحال السامع سنجد أن الخبر طابق حال السامع، يدلك على ذلك أن الخطاب وجه لكفار قريش وكفار قريش لا ينكرون أن الله هو الخالق ولكنهم يشكون في تفاصيل الخلق على هذا النحو المذكور في الآية؛ لذلك أكتفى النص بمؤكد واحد يزيل شكهم؛ يدلك على ذلك قوله تعالي في سياق آخر: " وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " (الزمر: ٣٨.

أما قوله تعالى: " إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا " (الإنسان: ٢٣)

ورد الخبر في الآية السابقة مؤكدا بأكثر من موكد وهذه المؤكدات هي: (إن، والضمير المنفصل، ونحن، ونا والمفعول المطلق: تنزيلا)، وهذا يستلزم تخاطبيا أن المخاطب منكرا للخبر، وإذا عدنا إلى السياق وقرائنه لمعرفة مطابقة الخبر لحال السامع من عدمها؛ سنجد أن المخاطبين بالخبر هم كفار قريش، وكفار قريش كانوا منكرين وغير معترفين بأن القرآن منزل من عند الله، بل قالوا: إنه شعر وأنه عبارة عن أساطير اكتتبها من السابقين؛ لذلك ألقي الخبر عليهم مؤكد بأكثر من مؤكد حتى يزيل عنهم إنكارهم؛ وبذلك يكون الخبر قد طابق حال المخاطب.

مع ذلك؛ فقد يلجأ المتكلم– من خلال خطابه في سياقات معينة– إلى تنزيل غير المنكر منزلة المنكر خرقا لمبدأ مطابقة الكلام لمقتضى حال السامع؛ لاستلزامات تخاطبية أرادها المتكلم من خلال هذا الخرق ومن ذلك قوله تعالى:" إنك ميت وإنهم ميتون" (الزمر: ٣٠).

الخطاب في الآية ورد مؤكدا بمؤكد واحد (إنك، وإنهم)؛ فاستلزم ذلك تخاطبيا أن المخاطب شاكا في الخبر هذا قبل النظر في السياق، ولكن بعد النظر في السياق سنجد أن

الخبر خرق شرطا من شروط الإنجاز، وهو شرط المطابقة مع حال السامع؛ بدليل أن من وجه إليهم الخطاب لا يشكون في حصول الموت؛ فكان الأصل بحسب الظاهر أن يلقى الخبر خاليا من التوكيد ولكن النص القرآني عدل عن ذلك إلى التوكيد تنزيلا لهم منزلة المتردد الشاك وغرضه من ذلك لفت انتباه المخاطب إلى معنى ضمني أراده من خلال الخرق وهو أن المخاطبين تمادوا بالغفلة واقتراف المعاصي ونسيان الآخرة؛ فكأنهم شاكون مترددون في حصول الموت.

ومن ذلك أيضا قول الشاعر: جاء شقيق عارض رمحه إن بني عمك فيهم رماح.

الخطاب هنا ورد مؤكدا بمؤكد واحد (إن بني عمك)، واستلزم ذلك تخاطبيا- قبل النظر في السياق- أن المخاطب شاك في الخبر، ولكن بعد العودة إلى السياق سنجد أن المتكلم خرق شرط المطابقة لأن من وجه إليه الخبر لا يشك في الخبر؛ فهو يعلم أن بني عمه يمتلكون عدة الحرب ومن ضمنها الرماح؛ لذلك كان الأصل بحسب مقتضى الظاهر أن يلقى الخبر خاليا من التوكيد ولكن الشاعر أكد الخبر بـ(إن) تنزيلا له منزلة الشاك، وغرضه من ذلك السخرية من المخاطب والسبب في ذلك أنه جاء متقلدا رماحه دون أن يكون هناك داع إلى ذلك كونه فعل ذلك في غير وقت الحرب، وهذا هو الاستلزام الخطابي من هذا الخرق.

ومن خروج الخبر عن المطابقة لحالة السامع قوله تعالى:" ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون" (المؤمنون: ٣٧)

الخطاب موجه من الله إلى نوح عليه السلام، ونوح لا يشك في إغراق الذين ظلموا وكان الظاهر بحسب حالة المخاطب أن يلقى الخبر دون تأكيد" (هم مغرقون)، ولكن القرآن خرج عن مقتضى الظاهر بتأكيده للخبر وغرضه من ذلك تنزيل نوح عليه السلام منزلة المتردد الشاك

لظهور علامات توحي بذلك وهي المجادلة التي كانت من قبل نوح مع الله بشأن القوم حرصا على هدايتهم يدل على ذلك قوله تعالى:" ولا تخاطبني في الذين ظلموا".

ومنه قوله تعالى :" وإن ربك لهو العزيز الرحيم " (الشعراء: ١٤٠)

الخطاب في الآية خرج عن مقتضى الظاهر و تمثل هذا في تأكيد الخبر بـ(إنَّ)، واللام والإتيان بضمير الفصل (هو) والأصل بحسب حال المخاطب أن يلقى الخبر خالياً من التوكيد؛ لأن الخطاب موجه للرسول، و هو لا يشك في هذا الخبر فضلاً عن أن ينكره، ووفقا لذلك كان الأصل أن يؤتى بالخير خاليا من التوكيد لكنه أكده بمؤكدين تنُزِيلا له منزلة المنكر فخُوطب بخطابه تأكيداً له، وللمتلقي بأن صبر الله على المعاندين من كفار قريش لم يكن عن رضى أو عجز عنهم وإنما عن حلم ورحمة بهمً.

ومن شواهده الخروج عن مقتضى الظاهر تنزيل المنكر منزلة خالي الذهن كقوله تعالى– في خطابه للمشركين والملحدين–:" الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة: ١)

الخطاب في الآية ورد خاليا من التوكيد وهذا يستلزم تخاطبيا قبل النظر في السياق أن المخاطبين لا يشكون، ولا ينكرون صدق القرآن وعدم ورود الريب فيه، ولكن بعد النظر في السياق سنجد أن الخبر خرج عن مقتضى الظاهر لعدم مطابقته لحال السامع؛ فالمخاطبون بالخبر هم المشركون والكفار من قريش، بدليل قوله تعالى بعد ذلك "إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون "(البقرة: ٦)، وكان الظاهر بحسب حال المخاطب يقتضي أن يؤكد الخبر بأكثر من مؤكد، ولكنه نزلهم منزلة من لا ينكر؛ وغرضه من ذلك حث المخاطبين إلى تدبر القرآن والإشارة إلى ظهور علامات في الكتاب وهذا العلامات بارزة لو تدبرها القوم حق التدبر لكانت دالة على أنه منزل من عند الله وأنه خال من النقص والتزييف من ذلك الإعجاز في النظم وذكر الأمم السابقة والإخبار بحوادث مستقبلية وغيرها.

بالمقابل نجد النص القرآني عندما يخاطب المؤمنين فيقول: " إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " (الإسراء: ٩).

كان الأصل بحسب مقتضى الظاهر أن يأتي بالخبر خاليا من التوكيد؛ لأن المخاطبين لا يشكون في ذلك فضلا عن أن ينكروه؛ فهم مؤمنون به، ويتلونه صباح مساء، ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل، وأتى بالخبر مؤكدا تنزيلا لهم منزلة المنكر، وغرضه من ذلك توبيخ المخاطبين؛ كونهم يتلون القرآن صباح مساء ومع ذلك لا يتعظون بما فيه إذ لو اتعظوا بما فيه لصلح أمرهم واستقامت سبلهم في الحياة الدنيا.

المبحث الثاني

الإنشاء واستلزاماته التخاطبية

تعريف الإنشاء :

الإنشاء عند البلاغيين هو: ما لا يحتمل الصدق والكذب كالأمر والنهي والدعاء والاستفهام والتمني وغير ذلك من وسائل الطلب الأخرى، وإنما كان الإنشاء غير محتمل للصدق والكذب؛ لأنه فعل إنجازي ليس له واقع نستطيع أن نحكم عليه من خلاله، وكل الأساليب الطلبية(الأمر والنهي والاستفهام والدعاء) تندرج تحت هذا المسمى، وكذا كل فعل خطابي غير وصفي سواء أكان طلبيا كما سبق، أو غير طلبي كالتمني و الترجي والتعجب، والوعد، والوعيد، وغير ذلك من الأفعال الخطابية التي فقدت شرط مطابقة غرض المتكلم المفهوم من السياق للغرض من الخبر كما سبق وأن عرفناها عند الحديث عن الاستلزامات التخاطبية للخبر.

مع كل ذلك؛ فالدراسة ستتحدث عن الاستلزامات التخاطبية للإنشاء الطلبي فقط؛ لأن الإنشاءات غير الطلبية هي في الأساس أفعال خطابية مستلزمة من الخبر كما سبق وأن أوضحت الدراسة ذلك عند الحديث عن الاستلزامات التخاطبية للخبر ولأن حديثنا هنا عن الاستلزام وتوصيفه والإنشاءات غير الطلبية لا ينشأ عنها استلزامات تخاطبية لأنها هي في الأصل مستلزمة لذلك سنركز حديثنا على الإنشاء الطلبي.

الإنشاء الطلبي: هو ما استدعى مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، ويشمل كل صيغ الطلب المعروفة التي هي(الأمر، النهى ،الاستفهام، التمني، النداء،)، وذكر البلاغيون أن لكل من هذه الصيغ أغراضا حقيقية وأغراضا مجازية تفهم من خلال السياق، ويستدل عليها من خلال

خرق شرط من شروط إجرائها على المعنى الحقيقي؛ فقد وضع البلاغيون لكل صيغة من هذه الصيغ شروطا حقيقية خاصة بها؛ فإن توفرت تلك الشروط في الصيغة عند استعمالها كان المعنى حقيقيا، وإن خرق المتكلم شرطا أو شروط إجراء الصيغة على معناها الحقيقي خرجت الصيغة عن المعنى الحقيقي إلى معان أخرى ضمنية يستدل عليها من خلال السياق وقرائن الأحوال، وكان ذلك على النحو الآتي:

الأمر حقيقته واستلزاماته الخطابية:

الأمر هو طلب الفعل على جهة الاستعلاء سواء أكان بصيغة فعل الأمر، أو بالمضارع المقرون بلام الأمر، أو اسم الفعل، أو المصدر النائب عن فعله من ذلك قوله تعالى :"واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " (هود: ٣٧).

إن التعبير في الآية السابقة قد ورد بإحدى صيغ الإنشاء الطلبية المتمثلة بصيغة فعل الأمر (اصنع) في الآية والتي تطلب حدوث الفعل أي الصنع على جهة الاستعلاء بمعنى أن الطلب موجه ممن هو أعلى منزلة إلى من هو أدنى منزلة؛ فالآمر هو الله، والمأمور هو نوح عليه السلام.

ومثله قوله تعالى " لينفق ذو سعة من سعته " (الطلاق: ٧) الطلب في الآية تمثل بصيغة الفعل المضارع المقرون بلام الأمر؛ (لينفق)، وهذا الطلب موجه ممن هو أعلى منزلة إلى من هو أدنى منزلة وهذه هي الصيغة الثانية من صيغ الأمر.

أما قوله تعالى " قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا" (البقرة: ٨٣)؛ فإنه أيضا طلب على جهة الاستعلاء ولكن عن طريق المصدر (إحسانا) النائب عن الفعل أحسنوا إذ التقدير أحسنوا إحسانا.

وكذلك قوله تعالى " يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم "(المائدة: ١٠٥) فالآية السابقة اشتملت على صيغة اسم الفعل عليكم وهذه الصيغة بمعنى ألزموا؛ فهي تطلب الفعل على جهة الاستعلاء لأنها موجهة ممن هو أعلى منزلة إلى من هو أدنى منزلة.

مما سبق نخلص إلى أن الصيغ في الشواهد السابقة (اصنع–ليكتب –إحسانا –عليكم) كلها تدل على المعنى الحقيقي للأمر، وليس هناك استلزام خطابي ناتج عنها غير الأمر؛ لأنها طابقت مقام إنجازها بتوفر جميع شروط إجرائها على الأصل وهذه الشروط هي:

1- طلب الحصول في الخارج

2- مطلوب غير حاصل

3- ممكن الحصول

4- الطالب مستعل على المطلوب منه وهذه هي الشروط التي تجعل من الصيغة أمرا حقيقيا[٦١].

وبتعبير آخر نستطيع القول: إن الصيغ السابقة قد طابقت مقام إنجازها؛ لأنها تضمنت القواعد الأربع المتفرعة عن مبدأ التعاون عند غرايس[٦٢]؛ طابقت قاعدة الكم من حيث كونها احتوت على ما هو المطلوب والمتفق عليه بين المتكلم والسامع دون زيادة، أو نقصان والمتمثلة في معلومة الطلب، واحتوت على قاعدة الكيف من حيث كون المخاطب امتثل للصياغة السابقة، واحتوت على قاعدة الملاءمة الأمر الذى جعل العلاقة بين الآمر والمأمور جارية على أصولها ولم يحدث خرق، كذلك تضمنت قاعدة الأسلوب فالعبارات واضحة وسليمة ومرتبة، وبذلك فلم ينتج عن العبارات السابقة استلزام حواري أو معنى إضافي غير المعنى الحقيقي[٦٣].

---

(٦١)ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور: /٣٠٤، و ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني:/٣٦

(٦٢) ينظر: مبدأ التعاون والقواعد المتفرع عنه في مكان سابق من هذا البحث

(٦٣) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني: /١٣٧

غير أن الصيغ السابقة في بعض مقامات الحوار قد لا تطابق مقام إنجازها نتيجة لخرق المتكلم قاعدة من القواعد السابقة الذكر ومن ثم ينتج عن هذا الخرق استلزامات خطابية تفهم من خلال السياق والقرائن المبثوثة في النص، ومن الاستلزامات التخاطبية للأمر والناتجة عن خرق شرط من شروط إجراء الصيغة على الأصل ما يأتي(٦٤):

الدعاء

ومن شواهده؛ قوله تعالى: " رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة عن لساني يفقهوا قولي وأجعل لي وزيرا من أهلي " (طه: ٢٥، ٢٦، ٢٧).

صيغ الأمر في الآية (اشرح – يسر – احلل – أجعل) لم تتطابق مقام إنجازها من حيث إنها خرقت طبيعة العلاقة بين الآمر والمأمور؛ لفقدانها شرط الاستعلاء؛ فالطالب أدنى منزلة من المطلوب منه؛ فالطالب هو موسى والمطلوب منه هو الله؛ ولما كان السياق سياق تضرع ودعاء؛ فهذا يستلزم تخاطبيا أن الطلب كان على سبيل التضرع والدعاء إذ ليس المقصود أن يأمر العبد مولاه، وإنما الغرض منها الدعاء ومن ثم فإن الفعل المستلزم هنا هو الدعاء.

التسوية

ومن ذلك قوله تعالى " اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم " (الطور: ١٦).

الفعل (اصبروا) في الآية فعل أمر موجه ممن هو أعلى منزلة إلى من هو أدنى منزلة لكنه فقد شرط الحصول، إذ ليس المطلوب منه إنجاز الصبر من قبلهم بدليل قوله: (سواء عليكم) ومن ثم لم تطابق الصيغة مقام إنجازها؛ واستلزم ذلك أن المخاطب أراد معنى ضمنيا غير الأمر، وبالعودة إلى السياق سنجد أنه أراد التسوية؛ بدليل العطف بـ(أو) (أو لا تصبروا)، وبذلك يكون المعنى الضمني هو صبركم وعدمه سواء، وإنما جاءت التسوية عن طريق فعل

---

(٦٤) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور:/٣١٨، التفتازاني، المطول: /٤٢٤، احمد مطلوب، أساليب بلاغية: /١١١

الأمر اصبروا؛ لأن المخاطب قد يتوهم أن صبره على العذاب ينجيه منه وحتى يزيل هذا الوهم جاء بالفعل أصبروا .

الإباحة

ومن ذلك قوله تعالى" وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود" (البقرة: ١٨٧).

الآية الكريمة اشتملت على طلب الفعل عن طريق فعل الأمر (كلوا اشربوا)، ولكن هذا الطلب ليس ملزما للفرد بدليل أن الإنسان لو لم يفعله لما أوخذ؛ فقد ينام الفرد قبل ذلك دون أن يتناول شيئا من شرابه أو طعامه ويصبح صائما، ومن ثمّ كانت الصيغة فاقدة لشرط من شروط الإنجاز وهو شرط الإلزام، وهو مؤشر استدلالي على أن المتكلم أراد معنى ضمنيا آخر غير الأمر وبالعودة إلى السياق سنجد أنه أراد إباحة الأكل والشرب حتى طلوع الفجر يدلك على ذلك المقام فالمقام مقام تحرج من الفعل؛ إذ قد يتوهم الإنسان أن الساعة الأخيرة من الليل ممنوع فيهما الأكل والشرب لدنو الفجر وحتى يزيل هذا الوهم أتى بالفعل الأمر كلوا واشربوا وهذا هو الاستلزام الخطابي.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: "فإذا قضيت الصلاة فانتشروا " (الجمعة: ١٠).

الأمر في الآية فقد شرطا من شروط إنجازه وهو شرط الإلزام، يدلك على ذلك أن المخاطب لا يؤاخذ إذا لم يفعله، وهو مؤشر استدلالي على أن المتكلم أراد معنى ضمنيا غير الأمر يفهم من خلال السياق، وبالعودة إلى السياق سنجد أنه أراد إباحة الانتشار؛ يدلك على ذلك سياق الآية؛ فالآية قد وردت في سياق الأمر بترك البيع والشراء وقت الجمعة قال تعالى: "يا أيها الذين آمنوا إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله وذروا البيع ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ "(الجمعة: ٩)، وهذا من شأنه أن يجعل المخاطب يظن الأمر ممتد إلى بعد

الصلاة، ومن أجل إزالة هذا الوهم أتي بالإباحة على صيغة الأمر، وهذا هو الاستلزام التخاطبي من الأمر في الآية.

ومنه قوله تعالى: "فانتشروا في الأرض" (الجمعة: ١٠).

صيغة الأمر في الآية السابقة فقدت شرط الإلزام؛ إذ إن المأمور ليس ملزما بتحقيق الانتشار في الأرض بل له الخيار في ذلك إن شاء فعل، وإن شاء لم يفعل وبذلك فالصيغة لم تطابق مقام إنجازها وتحولت الصيغة من الأمر إلى ما يقابلها وهو الندب بمعنى أن الانتشار عقب الصلاة أمر مندوب وغير مكروه يدلك على ذلك أن ترك الفعل من قبل المخاطب لا يلحقه عقاب من قبل المتكلم.

التخيير

ومنه قول الشاعر:

فعش واحدا أو صل أخاك فإنه مقارف ذنب مرة ومجانبه

الأمر في البيت لم يطابق مقام إنجازه؛ لخرقه قاعدة الكيف ولكسر قاعدة العلاقة إذ لم يدل على طلب الفعل على جهة الاستعلاء؛ فالمخاطب ليس أدنى رتبة من المتكلم، ولم يكن ملزما بالفعل، ومن ثم فصيغة الأمر لم تكن حقيقية، ولأن المخاطب يعلم أن المتكلم ملتزم بقانون التعاون؛ فلابد أن المتكلم أراد معنى آخر غير الأمر، وبالعودة إلى السياق سيجد أن الصيغة تضمنت معنى التخيير بين الوحدة والاعتزال عن الناس أو الاختلاط بهم، وتقبل خطاياهم كما تتقبل حسناتهم، بدليل العطف بـ(أو) بين الصيغتين، وهذا هو المعنى الاستلزامي لصيغة الأمر.

والفرق بين التخيير والإباحة أن التخيير المطلوب هو أحد الأمرين وليس كلاهما على أن الإباحة تجوز الجمع بين الأمرين؛ ففي المثال الأول لا يستطيع الإنسان الجمع بين أن يعيش منفردا، وأن يخالط الناس؛ فهو إما اجتماعي، أو اعتزالي على أن الإباحة عكس ذلك ويتضح

الأمر جليا مع قولنا : (تزوج فاطمة أو أختها)؛ فهنا الأمر للتخيير، إذ لا يجوز للإنسان الجمع بين الأختين في الزواج على أن قولنا: (جالس العلماء أو الزهاد) الأمر فيه للإباحة؛ إذ قد تجمع بينهم في المجالسة.

الالتماس

من ذلك قول الشاعر: فيا صاحبي رحلي دنا الموت فانزلا برابية إني مقيم لياليا

صيغة الأمر؛ (فانزلا) في البيت السابق لم تطابق مقام إنجازها؛ لأنها فقدت شرط الرتبة إذ لم يكن الأمر فيها على جهة الاستعلاء؛ فالآمر والمأمور متساوون في الرتبة بدليل قوله: (يا صاحبي رحلي)؛ ومن ثم خرجت الصيغة عن معناها الحقيقي إلى معنى استلزامي هو الالتماس؛ فالشاعر في البيت يلتمس من أصدقائه ولا يأمرهم بان ينزلوه من على الدابة.

ومنه قوله تعالى: " فانظري ماذا ترين" (الأنعام: ١٥٠).

صيغة الأمر في الآية فقدت شرط الاستعلاء إذ أن الأمر موجه ممن هو أدنى مرتبة إلى من هو أعلى مرتبة؛ ومن ثم فالمتكلم لا يأمر وإنما يلتمس المشورة من المخاطب، وهذا هو الاستلزام الخطابي لعدم مطابقة الصيغة لمقام إنجازها.

التهديد

ويكون في مقام الأمر بشيء غير مرغوب فيه كقوله تعالى :" وجعلوا لله أندادا ليضلوا عن سبيله قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار " (إبراهيم: ٣٠).

صيغة الأمر (تمتعوا) لم تكن حقيقية؛ لأنها فقدة شرط حصولها؛ إذ لم يكن الغرض منها طلب التمتع من المخاطبين، وإنما التهديد للمخاطبين، بدليل قوله: (فإن مصيركم إلى النار) كما أن السياق الذي وردت فيه الصيغة سياق إنكار عليهم كونهم اتخذوا أندادا ليظلوا عن سبيل الله.

التعجيز

ويكون في مقام الأمر بالشيء الذي لا يستطاع فعله من قبل المأمور، ومنه قوله تعالى: "فأتوا بسورة من مثله" (البقرة: ٢٣).

الأمر في الآية السابقة لم يكن حقيقيا؛ لأنه فقد شرطا من شروط الإنجاز؛ فالمخاطب ليس بمقدوره تحقيق طلب المتكلم ولا يستطيعه، ومن ثم فهناك معنى استلزامي آخر اقتضاه المقام هو التعجيز لهم عن الإتيان بسورة من مثل القرآن ردا على ما ادعوه من أن القرآن من صنع البشر، وكأنه يقول لهم: انتم تدعون أن القرآن من صنع البشر، وأنتم بشر فأتوا بسورة من مثله إن استطعتم.

التمني

ومنه قول الشاعر : يا دار عبلة بالجواء تكلمي   وعمي صباحا دار عبلة واسلمي

صيغة الأمر(تكلمي) في البيت السابق لم تطابق مقام إنجازها؛ لعدم توفر شرط من شروط الإنجاز؛ فالمخاطب هو الدار وهي لا تستطيع إنجاز الفعل، ولأن المتكلم ملتزم بمبدأ التعاون فلابد أنه أراد من خلال هذا الخرق الإشارة إلى معنى استلزامي تتوفر فيه شروط الإنجاز وبالعودة إلى السياق سنجد أن الشاعر يتمنى ولا يأمر وهذا هو الاستلزام التخاطبي للصيغة، يدلك على ذلك السياق؛ فالسياق سياق فقد وحرمان لشيء محبوب افتقده الشاعر ويطلب حصوله مع استحالة تحققه.

ومنه قول المعري: فيا موت زر إن الحياة ذميمة   و يا نفس جدي إن دهرك هازل.

الصيغة في الشطر الأول فقدت شرط تحقق الفعل؛ لأن الموت ليس بمقدوره تحقيق طلب المتكلم، والمتكلم لا سلطة له على المخاطب، وتحولت من الأمر إلى التمني بدليل السياق، أما الصيغة في الشطر الثاني، فقد خرجت أيضا من الأمر إلى الحث على العمل.

النصح والإرشاد

ومن شواهده قوله تعلى: "يا أيها الذين آمنوا إذا تداينتم بدين إلى أجل مسمى فاكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل" (البقرة: ٢٨٢)، وقوله تعالى: "واستشهدوا شهيدين من رجالكم" (البقرة: ٢٨٢).

الأمر في الآيتين لم يطابق مقام إنجازه لكونه فقد شرط الإلزامية وذلك مؤشر استدلالي على خروج الصيغة عن معناه الحقيقي إلى معنى استلزامي هو النصح والإرشاد؛ يدلك على ذلك أن المخاطب إذا لم يفعل ما طلب منه لن يؤاخذ، ولكنه سيندم على عدم فعله في حال أنكره من استدان منه.

ومنه قوله تعالى: "انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه" (الأنعام: ٩٩).

صيغة الأمر في الآية السابقة فقدت شرط الإلزام؛ فالمخاطبين ليسوا ملزمين بالنظر إلى الثمرة بدليل أنهم إذا لم يفعلوا لم يؤاخذوا، وفقدان هذا الشرط يعد مقدمة استدلالية على أن المتكلم أراد من خلال الصيغة غرضا آخر، هو إرشادهم إلى أخذ العبرة في إعادة الخلق وإحياء الموتى بدليل قوله تعالى بعد ذلك " إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون" (الأنعام: ٩٩) .

التهديد

ومنه قوله تعالى: "اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير"(فصلت: ٤٠).

الطلب بصيغة الأمر في الآية لم يطابق مقام إنجازه لفقدانه شرط الحصول بدلالة السياق؛ فكان ذلك مقدمة استدلالية على أنه أراد معنى ضمنيا آخر غير الأمر يفهم من خلال السياق وبالعودة إلى السياق سنجد أنه أراد التهديد والوعيد؛ فالخطاب موجه للذين يلحدون بآيات الله والإلحاد أمر غير مرغوب ويغضب المتكلم.

الإهانة

ومنه قوله تعالى: "ذق إنك أنت العزيز الكريم" (الدخان: ٤٩).

صيغة الأمر في الآية السابقة لم تطابق مقام إنجازها لفقدانها شرط من شروط الأمر الحقيقية إذ ليس المطلوب منه تذوق العذاب؛ لأنه يذوقه بالفعل وإنما هناك معنى استلزامي ضمني هو الإهانة بدلالة السياق؛ فالسياق سياق سخرية وإهانة لأن المخاطبين هم من كانوا ينكرون العذاب في الدنيا.

الاحتقار

ومنه قوله تعالى: "القوا ما أنتم ملقون" (يونس: ٨٠).

صيغة الأمر في الآية السابقة لم تطابق مقام إنجازها لكونها فقدت شرط الاستعلاء؛ كونها موجهة من موسى عليه السلام لسحرة فرعون، وموسى لا سلطة له على سحرة فرعون، ولأن المقام مقام تحد ومنازلة، وموسى لديه الثقة التامة من هزيمتهم بما امتله من المعجزات والمتمثلة بمعجزة العصا؛ فقد استلزم ذلك أن يكون لصيغة الأمر معنى آخر مقصودا هو الاحتقار والتحقير لفعلهم، وهذا هو الاستلزام الخطابي للصيغة.

التسليم

ومنه قوله تعالى: " فاقضي ما أنت قاض" (طه: ٧٢).

صيغة الأمر في الآية السابقة فقدت شرط الاستعلاء؛ كونها موجهة ممن هو أقل مرتبة، وهم سحرة فرعون إلى من هو أعلى مرتبة، وهو فرعون وبذلك لم تطابق مقام إنجازها، ومن ثم فلم يكن الغرض من الصيغة الأمر على حقيقته وإنما هناك معنى استلزامي آخر نشأ من خلال الخرق وفهم من خلال السياق، وذلك هو التسليم بوعيد فرعون، يدلك على ذلك أن الفعل

المطلوب عمله من فرعون غير مرغوب من قبلهم، وهم غير قادرين على رده؛ فقد سبق وأن توعدهم فرعون بالصلب على جذوع النحل.

التعجب

ومنه قوله تعالى: "اسمع بهم وأصبر يوم يأتوننا " (مريم: ٣٨).

صيغة الأمر في الآية السابقة لم يكن الغرض منها طلب السمع، والبصر وإنما غرضها التعجب من سماع الظالمون وبصرهم حين يسمعون العذاب ويبصرونه وقد كانوا في الدنيا خرسا عميا وقيل الغرض هو التهديد بما سيسمعون ويبصرون ما يسوهم ويصدع قلوبهم(٦٥).

التحسير

ومنه قوله تعالى: " قل موتوا بغيظكم " (آل عمران: ١١٩).

صيغة الأمر في الآية فقدت شرط الامتثال من قبل المأمور؛ بدليل أنه لا يستطيع تحيق ما أمر به ومن ثم لم تطابق مقام إنجازها وتحولت إلى التحسير لهم، يدلك على ذلك قوله: (وإذا خلوا عضوا عليكم الأنامل من الغيظ).

الخبر أو الوصف

ومنه قوله تعلى: "فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا" (التوبة: ٨٢).

الصيغة في الآية السابقة فقدت شرط طلب حصول غير الحاصل وقت الطلب؛ لأنه حاصل بالفعل؛ فقد كانوا يضحكون ويسخرون من آيات الله في الدنيا، وهذا مؤشر استدلالي على أن الصيغة فقدت معناها الحقيقي، وتحولت إلى صيغة أخرى تطابق المقام، وهي الإخبار والوصف لحالتهم التي كانوا عليها في الدنيا وما سيكونون عليه في الآخرة؛ فقد كانوا يضحكون في الدنيا ولكنهم سيبكون في الآخرة كثير وهذا هو الغرض من الأمر بعد النظر في السياق؛

---

(٦٥) ينظر: الزمخشري، الكشاف، تح، عبد الرزاق المهدي، دار التراث: ١٩/٣

فالسياق سياق إخبار ووصف بواقع المنافقين الذين تخلفوا عن الخروج مع رسول الله قال تعالى : " فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم" (التوبة: ٨١)

الامتنان

ومنه قوله تعالى: "فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا" (النحل: ١١٤).

صيغة الأمر في الآية فقدت شرط طلب تحقق ما لم يكن موجودا حال الطلب بدليل أنهم يأكلوا من رزق الله دائما ومن ثم لم تطابق الصيغة مقام إنجازها؛ فخرجت إلي غرض آخر هو الامتنان والتفضل؛ يدلك على ذلك السياق فالآية ذكرت في سياق تذكير المخاطبين بجزاء السابقين لهم الذين كفروا بنعمة الله فأذاقهم الله لباس الخوف والجوع.

الإكرام

ومنه قوله تعالى: "إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ" (الحجر: ٤٦).

صيغة الأمر (ادخلوا) في الآية لم تطابق مقام إنجازها؛ لفقدانها شرط طلب الحصول لما هو غير حاصل وقت الطلب؛ فهم موجودون في الجنة بدليل قوله " إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ" ومن ثم فذلك مؤشر على أن الغرض من الأمر هو إكرام المؤمنين والمتقين بالجنة والأمن والسلام.

التكذيب

ومنه قوله تعالى: "قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" (آل عمران: ٩٣).

الأمر في الآية السابقة فقد شرط الامتثال للأمر؛ فكان ذلك مقدمة استدلالية على أن الغرض من الأمر شيئا آخر هو التكذيب لهم في ما يدعون؛ فقد زعم اليهود أن الله لم يحرم عليهم شيئا إلا ما حرم إسرائيل على نفسه، وأنه لم يحرم عليهم في التورات طيبات أحلت لهم بسبب ظلمهم لذلك أردف كلامه بقوله تعالى: (إن كنتم صادقين.

النهي حقيقته واستلزاماته الخطابية

النهي: من صيغ الإنشاء الطلبي، وهو طلب الكف عن الفعل على سبيل الاستعلاء، لأن النهي في الأصل يوجه من الأعلى منزلة إلى الأدنى منزلة، وشروط النهي الحقيقي كما وضحها البلاغيون هي (٦٦):

1- طلب الكف عن الحصول في الخارج على سبيل الاستعلاء

2- مطلوب غير حاصل وقت الطلب

3- ممكن الحصول

إذا توفرت الشروط السابقة للصيغة في السياق كان النهي حقيقيا؛ كقوله تعالى: "ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن" (الإسراء: ٣٤).

فالنهي الموجه في الآية جاء بصيغة الفعل المضارع المسبوق بـ(لا) والمطلوب منه هو طلب كف المخاطبين عن الاقتراب من مال اليتيم، وهذا الطلب ممكن الحصول والطلب موجه من أعلى منزلة إلى أدنى منزلة؛ فالطالب هو الله والمطلوب منه هم البشر، من ثم فقد توفرت الشروط السابقة في الصيغة وبذا نقول: إن النهي مطابق لمقام إنجازه وليس هناك استلزام خطابي غير النهي.

غير أن النهي في سياقات معينة قد يفقد شرطا من الشروط الآنفة الذكر؛ فيخرج عن معناه الحقيقي إلى معنى استلزامي ضمني يستدل عليه من خلال السياق، وقرائن الخطاب، ومن الاستلزامات الخطابية لخروج النهي عن معناه الحقيقي (٦٧) ما يلي:

---

(٦٦) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم، تح، نعيم زرزور:/٣٢٠

(٦٧) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم،:/٣٢٠، التفتازاني، المطول، تح، هنداوي: /٤٢٧، أحمد مطلوب، أساليب بلاغية: /١١٨

الدعاء:

ومن شواهده قوله تعالى:" ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا " (آل عمران: ٨).

النهي في الآية السابقة لم يطابق مقام إنجازه؛ لفقدانه شرطا من شروط إجرائه على الأصل وهو شرط الاستعلاء؛ فالنهي موجه ممن هو أدنى منزلة إلى من هو أعلى منزلة، وبذلك فلابد أن هناك استلزما تخاطبيا أو معنى ضمنيا آخر غير النهي يفهم من خلال السياق وإذا عدنا للسياق سنجد أنه الدعاء على سبيل التضرع والانكسار؛ يدلك على ذلك صيغة النداء: (ربنا).

الالتماس

ومنه قوله تعالى: " قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي " (طه: ٩٤).

صيغة النهي (لا تأخذ) في النص السابق لم يكن الطلب فيها حصول الكف عن الشيء؛ لأن الصيغة في السياق فقدت شرطا من شروط إجرائها على الأصل وهو شرط الاستعلاء؛ فالطلب موجه من هارون إلى موسى عليه السلام وهارون أدنى منزلة من موسى واستلزم ذلك تخاطبيا أن المتكلم أراد من موسى أن يلتمس له العذر وهذا هو المعنى الاستلزامي.

ومنه –أيضا – قول الشاعر:

خليلي من بين الأخلاء لا تكن　　　حبالكما أنشوطة من حباليا.

النصح والإرشاد

وشواهد هذا كثيرة في القرآن والكلام العربي من ذلك قوله تعالى:" يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدى لكم تسوؤكم "(المائدة: ١٠١).

صيغة النهي (لا تسألوا) لم يكن الغرض منها طلب الكف على سبيل الوجوب بدليل أن الإنسان قد يسأل ولا يؤاخذ، وهي بذلك فقدت شرطا من شروط النهي الحقيقي؛ وكان ذلك مقدمة

للاستدلال على أن المتكلم أراد من خلال هذه الصيغة شيئا آخر يستدل عليه من خلال السياق وبالرجوع إلى السياق والمقام سنجد أن المقام مقام نصح وإرشاد وهو ما يدل على أنه أراد النصح والإرشاد للمتلقي، يدلك على ذلك أن المخاطب إن ترك العمل بالنهي لن يؤاخذ وإنما قد يندم على عدم فعله، وهذا هو الاستلزام الخطابي للنهي.

ومنه أيضا قوله تعالى: "ولا يأبَ كاتب أن يكتب كما علمه الله"(البقرة: ٢٨٢)

التوبيخ

ومن شواهده قول الشاعر:

لا تنه عن خلق وتأتي مثله عار عليك إذا فعلت عظيم

صيغة النهي في البيت فقدت شرط الاستعلاء؛ لأنها موجه من الند إلى الند ومن ثم لم تطابق مقام إنجازها وتحولت من غرض النهي إلى غرض آخر يفهم من خلال السياق وإذا عدنا إلى السياق سنجد أنه أراد التوبيخ للمخاطب وهذا في ما إذا كان المخاطب ينهى عن شيء ويأتيه كما هو الحال في البيت، بدليل قوله في السياق نفسه: (يا أيها الرجل المعلم غيره هلا لنفسك كان ذا التعليم)؛ أما إذا كان الخطاب عاما فيكون غرضه النصح والإرشاد، والذي يحكم ذلك السياق أو مقام التخاطب، وهو ما يدحض القول بأن فقدان الصيغة لشرط من الشروط يحولها إلى صيغة مقابلة بحسب الشرط المفقود.

التأييس:

ومنه قوله تعالى" لا تعتذروا قد كفرتم بعد إيمانكم" (التوبة: ٦٦)

ليس المطلوب من النهي هو الكف عن طلب الاعتذار بدليل قوله: (قد كفرتم بعد إيمانكم) ومن ثم؛ فالصيغة لم تطابق مقام إنجازها؛ لفقدانها شرط من شروط إجرائها واستلزم ذلك تخاطبيا معنى ضمنيا آخر يفهم من خلال السياق وإذا عدنا للسياق سنجد أن الغرض من القول

التأييس وهو المعنى الاستلزامي لصيغة النهي يدلك على ذلك أن الخطاب موجه للمنافقين يوم القيامة ردا على كلامهم: (إنما كنا نخوض ونلعب).

وكذلك قول الشاعر :

لا تطلبن كريما بعد رؤيته   إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا

فالنهي في هذا البيت لم يكن حقيقيا لفقدانه طلب الكف على جهة الإلزام؛ فالمتكلم ليس له سلطة على المخاطب بدليل أن المخاطب لو فعل ما نهي عنه لما أوخذ ومن ثم خرجت الصيغة عن معناها الحقيقي الذي هو النهي إلى معنى آخر هو التأييس من الفعل وهذا هو الاستلزام الخطابي للصيغة؛ يدلك على ذلك قوله: (إن الكرام بأسخاهم يدا ختموا).

التحقير

ومنه قول الحطيئة: دع المكارم لا ترحل لبغيتها   واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي.

صيغة النهي (لا ترحل) لم يكن الغرض منها النهي بدليل أن طلب المكارم ليس من الأشياء التي ينهى عنها؛ كونها من الصفات المحبوبة، كما أن النهي موجه من الند للند وبذلك فالصيغة لم تطابق مقام إنجازها، ولأن الشعر ملزم بقول شيء ما للمخاطب بموجب قانون التعاون؛ فلابد أنه قصد غرضا آخر غير النهي يفهم من السياق وقرائن الأحوال، وبالعود إلى السياق ومقام الخطاب؛ سنجد أن المقام مقام هجاء وهو دليل على أنه أراد التحقير يدلك على ذلك قوله بعد ذلك (واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي) أي المطعم المكسي.

الاستفهام، واستلزاماته الخطابية

نعلم من خلال دراستنا للغة أن الاستفهام (استفعال)من الفعل (فهم) والذي يعني طلب الفهم؛ أي العلم بما لم يكن معلوما حال الطلب[٦٨]، والفهم يعنى حصول صورة المراد فهمه في النفس وإقامة هيأته في العقل، وهذا هو ما قاله البلاغيون في تعريف الاستفهام [٦٩]، وأدوات الاستفهام على نوعين: حرفان وهما (الهمزة –وهل).

وتستخدم الهمزة لطلب التصديق؛ أي طلب النسبة وتعينها مثل أن نقول: (أقام مُحَّد)، فالمتكلم يريد من خلال الاستفهام طلب تعيين نسبة القيام إلى مُحَّد من عدمها ولذلك يكون الجواب بـ(نعم أو لا)، وقد تكون للتصوّر وهو إدراك المفرد؛ أي تعينه مثل: (أقام مُحَّد أم خرج)؛ فالمتكلم من خلال الاستفهام يطلب تعيين أحد أمريين القيام أو الخروج، ولذلك يكون الجواب بتعيين المفر القيام أو القعود، أما هل فلا تستخدم إلا للتصديق مثل: هل حضر مُحَّد فيكون الجوب نعم أو لا، والنوع الثاني أسماء وأشهرها: (من –ما – متى –أين –ماذا- كيف- متى – إيان- كم) [٧٠]. وعلي ذلك فصيغة الاستفهام واحدة من صيغ الطلب ويشترط فيها مجموعة من الشروط حتى يكون إجراؤها حقيقة من قبل المتكلم وهذه الشروط هي:

1- طلب العلم بما لم يكن حاصلا وقت الطلب
2- أن يكون حصول المطلوب في الذهن
3- أن يكون المطلوب ممكن الحصول.

هذه هي شروط الاستفهام فإذا توفرت الشروط الآنفة الذكر كان الاستفهام وفق مقتضى الظاهر منه غير أن المتكلم في بعض المقامات قد يخرق شرطا من هذه الشروط ليشير إلى استلزام تخاطبي

(٦٨) ينظر: أساس البلاغة مادة (ف ه م)

(٦٩) ينظر: مُحَّد أبو موسى ، دلاله التراكيب / ٢٠٣ – ٢٠٤

(٧٠) ينظر: احمد مطلوب، أساليب بلاغية،: /١١٩

أراده يستدل عليه من خلال السياق وقرائنه؛ بمعنى أن المحدد للمعنى الذي أراده المتكلم هو المقام وليست الصيغة على اعتبار أن الصيغة لا تستوعب المقام فيما المقام يستوعبها(٧١)، والاستلزامات الخطابية لخرج الاستفهام عن معناه الحقيقي كثيرة عدَّ منها السيوطي واحداً وثلاثين موضعاً(٧٢) ومن هذه الاستلزامات ما يلي:

النفي:

ومن شواهده قوله تعالى :" هل جزاء الإحسان إلا الإحسان" (الرحمن ٦٠).

المعنى الضمني للآية هو: ما جزاء الإحسان إلا الإحسان؛ وهذا المعنى لم تقله العبارة صراحة وإنما تولد من خلال الخرق المتمثل في فقدان الاستفهام لشرط من شروط من شروط إجرائه؛ فالمتكلم لم يطلب العلم بشيء لم يكن معلوما حال الطلب، لأن المستفهم هو الله سبحانه وتعالى وهو يعلم ذلك مسبقا، من ثم فلابد أن يكون هناك غرض آخر للاستفهام و بالعودة إلى السياق سنجد أن الغرض من الاستفهام هو النفي بدليل الاستثناء الوارد في الآية.

التعجب، ولإنكار:

ومن الشواهد الدالة عليه؛ قوله تعالى: " قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب"(هود: ٧٢)

الاستفهام في الآية السابقة فقد شرطا من شروط إنجازه وهو طلب العلم بما لم يكن معلوما وقت الطلب؛ فزوج إبراهيم كانت تعلم ما استفهمت عنه؛ بدليل أنها بشرت به من قبل الملائكة ومن ثم فلا يمكن أن يكون الاستفهام على حقيقته كون الصيغة لم تطابق مقام إنجازها، ولابد أن المتكلم أراد شيئا آخر غير الاستفهام وبالرجوع إلى مقام الحديث وسياق الخطاب سنجد أنها أرادت التعجب من

(٧١) ينظر: العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني:/ ٣٣

(٧٢) ينظر: جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن : ٨٩/٢

بشارة الملائكة؛ إذ كيف تبشر بذلك وهي في مثل هذا السن بحسب مفهومها لأن المرأة في العادة إذا وصلت هذا السن امتنعت عن الانجاب؛ ولذا نجدها تذكر المسند إليه اسم إشارة في قولها "وهذا بعلي شيخا" وكأنها أرادت أن تدلل على إنكارها حصول الفعل عن طرق المشاهدة المحسوسة، كما إنها ذكرت تعجبها صراحة مؤكدا بـ(إن) فقالت: " إن هذا لشيء عجيب"، وإنما لجأت إلى الاستفهام التعجبي دون التعجب الصريح؛ لأن البشارة كانت فوق ما تعود الناس؛ فكأنها أرادت عن طريق الاستفهام حثهم على التفكير في ما نقلوه لها من البشارة.

ومن ذلك قوله تعالى- على لسان سليمان-:" قال ما لي لا أرى الهدهد" (النمل: ٢٠).

الاستفهام فقد شرطا من شروط إنجازه وهو إمكانية حصول الشيء المستفهم عنه؛ فمن حوله لا يعلمون سبب عدم رؤيته للهدهد، ولا سبب غياب الهدهد؛ واستلزم ذلك أنه لم يرد من خلال سؤاله طلب العلم بما لم يكن يعلم وإنما أراد شيئا آخر غير الاستفهام يفهم من خلال السياق وبالعودة لمقام الخطاب وسياق العبارة سنجد أنه أراد التعجب من غياب الهدهد على غير العادة إذ من العادة أن يكون الهدهد حاضرا مع جملة الطير ولما لم يكن كذلك أثار تعجب سليمان.

ومنه أيضا قول الشاعر:

أبنت الدهر عندي كل بنت فكيف وصلت أنت من الزحام؟!

الاستفهام في البيت السابق فقد شرط إمكانية الحصول بدليل أنه موجه للحمى التي أصابت الشاعر وهي لا تستطيع الإجابة عن سؤاله وبذلك امتنع إجراء الاستفهام على معناه الحقيقي واستلزم معنى ضمنيا أراده الشاعر من خلال الخرق وبمعونة السياق وقرائنه وبالعودة إلى السياق ومقام الخطاب سنجد أن السياق يخبرنا بأن الشاعر يعاني من مشاكل عديدة من ضمنها الحمى، وهو ما يشير إلى أنه أراد التعجب من الحمى وهذا هو الاستلزام التخاطبي من الاستفهام في البيت.

الاستبعاد:

ومن شواهده، قوله تعالى:" ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين " (الدخان: ١٢، ١٣)

الاستفهام في الآية السابقة ورد ممن يعلم الإجابة عليه وبذلك فقد شرط من شروط إنجازه وهو أن يكون المطلوب غير معلوم حال الطلب وهي مقدمة تشعر المخاطب بأن المتكلم قد أراد معنى ضمنيا آخر غير السؤال، وهذا المعنى هو الاستبعاد لطلبهم السابق بدلالة السياق فقد ورد الاستفهام في سياق طلب الكفار من الله كشف العذاب عنهم بعد أن جاءهم الرسول فكذبوه .

من ذلك –أيضا– قول الشاعر:"

من لي بإنسان إذا أغضبته وجهلت كان الحلم رد جوابه؟!

الاستفهام في بيت الشاعر لم يطابق مقام إنجازه لفقدانه شرط من شروط الإنجاز وهو شرط العلم بما لم يكن معلوما حال الطلب؛ فالشاعر لم يرد من خلال سؤاله العلم بما لم يكن معلوم لديه وإنما أراد استبعاد وجود شخص بهذه الصفات التي ذكرها الشاعر نفسه، وهذا هو الاستلزام الخطابي للاستفهام في البيت وجاء استبعاده عن طريق الاستفهام لما فيه من إثارة التفكر والتدبر.

الأمر

الأمر من الاستلزامات الخطابية للاستفهام، وشواهده كثيرة في النص القرآني؛ ذلك لما له من مزية أسلوبية كونه يطلب الشيء لا على سبيل الإلزام ولكن بصورة لطيفة مهذبة تبعث على الإقناع والاقتناع بالمأمور ومن ذلك قوله تعالى :"وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم" (آل عمران: ٢٠). الاستفهام في الآية لم يكن حقيقيا لأن المستفهم يعلم ما استفهم عنه؛ فهو يعلم أنهم لم يسلموا بعد ومن ثم فالجملة لم تطابق مقام إنجازها وعلى المؤول أن يبحث عن المعنى الضمني الذي يتفق مع مقام الإنجاز

ومن خلال قرائن السياق يتضح أن المعنى الضمني هو الأمر بالإسلام، بصورة لطيفة ومهذبة لما في ذلك من الإقناع لهم والمعنى الضمني هو: اسلموا وهذا هو الاستلزام التخاطبي للاستفهام بدليل أن الذين وجه إليهم الخطاب هم أهل الكتاب من اليهود والنصارى وكفار قريش.

ومنه –أيضا– قوله تعالى :"إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن دين الله فهل أنتم منتهون " (المائدة: ٩١).

الاستفهام في الآية السابقة فقد شرطا من شروط إجرائه على الحقيقة وهو شرط طلب العلم بما لم يكن معلوما حال الطلب؛ فالنص القرآني لم يطلب العلم بحقيقة انتهائهم عن شرب الخمر من عدمه؛ لأن المتكلم يعلم أنهم ما زالوا يشربونها وإنما أراد معنى ضمنيا آخر بدليل سياق الآية؛ فالاستفهام ورد في سياق بيان مذمة الخمر والميسر كما جاء مقرونا بالعلة، والسبب وذلك ما يدل على أنه أراد أمرهم بالانتهاء عن الخمر والميسر وهو المعنى الضمني للاستفهام بدليل السياق الذي هو عبارة عن بيان مضرة الخمر والميسر على الفرد.

النهي

ومنه قوله تعالى: "أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه" (التوبة: ١٣)

المعنى الضمني للاستفهام هو: (لا تخشوهم) وهذا نشا من كون الاستفهام خرج عن معناه الحقيقي لأن المستفهم يعلم مسبقا ما استفهم عنه وانتقل إلى غرض آخر هو النهي بدليل العطف (فالله أحق أن تخشوه)، قوله تعالى في سياق آخر: "فلا تخشوا الناس" (المائدة: ٤٤).

التشويق:

ومن شواهده قوله تعالى :" هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم" (الصف: ٢٠)

ليس الغرض من الاستفهام طلب العلم لأن المطلوب معلوم للمخاطب سلفا وهذا دليل على أنه أراد من خلال الاستفهام غرضا آخر هو التشويق لما يأتي بعده؛ حتى إذا جاء رسخ في البال وكان أكثر وضوحا؛ إذا السؤال مدعاة إلى طلب الإجابة وترقبها وهذا فيه ما فيه من التشويق لحضورها فإذا حضرت تقررت في الذهن.

ومن ذلك:" هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى"(النازعات: ١٥)؛ فالغرض من الاستفهام هو تشويق المخاطب لما سيأتي بعد الاستفهام من الأحداث في القصة وهذا هو الغرض الضمني للاستفهام وغالبا ما يستخدم هذا الأسلوب مع الأشياء المهمة التي يريد المخاطب إرسالها إلى مخاطبه.

التقرير

التقرير معناه حث المخاطب على الإقرار بالنفي أو الإثبات لما هو محط الاستفهام، وهو من الاستلزامات الخطابية لخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، ومن شواهده قوله تعالى" وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " (المائدة: ١١٦).

الاستفهام في الآية السابقة لم يطلب العلم بما لم يكن معلوما حال الطلب؛ لأن المستفهم يعلم أن عيسى عليه السلام لم يقل ذلك، ومن ثم فالاستفهام لم يكن حقيقيا، وإنما هناك معنى ضمنيا أراده المتكلم من خلال السؤال وعلى المخاطب أن يبحث عن المعنى الضمني الذي يحقق مطابقة الجملة لمقام إنجازها وبالعودة إلى مقام الخطاب سنجد أنه أراد تقرير المخاطب بالفعل؛ أي حمل عيسى عليه السلام على إنكار ما ادعاه القوم أو ما فعلوه؛ يدلك على ذلك جوابه –عليه السلام–:" قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق إن كنت قلته فقد علمته تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب" (المائدة: ١١٦).

ومنه أيضا قوله تعالى:" أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم" (الأنبياء: ٦٢) المطلوب من الاستفهام في الآية هو إقرار إبراهيم بالفعل الذي هو تكسير الأصنام؛ فهم لم يستفهموا عما إذا كان فعل ذلك أم لا؛ لأنهم يعلمون ذلك مسبقا وإنما أرادوا أن يقر بالفعل ومن ثم جاء جوابه عليهم بقوله:" قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون" (الأنبياء: ٦٣).

الإنكار

الإنكار هو من الاستلزامات الخطابية لخروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، ويشترط فيه أن يكون الشيء المنكر تاليا للهمزة؛ لأن الإنكار مآله إلى النفي؛ فكما أن أداة النفي تدخل على ما يراد نفيه؛ فكذا الاستفهام الإنكاري يدخل على ما يراد نفيه ومنه قوله تعالى:" أتأتون الذكران من العالمين" (الشعراء: ١٦٥) وقوله تعالى:" أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين" (الأعراف: ٨٠).

فالاستفهام في الآيتين خرج عن معناه الحقيقي؛ لأن المستفهم عنه معلوما سلفا؛ بدليل أنهم كانوا يأتون الذكران ويأتون الفاحشة، وكان ذلك مقدمة استدلالية على أن الغرض ليس الاستفهام وإنما شيء آخر يفهم من خلال السياق وقرائنه، وبالعودة إلى السياق؛ سنجد أنه أراد الإنكار عليهم كونهم يأتون الذكران وكونهم يأتون الفاحشة، ومن الملاحظ أن الفعل المنكر هنا هو إتيان الذكران، وإتيان الفاحشة؛ بمعنى إنكار الفعل كونه حصل سواء أكان منهم أم من غيره وهو استلزام تخاطبي نشأ من خلال تقديم الفعل وجعله تاليا للهمزة كما سنرى لاحقا عند الحديث عن الاستلزام التخاطبي.

التحقير

ومنه قوله تعالى: "أهذا الذي بعث الله رسولا"(الفرقان: ٤١).

الاستفهام في الآية لم يكن حقيقيا؛ لفقدانه شرطا من شروط إجرائه وهو طلب العلم بما لم يكن معلوما حال التطلب فالمستفهم في الآية هو أبو جهل والمستفهم عنه النبي ﷺ وهو يعرفه حق المعرفة،

ومن ثم؛ ففي هذا دليل أنه لم يرد الاستفهام حقيقة الشخص، وإنما أراد معنى ضمني آخر هو السخرية منه والتحقير لشأنه؛ يدلك على ذلك قوله تعالى في سياق آخر: " وقالوا لولا أنزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم" (الزخرف: ٨١).

التعظيم

ومنه قول المتنبي: من للمحافل والجحافل والسرى فقدت بفقدك نيرا لا يطلع

الاستفهام في البيت لم يكن حقيقيا؛ لفقدانه شرطا من شروط إجرائه على الحقيقة؛ فالمتنبي لم يكن غرضه طلب معرفة الشيء المستفهم عنه؛ وإنما غرضه التعظيم للممدوح يدلك على ذلك قوله في الشرط الثاني: (فقدت بفقدك) وبدليل المقام؛ فالمقام مقام رثاء وذكر مناقب.

التهكم

ومنه قوله تعالى: "قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا " (هود: ٨٧).

السؤال من قوم شعيب لشعيب لم يكن غرضه طلب العلم بما ذكروه بدليل سبق علمهم به؛ فقد نهاهم عن عبادة ما كان يعبد آبائهم ونهاهم عن التطفيف بالكيل والميزان ومن ثم فلابد أن يكون لهم غرض آخر أرادوه من خلال سؤالهم وسياق العبارة يرشدنا على أنهم أرادوا التهكم والسخرية من شعيب بدليل قولهم بعد ذلك إنك لأنت الحليم الرشيد وقصدهم عكس ما قالوه.

الوعيد

ومنه قوله تعالى: "ألم نهلك الأولين" (المرسلات: ١٦)

الاستفهام في الآية وجه ممن يعلم الإجابة وبذلك فقد شرط من شروط الإنجاز ولما كان الخطاب على عقد التعاون فلابد أن النص القرآني أراد شيئا آخر إما تقرير المخاطبين بالفعل وإما الوعيد والتهديد

وهما غرضان محتملان للاستفهام غير أن التهديد والوعيد هو الغرض الحاصل بدليل قوله تعالى بعد هذه الآية: "كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ " (المرسلات: ١٨)

الإفهام

ومنه قوله تعالى: "وما تلك بيمينك يا موسى" (طه: ١٧).

السؤال موجها من الله سبحانه وتعالى وهو يعلم ما بيد موسى وهذا دليل على أن الغرض لم يكن طلب العلم وإنما هناك غرض آخر يفهم من السياق وذلك هو إفهام موسى عليه السلام ما بعد السؤال بدليل قوله تعالى بعد ذلك: "قال ألقاها يا موسى".

التكثير

ومنه قوله تعالى: "وكم من قرية أهلكناها " (الأعراف: ١٤).

ليس الغرض من الاستفهام في الآية السابقة معرفة العدد كما هو ظاهر السؤال لأن من وجه السؤال يعلم الإجابة عليه والمسؤول لا يعلم وإنما غرضه التكثير للقرى المهلكة أي أن المعنى أهلكنا كثيرا من القرى؛ فاللفظ لفظ إنشاء والمعنى خبر بدليل سياق ورود الآية.

ملاحظة ليست المعاني المستلزمة من خروج الاستفهام عن معناه الحقيقي، منحصرة على ما ذكر، وإنما قد يكون هناك تأويلات أخرى قد تتعدد وقد تختلف أو تتفق مع ما ذكر؛ لأنها متوالدة عن السياق وقرائنه وتخضع لثقافة المؤول واتجاهاته وخلفياته الثقافية والمعرفية.

الفصل الثالث

الاستلزامات التخاطبية لخصائص التركيب

المبحث الأول

الاستلزامات التخاطبية للتقديم والتأخير

وقف البلاغيون القدامى على هذه الخاصية البلاغية وتحدثوا عنها وعن أثرها البلاغي والجمالي في النص، وقد أولى الإمام عبد القاهر جل اهتمامه لهذه الخاصية في كتابه دلائل الإعجاز لما لهذه الخاصية من ميزة بلاغية إبلاغية، وكان مما قاله عن التقديم والتأخير-: "هو باب كثير الفوائد جم المحاسن، واسع التصرف، بعيد الغاية، لا يزال يفتر لك عن بديعة، ويفضي بك إلى لطيفة، ولا تزال ترى شعراً يروقك مسمعه، ويلطف لديك موقعة، ثم تنظر فتجد سبب أن راقك ولطف عندك أن قدَّم فيه شيء وحوَّل اللفظ عن مكان إلى مكان"[٧٣].

وكان قد تحدث البلاغيون عن المعاني الضمنية التي تنتج عن التقديم والتأخير تحت مسمى الأغراض البلاغية للتقديم والتأخير، مستندين في وصفهم لها على الخرق في ترتيب الألفاظ داخل الجملة إما بحسب نوع الجملة والأصل في ترتيب ألفاظها، وإما بحسب الأصل في ترتيب الألفاظ بحسب المعنى، لذلك ومن أجل توصيف الاستلزامات التخاطبية للتقديم والتأخير فلابد من معرفة الأصل في الترتيب لنستدل من خلاله على الخرق، ولانطلاق منه بمعونة السياق لمعرفة الاستلزام.

الأصل في ترتيب الجملة وخروقاته، واستلزماته التخاطبية.

الأصل في ترتيب الجملة إذا كانت فعلية أن يقدم المسند(الفعل) ويؤخر المسند إليه(الفاعل)، والأصل في ترتيب الجملة الإسمية أن يتقدم المسند إليه (المبتدأ) ويتأخر المسند(الخبر)، ثم تأتي بعد ذلك متممات الجملة؛ كالمفعول به، والصفة، والجار والمجرور، والظرف، كأن تقول: (اشترى خالد حقيبة كبيرة

(٧٣) دلائل الإعجاز : / ٨٣

من السوق)؛ تقدم المسند(اشترى) على المسند إليه(خالد)؛ لأنك أردت أن تكون الجملة فعلية ، أو تقول في الجملة الإسمية: (خالد في المنزل القديم يكتب شعرا)؛ فتقدم المسند إليه (خالد) على المسند (في المنزل)؛ لأن الجملة اسمية؛ ثم تأتي بعد ذلك بالمتممات في الجملتين؛ هذا هو الأصل في ترتيب الجملة الفعلية والإسمية، غير أنه في بعض مقامات الخطاب قد يخرق المتكلم هذا الأصل؛ لأغراض تداولية واستلزامات تخاطبية يبتغيها من وراء الخرق وعلى المخاطب أن يستدل عليها من خلال السياق وقرائنه وذلك على النحو التالي:

تقديم المسند إليه في الجملة الفعلية، واستلزاماته التخاطبية

يقدم المسند إليه (الفاعل) على المسند(الفعل) في الجملة الفعلية، خرقا لما هو الأصل؛ فتتحول الجملة من كونها جملة فعلية إلى جملة إسمية، ويكون التقديم للمسند إليه إما في سياق النفي، أو الإثبات؛ فينشأ عن ذلك نوعان من الاستلزامات التخاطبية:

إما استلزامات تخاطبية معممة[٧٤] تنشأ من خلال تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تاليا للنفي؛ فإذا تقدم المسند إليه على المسند الفعلي تاليا للنفي فإنه يستلزم القصر استلزاما معمما دون الحاجة إلى النظر إلى السياق.

وإما استلزامات تخاطبية مخصصة[٧٥] تنشأ من خلال تقديم المسند إليه سابقا على النفي، أو في سياق الإثبات؛ فهذا النوع من التقديم قد يستلزم تقوية الحكم، أو يستلزم قصر المعنى على المتقدم، أو هما معا، استلزاما محتملا، والذي يحدد نوع الاستلزام هو السياق وقرائن الخطاب.

(٧٤) الاستلزامات الخطابية المعممة: هي تلك الاستلزامات التي لا ترتهن إلى السياق، وإنما ترتهن في حصولها إلى الوحدات اللغوية وحدها. (ينظر: جاك موشلر– آن ريبو، القاموس الموسوعي: /٢٠٧)

(٧٥) الاستلزامات الخطابية المخصصة: هي التي لا يحصل الاستدلال عليها إلا استنادا إلى معرفتنا بالظروف والأحوال المخصوصة للخطاب (ينظر: السابق)

يقول عبد القاهر الجرجاني: إذا قلتَ : (ما ضربتُ زيداً)؛ كنتَ نفيتَ عنك ضرَبك لزيد ولا يجبْ أن يكونَ قد ضُربَه غيرك، بل يجوزُ أن يكونَ قد ضرَبه غيرُك، وألاّ يكونَ قد ضُرِبَ أصلاً، وإذا قلتَ: (ما أنا ضربتُ زيداً): لم تقلْه إلاّ وزيدٌ مضروبٌ، وكان القصدُ أن تنفيَ أنْ تكونَ أنتَ الضَّاربَ [٧٦] أما إذا كان المسند إليه سابقا على النفي، أو كان التقديم في سياق الإثبات جاز في التقديم أن يكون للقصر أو لتقوية الحكم سواء أكان المقدم اسما صريحا أم مؤولا أم ضميرا معرفة أو نكرة[٧٧].

استلزام التقديم للقصر استلزاما معمما

يستلزم تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي القصر فحسب في إحدى الصور الآتية :

- ما سعد فرَّ من الميدان
- ما أنا فررت من الميدان
- ما رجل فرَّمن الميدان.

المعنى الحرفي في الجمل السابقة هو نفي الفرار عن سعد، وعن المتكلم، وعن الرجل غير أن هناك معنى استلزاميا نشأ من خلال تقديم المسند إليه (سعد- أنا -رجل) على الخبر الفعلي (فرَّ) في سياق النفي تاليا للنفي، وهذا الاستلزام هو على التوالي:

- غير سعد فر من الميدان.
- غيري فر من الميدان لا أنا.
- امرأة فرت من الميدان لا رجل.

(٧٦) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، مُحَمَّد التنجي ، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت: /١٠٨

(٧٧) ينظر: السابق: /١١٠

وهذا الاستلزام لم ينشأ من خلال الصيغة الصورية للجمل وإنما نشأ من خلال تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تاليا للنفي؛ لأن التقديم أفاد حصول الفرار، ولما كان الفرار منفي عن المسند إليه؛ فهو مثبت لغيره بالصورة نفسها التي نفيت عن المسند إليه، ومن هنا فلا يصح أن تقول: ما سعد فر من الميدان، ولا أحد غيره؛ لأنك بهذا أوقعت نفسك في تناقض نفي الفرار صراحة وإثباته في الوقت نفسه عن طرق الاستلزام الناتج من التقديم على الصورة المذكورة؟!

ولتوضيح ذلك نقول: إنك حين قدَّمت المسند إليه على الخبر الفعلي تاليا للنفي أفدت القصر حتما والقصر يقتضي أن الفعل حاصل في الجملة إلا أنه منفي عن المسند إليه، ومثبت لغيره من الناس بالقدر نفسه، فكيف بعد ذلك تقول: ولا أحد غيره؟! أو ليس قد أوقعت نفسك في تناقض من حيث أنك أثبت الفعل من خلال جملة القصر أنه حاصل ثم رجعت ونفيته بقولك ولا أحد غيره.

من جهة أخرى لا يصح أن تقول: ما أنا رأيت أحدا من الناس؛ لأنك بهذا أثبت لغيرك رؤية جميع الناس عن طريق الاستلزام وهذا مستحيل> وإنما كان ذلك من منطلق أن القصر يفيد أن ما نفيته على المسند إليه تثبته لغيره على المقدار نفسه والمستوى عينه (٧٨).

ومن شواهد التقديم الذي تستلزم القصر فحسب قول الشاعر :-

ما أنا أسقمت جسمي به   ولا أنا أضرمت في القلب نارا

المعنى الحرفي في البيت السابق هو نفي حصول السقم والإضرام في جسم وقلب المتكلم غير أن هناك معنى استلزاميا أراده الشاعر من خلال تقديم المسند إليه على المسند الفعلي تاليا للنفي، مفاده: أن من أضرم النار وأسقم الجسم هو حبيبة الشاعر؛ لأن التقديم على هذا النحو استلزم أن هناك سقم في جسم الشاعر وهناك إضرام للنار، ولما كان هذا السقم والإضرام منفي عن الشاعر؛ فهو مثبت لغيره

(٧٨) ينظر: السابق: /١٠٨

بالقدر نفسه الذي نفي عن الشاعر ليكون المعنى الضمني: حبيبتي هي من أسقمت جسمي وأضرمت في القلب نارا وهذا هو المعنى الاستلزامي الناشئ من خلال التقديم.

وشبيه بهذا قوله تعالى:"وما أنت علينا بعزيز" (هود-٩١).

المعنى الحرفي: (أنت لست عزيزا علينا)، والمعنى الاستلزامي: (رهطك هم أعز علينا منك)؛ وهذا المعنى نشأ من خلال التقديم في سياق النفي؛ لأن التعبير في الآية أفاد نفي عزة شعيب لديهم وإثبات تلك العزة لغيره؛ فكأنهم قالوا: أنت لست بعزيز ولكن قومك هم الأعزاء يدلك على هذا المعنى قول شعيب في السياق ذاته :" أرهطي أعز عليكم من الله"؟!

استلزام التقديم للقصر أو لتقوية الحكم

إن تقديم المسند إليه على الخبر الفعلي في سياق الإثبات أو في سياق النفي بشرط أن يكون المسند إليه سابقا على النفي؛ يستلزم استلزاما تخاطبيا أن يكون التقديم إما للقصر وإما لتقوية الحكم، أو هما معا، والذي يحدد نوع الاستلزام هو سياق العبارة وقرائن السياق، والفرق بين هذا النوع من الاستلزام وبين السابق هو أن هذا الاستلزام احتمالي مخصص يعتمد على قرائن السياق ومقصدية المتكلم في تحديد نوعه إذ قد يكون القصر أو تقوية الحكم أو الأمران معا، ويتجلى هذا التقديم في ست صور هي:

- سعد فرَّ من الميدان
- أنا فررت من الميدان
- جندي فرَّ من الميدان

أو

- سعد ما فرَّمن الميدان
- أنا ما فررت من الميدان

- جندي ما فرّمن الميدان

ففي الحالات السابقة تقدَّم المسند إليه (سعد- أنا- جندي) على المسند الفعلي في سياق الإثبات، أو في سياق النفي لكن كان تقديمه سابقا للنفي (سعد ما- أنا ما_ جندي ما) وفي هذه الحالة الذي يحدد الاستلزام التخاطبي من التقديم هو السياق وقرائن المقام.

بمعنى أنك حين تقول: (سعد فرَّ من الميدان)؛ فإنك بتقديمك المسند إليه على هذا النحو يحتمل أنك أردت من خلال تقديمك هذا تقوية الحكم أي التأكيد على أن الفرار كان من سعيد وذلك يكون في مقام الإنكار؛ أي أن هناك من أنكر فرار سعد، كما قد يحتمل التعبير القصر أي أنك أردت من خلال تقديمك قصر الفرار على سعد دون غيره من الناس، ويكون ذلك في مقام إقرار المخاطب بحصول الفرار ولكنه كان يعتقد أن هذا الفرار كان من سعد ومن غيره؛ فقدمت أنت المسند إليه لتقصر الفرار على سعد وتنفيه عن غيره، وحينئذ يكون القصر قصر قلب؛ لذلك كان الاستلزام الناتج عن التقديم في هذه الحالة استلزام تخاطبي مخصص؛ لأن الذي يحدد دلالة التقديم في هذه الحالة هو سياق العبارة، ومقصدية الخطاب المفهومة من خلال مقام التخاطب.

فمثلا قوله تعالى: " ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمونهم الله يعلمهم " (التوبة:١٠١).

تقديم المسند إليه (الله) على الخبر الفعلي (يعلمهم) يستلزم استلزاما محتملا أن يكون التقديم للقصر وعلى ذلك يكون المعنى الضمني: (غير الله لا يعلم المنافقين)، أو للتقوية الحكم ويكون المعنى الضمني هو: (التأكيد على أن الله يعلمهم)، أو للقصر وتقوية الحكم، وبالعودة إلى السياق سنجد أن الاستلزام الحاصل هو القصر فحسب، أما استلزام تقوية الحكم؛ فهو مستبعد يدلك على ذلك أن الخطاب موجه لمن لا ينكر وهو الرسول ﷺ وبذا يكون المعنى الضمني: أنتم لا تعلمون المنافقين.

على أن التقديم في قول الشاعر :-

هُمُ يُفْرِشُونَ اللّبدَ كُلَّ طِمرَّةٍ وأجْرَدَ سبَّاحٍ يَبُذُّ الْمُغالِيا

فهنا التقديم للمسند إليه(هم) على الخبر الفعلي(يفرشون) استلزم تقوية الحكم؛ بمعنى صدور الفعل من المسند إليه المقدَّم؛ فالشاعر هنا لم يرد قصر الفعل عليهم بقرينة عقلية وهي أن غيرهم يفعل ذلك أيضا، وإنما أراد التأكيد للمخاطب أن ذلك الفعل صادر عنهم لمنع توهم خلافه.

وكذلك التقديم في قوله تعالى: " وإذا جاءوكم قالوا آمنًا وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به " (المائدة: ٦١).

الأصل في الترتيب في غير القرآن أن يقال: (وقد دخلوا بالكفر وخرجوا به)، لكن النص القرآني خرق هذا الأصل بأن قدم الضمير (هم) على الفعل (خرجوا)؛ فكان ذلك مقدمة استدلالية على أن المتكلم أراد معنى ضمنيا من خلال التقديم وبالعودة إلى السياق سنجد أنه أراد التأكيد على أنهم خرجوا بالكفر كما دخلوا به وذلك عن طريق تكرار المسند إليه مرتين مرة منفصلا ومرة متصل بالفعل، يدلك على ذلك المقام؛ فالمقام مقام دحض ورد على ادعائهم بأنهم قد آمنوا؛ فقد يتبادر إلى ذهن المخاطب أنهم آمنوا عند لقاء المؤمنين.

وكذلك قوله تعالى:" واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون" (النحل-٢٠)

إن تقديم الضمير (هم) على الفعل لا يقصد به القصر وإنما التأكيد على المعنى وتقوية الحكم على أنهم مخلوقون من ضمن الخلق بدلالة السياق؛ فالتقديم ورد في سياق الرد على المشركين كونهم اتخذوا آلهة يعبدونهم والإنكار عليهم شركهم، وكان الأصل بحسب ظاهر الخطاب أن يكتفى بالقول (واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا) لكن لما كان قد يتبادر إلى الأذهان أن من يعبدونهم غير مخلوقين من ضمن

الخلق أتى بجملة(هم يخلقون) بتقديم المسند إليه على الخبر الفعلي تأكيدا على خلقهم ومنعا لما قد يتوهم المخاطب، فضلا عن ذلك فإن إفادة القصر ممتنعة؛ لأن هناك مخلوقات لله غيرهم .

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء:"فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون"(الشعراء: ٢٠٢)

النص القرآني في قوله (وهم لا يشعرون) فصل الضمير وأتى به مقدما على الفعل في سياق النفي سابقا للنفي على خلاف مقتضى الظاهر وهذا النوع من التقديم يستلزم استلزاما محتملا أن التقديم للقصر أو لتقوية المعنى أو القصر وتقوية المعنى، وبالعودة إلى السياق وقرائن الخطاب سنجد أن التقديم يستلزم القصر، وتقوية المعنى؛ يدلك على ذلك أن الخطاب عن عذاب كفار قريش، الذي قد يكون في الدنيا عن طريق السيف أو في الآخر عقب الموت.

ومن التقديم الذي ينشأ عنه استلزام تخاطبي تقديم (مثل) و(غير) على الخبر الفعلي إلا أن التقديم قد يستلزم تقوية الحكم، أو التعريض بالمتكلم وذلك تبعا لمقصدية المتكلم التي تُلْحَظُ من خلال سياق العبارة؛ فإذا كانت مقصدية المتكلم من تقديم (مثل وغير) على الخبر الفعلي هو الكناية من غير تعريض؛ كان التقديم لتقوية الحكم، أما إذا لم يكن كذلك فالتقديم لا يفيد تقوية الحكم وإنما يفيد السخرية من المخاطب، والذي يحدد المقصدية هو السياق وقرائن الخطاب؛ فمثلا قولهم:

(مثلك يرعى الود، وغيرك لا يجود).

العبارة السابقة تحتمل معنيين ضمنيين؛ إما التعريض بالمخاطب إذا كان السياق سياق ذم ويكون المعنى هو: (أنت لا ترعى الود وأنت لا تجود)، وإما التأكيد على المدح إذا كان السياق سياق مدح ويكون المعنى الضمني هو: (أنت ترعى الود، وأنت تجود) وهذا الاستلزام، أو الاحتمال للمعنى الضمني تولد من خلال تقديم (مثل وغير) على الخبر الفعلي؛ لأن الأصل أن يقال: يرعى الود مثلك ولا يجود غيرك.

ومنه قول الشاعر :- فمثلك يثني المزن عن صوبه   ويسترد الدمع من غربه

الأصل أن يقال: (أنت تثني المزن وتسترد الدمع) ولكن الشاعر أراد أن يمدح ويبالغ في المدح فلجأ إلى الكناية عن الممدوح بـ(مثل)؛ فكان ذلك دليلا على كرم الممدوح؛ لأنه من كان مثل الممدوح يأتي منه الكرم، فمن باب أولى الممدوح أكرم، ولم يكتف بذلك بل قدم مثل على المسند الفعلي فأكد صدور الفعل من الممدوح عن طرق تكرار الإسناد؛ فكأنه قال: مثلك يثني المزن مثلك يثني المزن وهذا هو الاستلزام التخاطبي من تقديم مثل في البيت السابق.

ومنه أيضا قول المتنبي : غيري بأكثر هذا الناس ينخدع   إن قاتلوا جبنوا أو حدَّثوا شجعوا

المعنى الضمني الذي تولد عن طريق تقديم (غير) هو: أنا لا أخدع بكثير من الناس الذين حالهم أنهم يجبنون عند القتال وتراهم أشجع ما يكون عند الكلام.

وقول أبي تمام :

وغيري يأكل المعروف سحتا   ويشحب عنده بيض الأيادي

تقديم (غير) على الخبر الفعلي (يأكل) يستلزم استلزاما محتملا أن الشاعر أراد من خلال تقديمه التعريض بغيره من الناس بأنه يأكل المعروف سحتا ويشحب عنده بيض الأيادي، أو أنه أراد تأكيد النفي من أن يكون بهذه الصفة، وبالعودة إلى السياق سنجد أن التعريض مستبعد؛ فالشاعر لم يرد من خلال تقديم (غير) في الأبيات السابقة التعريض بغيره، وإنما أراد تأكيد النفي عن نفسهِ أن يكون ممَّن يَكْفُرُ النعمةَ ويلؤم؛ يدلك على ذلك قول الشاعر بعد هذا البيت:

(تثبتْ إنَّ قولاً كانَ زوراً .... أتى النعمان قبلكَ عن زياد).

استلزام التقديم لعموم السلب أو سلب العموم

إذا أتى المسند إليه مقدما على المسند الفعلي في سياق النفي، وكان المسند أداة من أدوات العموم التي هي: "كل- جميع -عامة" استلزم التقديم استلزاما تخاطبيا معمما إما عموم السلب أو سلب العموم، ويحدد ذلك وضعية أداة العموم من النفي؛ فإذا تقدمت أداة العموم على أداة النفي أفاد التعبير عموم السلب؛ أما إذا تقدَّمت أداة النفي على أداة العموم؛ فإن التعبير حينئذ يفيد سلب العموم وذلك على النحو الآتي:

قال الشاعر :- قد أصبحت أم الخيار تدعي   علي ذنب كله لم أصنع

ففي البيت السابق نلاحظ أن أداة العموم(كل) قد جاءت في سياق النفي وقد تقدمت على أداة النفي(لم) وفي هذه الحالة فإن التعبير يفيد عموم السلب؛ ليكون المعنى الضمني أنا لم أفعل الذنب الذي تدعيه أم الخيار.

ومنه أيضا قول الرسول صلى الله عليه وسلم- إجابة عن سؤال ذي اليدين: (أقصرت الصلاة أم نسيت يا رسول الله ؟ فقال الرسول:" كل ذلك لم يكن")؛ أي لم تقصر الصلاة ولم أنس وهذا استلزام خطابي نتج عن تقديم كل على النفي.

أما قول الشاعر :- ما كل ما يتمنى المرء يدركه   تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن

فإن هذا القول يفيد نفي العموم أي نفي بعض القول وليس كله لأن أداة النفي سابقة لأداة العموم؛ لذلك كان المعنى الضمني في البيت السابق هو: المرء قد يدرك بعض ما يتمناه.

وقس على ذلك قول الشاعر:-

ما كل رأي الفتى يدعوا إلى رشد   إذا بدا لك رأي مشكل فقف.

المعنى الاستلزامي من البيت هو: بعض رأي الفتى يدعو إلى رشد

تقديم المسند على المسند إليه، واستلزاماته التخاطبية:

الأصل في الجملة الإسمية أن يقدم المسند إليه(المبتدأ) على المسند(الخبر) تقول : (محمد في الدر)، و(سعيد حاضر)؛ فتقدم المسند إليه (محمد، وسعيد) وتؤخر المسند(في الدار، وحاضر) هذا هو الأصل في الترتيب في الجملة الإسمية، لكن في سياقات معينة قد يخرق المتكلم هذا الأصل؛ لاستلزامات تخاطبية يبتغيها من خلال التقديم الذي يعد مقدمة استدلالية على المعاني الضمنية بمعونة السياق وقرائنه ومن تلك الاستلزامات ما يأتي:

القصر

كالتقديم في قوله تعالى: " لا فيها غول ولاهم عنها ينزفون" (الصافات –٤٧).

الاستلزام التخاطبي للآية هو: (خمر الدنيا مسكر ومخسر) وهذا الاستلزام لم تقله الآية صراحة وإنما نشأ من خلال تقديم الخبر (فيها) على المبتدأ؛ إذ الأصل في ترتيب العبارة أن يقال: (لا غول فيها) لكن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ فقدم المسند (فيها) على المسند إليه (غول)؛ فنتج عن ذلك جملتين إحداهما بالنفي: (لا فيها غول) مصرح بها والثانية بالإثبات (في غيرها غول) وهو الاستلزام الخطابي المضمر.

التنبيه على أن المقدم خبر لا نعت

ومنه قول الشاعر: له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر

الأصل أن يقال : (همم له) لكن الشاعر خرق هذا الأصل ليشعر المخاطب بأن الجار والمجرور المقدم خبر عن (همم) وليس نعتا له لأنه لو أخر كما هو الأصل لتوهم المخاطب أن الجار والمجرور صفة لـ(همم) لأنها نكرة تحتاج إلى التخصيص لأجل ذلك خرق الأصل وهذا هو الاستلزام الخطابي من التقديم في البيت.

التشويق لذكر المسند

ومنه قول الشاعر: ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر

الأصل أن يقول: (شمس الضحى وأبو إسحق والقمر ثلاثة) لكن الشاعر خرق هذا الأصل في الترتيب وكان هذا الخرق مقدمة استدلالية على وجود الاستلزام وبالنظر في السياق سنجد أن الشاعر أراد تشويق المتلقي لذكر المسند نظرا لأهميته، وذلك عن طريق الإبهام والتأكيد عليه عن طريق الإيضاح لما في ذلك من تقرير للمعنى المقصود في ذهن المتلقي.

تقديم متعلقات الجملة واستلزاماته التخاطبية

ومن الخروقات الخطابية لمبدأ الترتيب التي تنشأ عنها بمعونة المقام استلزامات تخاطبية؛ تقديم متعلقات الفعل على الفعل وتقديم بعض المتعلقات على بعض في النسق التعبيري ومن ذلك ما يلي:

قوله تعالى :" إياك نعبد وإياك نستعين" (الفاتحة: ٥).

الأصل أن تكون الجملة على النحو الآتي: (نعبدك ونستعينك)؛ لأن الضمير مفعول به للفعل نعبد والأصل أن يؤخر كما هو طبيعة الجملة في اللغة العربية؛ غير أن النص القرآني خرق هذا الأصل بتقديم المفعول على فعله، فكان ذلك مؤشرا استدلاليا على وجود معنى ضمني أراده النص من خلال التقديم وبالعودة إلى السياق سنجد أنه أراد القصر؛ أي إثبات العبادة والاستعانة لله سبحانه وتعالى ونفيها عمّن سواه وبذلك يكون المعنى الضمني الذي لم تذكره الآية صرحة وإنما نشأ من خلال التقديم هو: (نحن لا نعبد ولا نستعين بأحد غير الله).

ومن ذلك قوله تعالى في سورة الشعراء:"وإنهم لنا لغائظون"(الشعراء: ٥٥).

الأصل في الترتيب في غير القرآن: (وإنهم لغائظون لنا) ولكن النص القرآني قَدَّم الجار والمجرور (لنا) على المتعلق به (لغائظون)؛ فاستلزم ذلك معنى ضمنيا لم تذكره الآية مفاده قول فرعون: (أنتم لا تغيظون أحدا غيرنا).

وفي قوله تعالى: " أغير الله أتخذ وليا " (الأنعام: ١٦٦)

الأصل أن يكون التعبير: (أأتخذ وليا غير الله) على اعتبار أن غير مفعول به للفعل اتخذ غير أن النص القرآني خرق هذا الأصل عن طريق تقديم المفعول به (غير) على الفعل تاليا للهمزة؛ فنشأ عن ذلك استلزام تخاطبي مفاده: (ليس لي وليا غير الله) وهو معنى ضمني نشأ من خلال تقديم المعمول تاليا للهمزة.

ومن أنواع التقديم في سياق القول التي تنشأ عنه استلزامات خطابية تقديم بعض المعمولات على بعض.

من ذلك قوله تعالى: " وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا يقول ربي الله " (غافر: ٣٨).

في النص السابق نجد قوله تعالى: (من آل فرعون) و (يكتم إيمانه) صفة لرجل وهذا المعنى نشأ من خلال تركيب الألفاظ في الآية السابقة، غير أن هناك معنى ضمنيا آخر نشأ من خلال تقديم (من آل فرعون) على (يكتم إيمانه)، وهذا المعنى مفاده: أن هذا الرجل الذي استغرب وأنكر على آل فرعون لم يكن غريبا عنهم؛ فهو من آل فرعون ولكنه شجاع آمن بما جاء به موسى وانكر على القوم إقدامهم على قتل موسى وهذا المعنى لن يكون لولا التقديم؛ يدلك على ذلك أننا لو قالنا: (وقال رجل مؤمن يكتم إيمانه من آل فرعون)؛ لكان الاستلزام في هذه الحالة هو أن هذا الرجل يكتم إيمانه خوفا من آل فرعون، وأنه قد يكون من قوم فرعون أو من غيرهم وهو استلزام مغاير لما أرادته الآية.

وفي قوله تعالى " وجعلوا لله شركاء الجن" (الأنعام، ١٠٠).

الأصل في الترتيب بحسب الظاهر أن يقال في غير القرآن: (وجعلوا الجن شركاء لله) على اعتبار أن من وجه الخطاب بشأنهم كانوا يعبدون الجن، والغرض من الخبر انكار عليهم عبادتهم تلك، لكن النص القرآني خرق هذا الترتيب بتقديمه الجار والمجرور(لله) على (شركاء) وتقديم (شركاء) على (الجن)، واستلزم ذلك معنى ضمنيا مفاده: الإنكار عليهم كونهم جعلوا لله شريك في العبادة على الإطلاق؛ أي سواء أكان من الجن أو من غيرهم، وهذا الاستلزام لن يكون لو أنه أتى بالعبارة على أصلها فقال: وجعلوا الجن شركاء لله، بل سيلتزم التخصيص أي الإنكار عليهم كونهم جعلوا لله شركاء من الجن خاصة دون أن يتطرق لغيرهم، ومعنى ذلك أنهم لو اتخذوا شركاء غير الجن لما انكر عليهم؛ ولأن ذلك غير مراد بل المراد هو الإنكار عليهم اتخاذ شريكا لله سواء أكان من الجن أم من غيرهم قدم ما قدم واخر ما أخر.

ومنه قوله تعالى: "واشتعل الرأس شيبا" (مريم: ٤).

في الآية السابقة قدم لفظ (الرأس) وأخر لفظ (شيبا) واستلزم ذلك تخاطبيا انتشار الشيب في جميع الرأس، وهذا الاستلزام نشأ من خلال التقديم والتأخير يدلك على ذلك أنه لو قال: (واشتعل شيب الرأس) فقدم الشيب وأخر الرأس، لما أفاد هذا المعنى؛ لأنه قد يفيد شدة البياض لكنه حتما لن يفيد انتشار الشيب في جميع انحاء الرأس.

التقديم بحسب الأصل في ترتيب المعنى واستلزاماته التخاطبية

إذا كانت الاستلزامات التخاطبية في ما مضى نشأت من خلال خرق مبدأ الترتيب في نظم الجملة بحسب الأصل، وبمعونة القرائن السياقية والمقامية؛ فهناك استلزامات تخاطبية تنشأ من خلال التقديم والتأخير بحسب الأصل في ترتيب المعنى، أو خرقه ويستدل عليها من خلال مقصدية المتكلم، ومن خلال السياق وقرائنه.

ومن ذلك تقديم الملائكة على الناس في قوله تعالى: "الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس" (الحج: ٧٥).

تقديم لفظ (الملائكة) على لفظ(الناس) في الآية السابقة يستلزم استلزاما تخاطبيا أن اصطفاء الله للملائكة للرسالة كان سابقا على اصطفاء الناس، وهذا المعنى الضمني نشأ من خلال اتباع الأصل في ترتيب المعنى؛ يدلك على ذلك أن الجن اسبق من الناس في الوجود، والأصل أن يتقدم الأسبق زمنا وهذا استلزام تخاطبي نشأ من خلال اتباع الأصل في الترتيب.

غير أنه وفي سياقات معينة قد يخرق النص القرآني هذا الأصل لاستلزامات تخاطبية تفهم من خلال السياق ويستدل عليها من خلال الخرق ومن ذلك قوله تعالى: " أم لم ينبأ بما صحف موسى وإبراهيم الذي وفى" (النجم: ٣٦، ٣٧).

الاستلزام التخاطبي للآية السابقة هو: أن صحف موسى كانت أكثر انتشارا بين المخاطبين من صحف إبراهيم، وهذا المعنى لم تقله الآية صراحة وإنما نشأ من خلال خرق مبدأ الترتيب ومن خلال سياق الآية؛ إذ الأصل بحسب الأسبقية في الزمن أن يقدم إبراهيم ويؤخر موسى على اعتبار أن إبراهيم كان سابقا على موسى، ولكنه خرق هذا الأصل؛ فنشأ عن الخرق المعنى الضمني السابق؛ يدلك على ذلك أنه حين اراد الترتيب الزمني في سورة الأعلى قال: " إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى" (الأعلى: ١٨، ١٩)، لكن قد يقال لم هنا راعى الترتيب الزمني، ولم يفعل ذلك في النجم؟ نقول: لأن صحف إبراهيم وموسى وقعت بدلا من (الصحف الأولى) والحديث عن الأحكام التي وقعت فيها.

كذلك قوله تعالى: " من بعد وصية يوصى بها أو دين" (النساء: ١١)

الأصل بحسب ترتيب المعنى أن يقال: (من بعد دين أو وصية يوصي بها)؛ لأن الوفاء بالدين سابق على الوفاء بالوصية، ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل واستلزم ذلك تخاطبيا

حث المخاطبين على تنفيذ وصية المتوفى وعدم التساهل فيها، وأنها لا تقل أهمية عن الدين يدلك على ذلك أنه في العادة، قد يتساهل بعض الناس على تنفيذ وصية المتوفى؛ لما جبل عليه الإنسان من الأطماع وحب الذات لذك قدمها على الدين.

ومنه قوله تعالى: "إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ما بصاحبكم من جنة" (سبأ: ٤٦).

الاستلزام الخطابي في الآية هو أن الاجتماع أفضل من الانفراد في مقام التفكر الذي يحتاج إلى المشورة؛ وهذا الاستلزام نشأ من خلال تقديم (مثنى) على (فرادى) خرقا لما هو الأصل إذا الأصل أن يقدم الواحد قبل الاثنين.

وفي قوله تعالى: " الحر بالحر والعبد بالعبد" (البقرة: ١٧٨).

المعنى الضمني في هذه الآية هو: أن الحرية أشرف وأعظم من العبودية وهذا المعنى مستلزم من خلال تقديم الحر على العبد ولم تذكره الآية صراحة، وإنما نشأ من خلال التقديم والتأخير على اعتبار أن الأهم هو المقدم بالذكر.

أما في قوله تعالى: "وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناساي كثيرا" (الفرقان: ٤٨، ٤٩)

الأصل في الترتيب أن يذكر الأناس ثم الأنعام ثم البلدة على اعتبار أن الإنسان أكثر شرفا يليه الحيون ثم الجماد غير أن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ ليشير إلى معنى ضمني تمثل في أن البلدة سبب لوجود الأنعام والناس، والأنعام سبب لوجود الناس؛ فهم يحتاجون لها في حياتهم لنقل الأشياء، وهي مصدر لغذائهم وتنقلاتهم وهذا المعنى نشأ من خلال التقديم والتأخير ولم ينشأ من خلال المفردات وتركيبها في النص لذلك فهو استلزام خطابي للتقديم.

قال تعالى :" والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع" (النور: ٤٥).

المعنى الحرفي أن من مخلوقات الله على الأرض من يمشي على بطنه ومن يمشي على رجلين ومن يمشي على أربع هذا هو المعنى الحرفي؛ غير أن هناك معنى استلزاميا ضمنيا نشأ من خلال التقديم والتأخير وتمثل في: أن الذي يمشي على بطنه أعجب في الخلقة من الذي يمشي على رجلين والذي يمشي على رجلين أعجب من الذي يمشي على أربع وهو ما يؤكد ويدلل على قدرة الله في الخلق.

أما قوله تعالى: "فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق في الخيرات"(فاطر: ٣٢)

الاستلزام الخطابي الناتج عن التقديم هو: أن الظالم لنفسه أكثر من المقتصد والمقتصد أكثر من السابق بالخيرات يدلك على ذلك التقديم والسياق، فقد ذكرت في سياق الذين يرثون الكتاب ويعملون بمقتضاه والواقع يقول إن الملتزمين قليلون.

ومن ذلك أيضا تقديم لفظ في سياق وتأخيره في سياق خطابي مشابه كقوله تعالى في سورة الأنعام–:" ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم" (الأنعام– ١٥)، وقال في الإسراء " ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم" (الإسراء: ٣١).

نلاحظ أن النص القرآني في الآية الأولى قدم ضمير الآباء على ضمير الأبناء فقال: (نرزقكم وإياهم) واستلزم ذلك أن قتلهم لأبنائهم كان سببه الخوف على أنفسهم من الهلاك لأنهم فقراء في الأصل وكثرة الأولاد سيزيد من فقرهم بدليل قوله (من إملاق)؛ لذلك كان المعنى الضمني هو: رزقكم سيظل كما كان ولن يتأثر بسبب الأولاد، أما في الآية الثانية في الإسراء فقد فعل العكس يعني قدم ضمير الأبناء على ضمير الآباء فقال: (نرزقهم وإياكم) واستلزم ذلك أن المخاطبين لم يكونوا فقراء في الأصل وإنما كانوا يخشون الافتقار بسبب كثرة الأولاد ولذلك كان

المعنى الضمني رزق أبناءكم نحن نتكفل به ولا علاقة له برزقكم المكتوب لكم يدلك على ذلك أنه قال في الأولى من إملاق وفي الثانية خشية إملاق.

ومثل ذلك قوله تعالى في يس: " وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين " (يس:٢٠) وقال في القصص:" وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين"(القصص:٢٠).

في الآية الأولى قدم لفظ (من أقصى المدينة) على لفظ (الرجل) وفي الآية الثانية قدم لفظ (الرجل) على لفظ (من أقصى المدينة)، واستلزم هذا التغاير في التقديم والتأخير في الآيتين معان إضافية على المحتوى القضوي للنص تمثل في أنه في الآية الأولى كان الاهتمام منصبا على البعد؛ لأن السياق سياق توبيخ وسخرية من المعاندين وإصرارهم على عدم اتباع الحق الذي جاء به المرسلون مع أن الرسول بين ظهرانيهم؛ فكون الذي يدعوهم إلى إتباع المرسلين يأتيهم من بعيد ليعضهم فيه ما فيه من السخرية والتوبيخ لهم.

أما في القصص؛ فقد قدم الرجل على أقصى المدينة؛ لأن الاهتمام منصب على الرجل؛ فالغرض من الآية في القصص كان الإشادة والمدح للرجل على موقفه النبيل إذ إن الحديث في الآية مسوق لبيان التحذير والتنبيه لموسى من مؤامرة القتل التي تحاك له في السر وهو لا يعلم وكون هذا الرجل يقطع المسافات لينقل لموسى حقيقة ما يدبر له فهو أحق بالتقدير والاهتمام ومن أجل ذلك قدمه .

التقديم في سياق الاستفهام بالهمزة واستلزاماته التخاطبية

ومن أشكال التقديم الذي ينتج عنه استلزامات خطابية؛ التقديم في سياق الاستفهام بالهمزة، يقول عبد القاهر: "ومن أبين شيء في ذلك الاستفهام بالهمزة فإن موضع الكلام على أنك إذا قلت : أفعلت؟ فبدأت بالفعل كان الشك في الفعل نفسه، وكان غرضك من استفهامك أن

تعلم وجوده، وإذا قلت: أأنت فعلت؟ فبدأت بالاسم كان الشك في الفاعل من هو، وكان التردد فيه"(٧٩).

والتقديم في سياق الاستفهام بالهمزة سبق الحديث عنه عند الحديث عن الاستلزامات الخطابية للاستفهام لذلك سيقتصر الحديث على بعض النماذج من ذلك قوله تعالى: "أتبنون بكل ريع آية تعبثون وتتخذون مصانع لعلكم تخلدون" (الشعراء: ١٢٨، ١٢٩).

الاستلزام التخاطبي الناتج من التقديم هو الإنكار للفعل أنه حصل بهذه الكيفية سواء أحصل من المخاطبين في الآية أم من غيرهم وهذا الاستلزام نتج من خلال تقديم الفعل (تبنون) (تتخذون) تاليا لهمزة الاستفهام الإنكاري، يدلك على ذلك أنه لو قال: (أأنتم تبنون) لاستلزم الإنكار عليهم خاصة دون أن يتعرض لغيرهم وهو غير مراد.

ومنه قوله تعالى :" أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا إنكم لتقولون قولا عظيما "(الإسراء-٤٠).

المعنى الضمني لم يصطفيكم الله بالبنين ولم يتخذ من الملائكة إناثا وهذا المعنى نشأ من خلال تقديم الفعل وجعله تاليا للاستفهام الإنكاري.

أما إذا كان المتقدم الاسم توجه الإنكار أو التقرير بالفعل إليه ومن ذلك قوله تعالى: "أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم "(الأنبياء-٦٢).

الاستلزام الخطابي الناتج عن تقديم الاسم تاليا للهمز هو: أنه قد حصل تكسير للأصنام والفاعل مجهول لذلك قدم الاسم على الفعل في سياق الاستفهام وجعله تاليا للهمزة؛ لأن الغرض هو حمل إبراهيم- عليه السلام- على الإقرار بالفعل أنه كان منه، وليس من غيره وهذا هو النمط المألوف في كل الصيغ الاستفهامية ولذلك كان الاستلزام المتولد عنه استلزام خطابي معمم.

---

(٧٩) دلائل الإعجاز: / ٨٧

غير أن النص البليغ قد يخرق هذه القاعدة أو هذا النمط لاستلزامات خطابية يبتغيها من خلال هذا الخرق وحينئذ يتحول الاستلزام من استلزام معمم إلى استلزام خطابي مخصص نستدل عليه من خلال السياق، ومن ذلك قوله تعالى:" قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلال قل آلله أذن لكم".(يونس:٥٩)

فالاستفهام الإنكاري حصل في قوله "آلله أذن لكم" وفيه قدم الاسم (الله) على الفعل (أذن) وكان الأصل أن يكون عكس هذا الترتيب؛ لأن حصول الإذن لهم لم يكن ولم يتحقق لا من الله ولا من غيره. غير أن التعبير في الآية خرق هذا الأصل إلى تقديم الاسم على الفعل كما هو واضح في الآية، وذلك لغرض بلاغي، وهو النهي لهم بصورة رقيقة وغير جارحة بأن جعلهم في صورة من غلط فأضاف إلى الله إذنا كان من غير الله حتى يكون ارتداعهم عما فعلوه أشد وأقوى مثله في ذلك مثل أن تقول لرجل يدعي قولا كان ممن تعلم أنه لا يقوله : أهو قال ذلك على الحقيقة ؟ أم أنت غلطان؟[٨٠]

ومنه قوله تعالى " قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنْثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنْثَيَيْنِ " (الأنعام: ١٤٣، ١٤٤).

في الآية السابقة قدّم الاسم على الفعل خرقا لما هو الأصل في التقديم تبعا للغرض من الخطاب؛ لأن الغرض هو الإنكار أنه قد حصل تحريم من الله لما قالوه من الأساس؛ يدلك على ذلك سبب نزول هذه الآية؛ إذ ذكر أن السبب في نزول هذه الآية هو أن المشركين كانوا قد حرموا على أنفسهم أكل بعض الأنعام دون أن يحرمها الله عليهم؛ لذا كان الأصل أن يلي الهمزة الفعل وليس الاسم؛ لأن الإنكار متجه إلى إنكار الفعل أنه حصل إذ لم يحصل تحريم لشيء مما ذكر سابقا لا للذكرين ولا للأنثيين ولا لما في أرحام الإناث هذا هو الأصل.

---

(٨٠) : ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز: /٩٠

غير أن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ فقدم الاسم حتى يرشد المخاطب إلى غرض آخر خفي أشار إليه عن طريق الخرق وذلك هو المبالغة في الإنكار عليهم ما ادعوه بطريقة غير مباشرة، وكأنه يقول لهم: إن كان قد حصل تحريم كما زعمتم فاخبروني أي شيء حرم؟ أحرم الذكرين، أم الأنثيين أم ذلك كله؟ فإذا عجزوا عن الإتيان بجنس المحرم ودليله كان قد أنكر عليهم الفعل من أساسه أنه حصل ومثله في ذلك إذا ادعى رجل أنه أعطاك شيئا ما وأنت تنكر ذلك فحتى تبطل دعواه ذلك تقول له: أخبرني أكان ذلك في الليل أم في النهار ؟ فإذا عجز عن الإجابة كان عجزه دليلا على عدم حصول الفعل من الأساس(٨١).

(٨١) : المصدر السابق،/٩٠

المبحث الثاني

الاستلزامات التخاطبية للتنكير

ذهب النحاة والبلاغيون إلى أن النكرة من حيث هي تفيد الجنس أو واحدا من أفراده كقولك جاءني رجل لا رجلين؛ فهي هنا دالة على فرد من أفراد الجنس، وقولك: جاءني رجل لا امرأة فهي هنا دالة على الجنس[٨٢]، من ذلك قوله تعالى " وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إنّ الملأ يأتمرون بك ليقتلوك "(القصص-٢٠).

الاستلزام التخطابي للتنكير في الآية هو: أن الذي أبلغ موسى بخبر المؤامرة كان رجلا واحدا وليس امرأة وهو استلزام خطابي وضعي نشأ من خلال مؤشر لغوي في البنية السطحية وهو التنكير هذا هو الأصل في دلالة النكرة؛ غير أن النكرة قد تتضمن معان إضافية غير دلالتها على الجنس أو فرد من أفراده وهذه المعاني الإضافية مضمرة بطبيعتها يكشف عنها السياق[٨٣] وتلك هي المعاني الضمنية أو الاستلزامات الخطابية غير الوضعية للتنكر، وإنما كانت استلزامات تخاطبية غير وضعية؛ لأنها تفهم من خلال السياق وتتغير بتغير السياق، ومن الاستلزامات التخاطبية للتنكير ما يلي:

التخصيص

ومن شواهده قوله تعالى:" **ولكم في القصاص حياة** " (البقرة: ١٧٩).

---

(٨٢) ينظر: مُحَمَّد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة:/٢٦٤

(٨٣) ينظر: السابق :/٢٦٥

المعنى الضمني: لكم حياة مخصوصة تحصل بالقصاص وهي غير الحياة المعهودة، وهذا المعنى حصل من خلال أنه قال: (حياة) ولم يقل (الحياة)؛ لأن التعريف يجعل كأن القصاص سبب للحياة على الإطلاق وهذا ليس المراد بل المراد حياة مخصوصة تحصل بالقصاص ولذلك نكر اللفظ(٨٤) وقيل أن التنكير في الآية يفيد التعظيم أي حياة عظيمة(٨٥).

النوعية

ومنه قوله تعالى:"ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة"(البقرة– ٧).

المعنى الضمني هو: أنهم يبصرون إبصار غفلة لا إبصار عبرة، أو أنهم لا يرون آيات الله في ظلمات كفرهم، وهذا المعنى مستفاد من التنكير وبدلالة السياق؛ فقد ذكرت اللفظة في سياق الحديث عن سبب إعراض الذين كفروا عن الإيمان بما أنزل على الرسول ﷺ على الرغم مما في هذا الكتاب من الدلائل الواضحة والبراهين الساطعة التي لا تخفى على أحد، ونكر المسند إليه (غشاوة) ولم يقل الغشاوة، لهذا السبب وكأنه قال: نوع خاص من الغشاوة غير المتعارف عليها عند الناس وهي غطاء الإعراض عن ذكر الله.

التحقير، والإبهام

ومن أمثلته قوله تعالى:" **ولتجدنهم أحرص الناس على حياة**" (البقرة– ٩٦).

المعنى الضمني: لتجدنهم أحرص الناس على حياة حقيرة بالأساس وهي الحياة الدنيا على اعتبار أن الآخرة هي الحيوان، أو لتجدنهم أحرص الناس على حياة مبهمة غير معلومة المقدار وهذا المعنى نشأ من خلال تنكير (حياة) يدلك على ذلك السياق الذي ذكرت فيه اللفظة؛

---

(٨٤) ينظر: الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمد التنجي: /٢٢٣

(٨٥) ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩م: /١٥٦

فقد ذكرت في سياق الحديث عن مدى حرص اليهود على الحياة وأنهم لن يتمنوا الموت فهم يحرصون على الازدياد وإن كان الزائد أقل شيء؛ فكأنه قال حياة أي حياة.

التعظيم أو التحقير

ومنه قوله تعالى:" قال يا أبتي إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن " (مريم–٤٥).

تنكير (عذاب) في الآية السابقة قد يستلزم التعظيم؛ أي عذاب عظيم، أو التحقير أي أدنى عذاب، وذلك بحسب مقتضى الخطاب ومراد التكلم؛ فإن كان الغاية من الخطاب هو التخويف وإدخال الروعة في نفسية المخاطب، كان التنكير للتعظيم وإن كان الخطاب راعى موقف التأدب في الخطاب من إبراهيم لأبيه؛ فالتنكير للتحقير، أي أدنى عذاب وهو ما اختاره الزمخشري[٨٦].

التعظيم والتحقير

ومنه قول الشاعر:

له حاجب عن كل أمر يشينه   وليس له عن طالب العرف حاجب

تنكير حاجب في الشطر الأول يستلزم التعظيم؛ إي حاجب عظيم وفي الشطر الثاني يستلزم التحقير؛ أي حاجب ضئيل لا يذكر وهذا المعنى مستفاد من سياق القول؛ فالسياق سياق مدح وهذا يقتضي أن يكون الحاجب عن كل ما يشين عظيما أما عن طلب المعروف فيكون حقيرا، وهذا هو الاستلزام الخطابي للتنكير في البيت.

(٨٦) ينظر: الكشاف، تح، عبد الرزاق المهدي، مط، دار الكتب، بيروت: ٢٢/٣

التكثير والتقليل:

قد يؤتى بالمسند إليه نكرة لغرضين هما إما التكثير للمسند إليه أو التقليل له والفرق بين هذا وبين التعظيم والتحقير أن هذا خاص بالعدد بينما السابق يتجه إلى القيمة والمنزلة ومن التنكير بغرض التكثير تنكير أجر في قوله تعالى" أإن لنا لأجر إن كنا نحن الغالبون" (الأعراف-١١٣).

الاستلزام التخاطبي من تنكير(أجر) هو التكثير، والمعنى الضمني أجر كثير، وهذا المعنى نشأ من خلال التنكير بدلالة السياق؛ فاللفظة وردت على لسان سحرة فرعون مخاطبين فرعون في سياق سعي فرعون إلى تكذيب ما جاء به موسى من المعجزات والتدليل على أن ما جاء به سحر؛ فالسياق سياق تحد بينهم وبين موسى عليه السلام.

ومن التنكير لتقليل قوله تعالى:" ولئن قتلتم في سبيل الله أو متم لمغفرة من لله ورحمة خير مما يجمعون "(آل عمران- ١٥٧).

تنكير (مغفرة ورحمة) يستلزم التقليل والمعنى الضمني هو: مغفرة قليلة ورحمة قليلة من الله سبحانه وتعالى أفضل مما يجمعون ولو كان كثيرا.

التعظيم والتكثير

ومن ذلك قوله تعالى:" **فإن كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك**" (فاطر-٤)

تنكير(رسل) يستلزم التعظيم والتكثير، والمعني الضمني رسل كثر وذو شأن عظيم؛ يدلك على ذلك سياق ورود الآية فقد وردت في مقام التسلية وتطيب الخاطر للرسول ﷺ عندما كذبه قومه وكأنه قال له إن كذبوك فلا تحزن فقد كذبت رسل كثر وعظام من قبلك.

المبحث الثالث

الاستلزامات التخاطبية للتعريف

الأصل في المسند إليه أن يكون معرفة؛ لأنه محكوم عليه في المعنى؛ فينبغي أن يكون متعينا لئلا يحكم على مجهول، وبناء عليه؛ فإذا جاء المسند إليه معرفا فلا يسأل عن علته لم كان معرفا؛ لأنه جاء على الأصل، وما جاء على الأصل لا ينتج عنه استلزامات تخاطبية هذا هو الأصل، ولكن لمّا تعددت سبل تعريفه؛ إذ قد يكون التعريف بالاسم أو يكون بكناية عن الاسم كالضمير وقد يكون بقرينة حسية كأسماء الإشارة أو نسبة معهودة كالتعريف بالأسماء الموصولة أو بـ (ال) التي للتعريف؛ فإن اختيار المتكلم لنوع دون آخر من أنواع التعريف هو ما يسأل عن علته لم كان تعريفه بكذا ولم يكن بكذا؟ وما هي الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن هذا الاختيار.

ولما كان الأمر على هذا النحو؛ فإن الدراسة ستتناول الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن التعريف سواء أكان المعرف هو المسند إليه، أم غيره هذا من ناحية ومن ناحية أخرى؛ فالدراسة لن تتحدث عن الاستلزامات التخاطبية للتعريف بالضمير، أو بالعلمية؛ لأنه جار على الأصل وذلك من مهمات علم النحو، وستكتفي بالحديث عن الأنواع الأخرى؛ لأنها تدل على معان إضافية غير معانيها الأصلية تستفاد من خلال السياق وقرائنه.

التعريف بالاسم الموصول

الأصل في استخدام الاسم الموصول سواء أكان مسندا أم مسند إليه أم متمما للجملة الأصل- كما ذكر النحاة والبلاغيون- أن تكون صلته معلومة للمخاطب؛ لأن الاسم المصول

مبهما، والصلة وسيلة للتعريف به؛ فمثلا عندما تقول: (رأيت الذي حاضرنا بالأمس)؛ فهذه الجملة تستلزم تخاطبيا وضعيا أن هناك محاضرة حصلت بالأمس والمخاطب يعلمها، وأن المحاضِر مجهول لدى المتكلم؛ لأنه لو كان معلوما لذكره بالاسم الصريح هذا هو الأصل في استخدام اسم الموصول؛ غير أن المتكلم قد يستخدم اسم الموصول مع أنه يعلم الاسم الصريح لاستلزامات تخاطبية، أو معان ضمنية أرادها من خلال استخدامه للاسم الموصول وهذه المعاني غالبا ما يستدل عليها من خلال السياق، ومن خلال الخرق لمبدأ الأصل[٨٧].

ومن ذلك قوله تعالى:" وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب" (يوسف٢٣).

الأصل أن يقال راودته زليخة، أو امرأة العزيز؛ فالمسند إليه معلوم لدي المتكلم غير أن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ فكان هذا الخرق مقدمة استدلالية على أن المتكلم أراد معنى ضمنيا يستدل عليه من خلال السياق وقرائن المعنى، وبالعودة إلى السياق سنجد أنه أراد: التأكيد على عفة يوسف عليه السلام أمام إغراءات الشهوة التي منها الأمان والخلوة والسيطرة والتحكم هذا من جهة، وحفظ مقام امرأة العزيز من التشهير من جهة ثانية.

ومن التعريف بالاسم الموصول الذي ينتج عنه استلزام خطابي قول حسان بن ثابت مخاطبا أم المؤمنين ومبرئا لنفسه من أن يكون قد اشترك في ما قيل عنها في حادثة الإفك:

فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليّ أنامِلي

وإنّ الذي قدْ قيلَ ليسَ بلائطٍ[٨٨] بها الدهرَ بل قولُ امرئ بيَ ماحلِ[٨٩]

(٨٧) خرق مبدأ الأصل ينشأ إما بالإتيان بالمسند إليه اسما موصولا مع أن المسند إليه معلوما غير مجهول، وإما بكون صلة المصول مجهولة غير معلومة

(٨٨) ليس بلائط: ليس بلام

(٨٩) الماحل : الذي يسعى بالنميمة

أراد بـ(الذي قد زعمتم)، و(الذي قد قيل) الكلام الذي قيل عن عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك ولكنه لم يذكر ذلك صراحة وإنما عبر عنه بالاسم الموصول، وهذا يستلزم أن ما قيل هو مستهجن وقبيح ولا يصح أن يقوله حسان ولا غيره، كما يستلزم التعبير بالاسم الموصول أيضا أن ما قيل هو محض افتراء وبعيد عن الصواب، وأن الذي قاله غير عاقل وساقط يدلك على ذلك التعبير بالفعل المبني للمجهول قيل أي أن قائله نكرة وغير معدود في الرجال.

وقد يستلزم التفخيم والتهويل كقوله تعالى:" فغشيهم من اليم ما غشيهم" (طه: ٧٨).

الأصل ألا يأتي بالمسند إليه اسما موصولا؛ لأن صلته مبهمة للمخاطب وغير معلومة، ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل، وعبر بالاسم الموصول، فكان ذلك مقدمة استدلالية على وجود الاستلزام، وبالعودة إلى السياق سنجد أن الاستلزام التخاطبي للتعريف باسم الموصول هنا هو التفخيم والتهويل للغاشي بحيث أنه لا يمكن وصفه؛ كأنه قال فغشيهم أمر عظيم ومهول؛ يدلك على ذلك الابهام الناتج عن التعبير بالاسم الموصول.

تنبيه المخاطب إلى خطأ اعتقاده من ذلك قول الشاعر:-

إن الذين ترونهم إخوانكم   يشفي غليل صدورهم أن تصدعوا.

الأصل أن يأتي بالمسند إليه اسما صريحا؛ فهو أكثر اختصارا وأكثر وضوحا من الاسم الموصول خصوصا وأن المتحدث عنهم معلومون لدى المتلقي، ولكن الشاعر خرق هذا الأصل وأتى به اسما موصولا، إما لأن غرضه تعميم الحكم وليس حصره في أشخاص معينين وهذا الاستلزام نشأ من الدلالة اللغوية لاسم الموصول، وإما لأن غرضه لفت نظر المخاطبين، وتنبيههم إلى خطأ في اعتقادهم عن طريق التعبير بالصلة؛ كونهم اعتقدوا أن أولئك الأشخاص إخوانهم، وهم على العكس من ذلك يضمرون لهم العداء.

كما قد يستلزم التعبير بالاسم الموصول معان وتفاصيل زائدة تنتج من خلال الصلة، ومن ذلك قول أبي نواس في الخمر:

لا تُخْدَعَنّ عنِ التي جُعِلَتْ   سُقْمَ الصَحيحِ ، وصِحّةَ السُّقْمِ

أراد الشعر أن يقول: (لا تخدعن عن الخمر)، ولكنه عدل عن الاسم الصريح إلى التعبير بالاسم الموصول؛ لأن في الصلة زيادة تفاصيل ومعان ضمنية وهي أن في أفعال الخمر ما يشبه التناقض من حيث كونها تسقم الصحيح وتبرئ السقيم.

وكذلك قول عبدة بن الطيب:

ولِلأَحِبَّةِ أَيَّامٌ تَذَكَّرُها   ولِلنَّوَى قبلَ يومِ البَيْنِ تأْوِيلُ

إنَّ الَّتِي ضَرَبتْ بَيْتاً مُهاجِرَةً   بكُوفةِ الجُنْدِ غَالَتْ وُدَّها غُولُ

المعنى الضمني للبيت: إن هجر الحبيب يزيد من الشوق إليه والمحبة له، أو أنه يقضي على الحب كأن لم يكن موجودا، وهذا المعنى نشأ من خلال التعبير بالاسم الموصول: (التي ضربت بيتا مهاجرة بكوفة الجند) بدلا عن الاسم الصريح

التعريف باسم الإشارة

الأصل في اسم الإشارة أن يستخدم للدلالة على مطلق الإشارة إلى الشيء المشار إليه سواء كان حسيا أو معنويا قريبا أو بعيد مثل أن تقول: (هذا محمد)؛ فكلمة (ذا) تتضمن أمرين معًا، هما: المعنى المراد منها أي المدلول، وهو جسم الشخص، والإشارة إلى ذلك الجسم في الوقت نفسه والأمران مقترنان؛ يقعان في وقت واحد لا ينفصل أحدهما من الآخر(٩٠) ووفقا لذلك؛ فالأصل ألاّ يؤتى بالمسند إليه اسم إشارة إلا إذا كان المسند إليه مجهولا لا يتعين إلا من خلال

---

(٩٠) ينظر : عباس حسن، النحو الوافي، ط١٥، دار المعارف: ٣٢١/١

الإشارة إليه؛ كأن تقول: جاءني هذا مشيرا إلى زيد أو عمر؛ حيث لا يمكنك إحضاره باسمه وصفته في ذهن المخاطب؛ لأنه يجهلهما هذا هو الأصل.

لكن النص البليغ قد يخرق هذا الأصل إما بإتيانه بالمسند إليه اسم إشارة مع أنه معلوم غير مجهول وإما لكونه استخدم اسم إشارة للقريب مع أن المشار إليه بعيد والعكس وذلك لأغراض واستلزامات خطابية تنشأ من خلال الخرق ويستدل عليها من خلال السياق وقرائنه المبثوثة في النص ومن تلك الاستلزامات ما يلي:

التعظيم بالبعد

ومن ذلك قوله تعالى:"قالت فذلكن الذي لمتتني فيه " (يوسف- ٢٣).

المشار إليه في الآية هو يوسف عليه السلام وهو قريب من زليخة وكان المفترض بحسب الأصل أن تقول: هذا الذي لمتتني فيه غير أن النص القرآني خرق الأصل وعبر باسم الإشارة الذي للبعيد (ذلك)، والغرض من ذلك تعظيم المسند إليه عن طريق الإشارة إليه بالبعد تنزيلا لبعد المرتبة منزلة البعد المكاني، وكأنها أشارت إلى أنها مجبورة في ذلك الوله معذورة في شغفها وحبها له.

التحقير

ومن ذلك قوله تعالى:" أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم "(الماعون٢،١)

الأصل أن يقال: الذي يكذب بالدين هو الذي يدع اليتيم؛ فيعبر بالضمير على اعتبار تقدم مرجعه لكن القرآن عدل عن هذا الأصل إلى التعبير باسم الإشارة (ذلك) تحقيرا له، وكأنه غير معروف للمتكلم ويجب ألا يعرف يدلك على ذلك مقام الخطاب فالمقام مقام ذم والفعل المتحدث عنه مذموم.

التعريض بغباوة السامع

ومن شواهد هذا الاستلزام قول الفرزدق في على زين العابدين ابن الحسين بن علي بن أبي طالب إجابة عن سؤال هشام بن عبد الملك، وقد سأل عنه عندما شاهد الناس يفسحون له المجال ليستلم الحجر الأسود حيث قال:

هذا ابنُ فاطمةَ إنْ كُنتَ جاهِلَهُ بجَدِّهِ أَنْبِياءُ اللهِ قد خُتِمُوا

المشار إليه في البيت يعرفه الفرزدق، ويعرفه هشام بن عبد الملك، وكان الأصل أن يذكره الشاعر باسمه الصريح ويقول: (هو على ابن الحسين)، ولكن الشاعر خرق هذا الأصل وأتى باسم الإشارة تعريضا بغباوة هشام بن عبد الملك، وكأنه لا يفهم ولن يفهم إلا من خلال الإشارة الحسية وهذا هو الاستلزام الخطابي من التعبير باسم الإشارة بدلا عن الاسم الظاهر.

تجسيد المعنى

ومن ذلك قول ابن الدمينة يخاطب حبيبته:

أبِيتُ كأنّي بين شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً حذَارَ الرَّدَى أو خِيفةً من زِيالِكِ

تَعَالَلْتِ كي أشجَى وما بِكِ عِلَّة تُريدينَ قَتْلِي قد ظَفِرْتِ بذلكِ

في البيت الثاني قال الشاعر: (تريدين قتلي قد ضفرت بذلك) والأصل أن يقول: (قد ضفرت به)؛ فيعبر بالضمير بدلا عن اسم الاشارة على اعتبار أنه قد سبق بـ(قتلي)، ولكنه عدل عن ذلك إلى التعبير باسم الإشارة(ذلك)؛ فاستلزم ذلك معنى ضمنيا هو: أن قتله أصبح مجسدا معلوما لكل شخص مع أن قتله بعيد المنال ولا يستطيع أحد أن يفعله ولكنك مع هذا قد ضفرت به وبذلك يكون المعنى الضمني الذي نشأ من خلال التعبير باسم الإشارة هو: لن يستطيع أحد قتلى لأني قتلى صعب المنال ولكنك عن طريق ادعاؤك المرض قد نلت مني بالفعل.

ومنه قوله تعالى: "وقال لَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (النمل: ٦٧، ٦٨)

المعنى الضمني للتعريف ب(هذا) في الآية السابقة هو أن أمر البعث الذي وعدتم به آبائنا أصبح شائعا مجسدا ومع ذلك فنحن نكذب به وهذا المعنى لم يكن لو أنه عبر بالضمير.

الاستلزامات التخاطبية للتعريف بأل

ذكر عبد القاهر عند حديثه عن الفروق في الخبر أن هناك فرق بين قولك: (زيد منطلق) و (زيد المنطلق)؛ ففي الصورة الأولى أنت تريد إعلام المخاطب أن هناك انطلاق قد كان من زيد والمخاطب لم يكن يعلم شيئا عن هذا الانطلاق؛ أما في الصورة الثانية: (زيد المنطلق)؛ فالمخاطب يعلم أن هناك انطلاقا قد كان، ولكنه يجهل ممن كان، أو هو متردد في مصدره أهو زيد أم عمر؛ لذلك فأنت تعلمه أن الانطلاق كان من زيد وليس من عمر، ومعنى ذلك أن قول المتكلم: (زيد المنطلق) تستلزم تخاطبيا أن هناك انطلاق مخصوص معلوم للمخاطب قد حدث، ولكنه يجهل صاحبه أو يشك فيه.

وبناء على ذلك فإنه في الصورة الأولى: (زيد منطلق) يستطيع المتكلم أن يقول: زيد منطلق وعمر؛ وليس كذلك في الحالة الثانية حالة التعريف؛ فلا يصح أن يقال: (زيد المنطلق وعمر) والسبب في ذلك أن الحديث في الأولى كان عن انطلاق مجهول؛ فيجوز أن يشرك غير زيد في هذا الانطلاق، أما في الحالة الثانية؛ فالانطلاق كان معروفا للمخاطب؛ فهو انطلاق مخصوص فإذا اثبته لزيد فلا يصح أن تثبته لعمرو. لكن قد يقال: إن هذا الانطلاق المعروف كان من اثنين زيد وعمر نقول: إذا كان كذلك فيجب أن يقال: زيد وعمر المنطلقان[٩١]:

---

(٩١) ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمود شاكر: /١٧٧، وما بعدها

وقد يستلزم تعريف المسند قصر المسند على المسند عليه قصرا ادعائيا مبالغة وادعاء ومنه أن تقول: (زيد الجواد) و(عمرو الشجاع)؛ فهذا يستلزم أن صفة الجود بلغت الكمال بحيث لا يشاركه أحد في هذه المنزلة من الجود، ويكون المعنى أن هناك آخرين يتصفون بالجود لكن لا يعتد بجودهم مقارنة بجود زيد؛ وكذلك:(عمرو الشجاع) المعنى الضمني هو أن عمرو بلغ درجة الكمال في صفة الشجاعة بحيث أنه لا يعتد بشجاعة غيره؛ فكأنها غير موجودة مقارنة بشجاعة عمر وهذا هو الاستلزام التخاطبي للتعريف في هذين المثالين.

وهذا كسابقه من أنه لا يجوز أن تقول عمرو الشجاع وزيد فإذا أردت التعبير عن أن زيد وعمر اشتركا في هذه الصفة تقول: عمرو وزيد الشجاعان.

ومنه أيضا قول المتنبي:

ودع كل صوت دون صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى

الاستلزام التخاطبي للبيت السابق: ليس هناك شاعر غيرى بلغ الكمال في المدح وإن وجد فشعره لا يعتد به، وهذا المعنى نتج من خلال التعريف وبمعونة السياق؛ فالسياق سياق افتخار الشاعر بقوة شعره وتأثيره.

وقد يستلزم التعريف باللام القصر الحقيقي ومعنى ذلك أن تقصر جنس المعنى الذي تفيده بالخبر على المخبر عنه على دعوى أنه لا يوجد إلا منه ويكون ذلك إذا قيدت المعنى بشيء يخصصه ويجعله في حكم بذاته من ذلك قولهم:

(هو الوفي حين لا تظن نفس بنفس خيرا)؛ فالاستلزام التخاطبي للعبارة السابقة هو: أن الوفاء بهذا الشكل المخصوص صفة خاصة بالمذكور لا يشاركه فيها أحد حقيقة لا ادعاء أي أن غير المذكور ليس وفيا حين لا تظن نفس بنفس خيرا، وهذا الاستلزام نتج من تعريف الخبر بالألف واللام ومن كونه خصص الوفاء بكونه حصل في وقت لا يظن في الخير من أحد.

ومنه قول الأعشى:

هو الواهب المائة المصفاة   إما مخاضا وإما عشارا

الاستلزام التخاطبي هو: أن الممدوح هو فقط هو الواهب المائة المصفاة إما مخاضا وإما عشارا وأن غيره لا يهبها على هذا النحو المذكور؛ لأنها صفة خاصة بالممدوح لا يشاركه فيها أحد، وهي كذلك صفة دائمة ومتكررة وهذا الاستلزام نتج من خلال تعريف واهب بـ(ال) وجعله مختصا بجنس من الهبة مخصوص وهي كونه يهب المائة إما مخاضا وإما عشارا.

وقد يستلزم التعريف بـ(أل) بروز الصفة في الموصوف ومنه قول الخنساء:

إذا قبح البكاء على قتيل   رأيت بكاءك الحسن الجميلا

المعنى الضمني هو: بكائي عليك أضحى ظاهر الحسن والجمال بحث لا يشك به أحد ولا ينكره وهذا الاستلزام نشأ من خلال السياق ومن الإتيان بـ(الحسن) معرفا بالألف واللام.

ومنه قول حسان:

وإن سنام المجد من آل هاشم   بنو بنت مروان ووالدك العبد

المعنى الاستلزامي هو أن والدك مشهور بالعبودية وأن هذه الصفة اشتهرت به ولا ينكرها أو يشك بها أحد.

وقد يستلزم التعريف بالألف واللام تخيل صفة لم تجر في العادة ومنه قول ابن الرومي:

هو الرجل المشروك في جل ماله   ولكنه في المجد والحمد مفردا

المعنى الضمني هو: إن كنت تتصور رجلا يشاركه الناس ماله؛ فهو الممدوح وهو استلزام خطابي نشأ من خلال تعريف رجل بـ(أل).

ومنه قول الشاعر :

أنا الرجل المدعو عاشق فقره   إذا لم تكارمني صروف زماني

المعنى الضمني: هل تعرف رجلا يعشق فقره؛ فإذا عرفته وتصوره فهو أنا ذلك الرجل؛ فالشاعر لم يرد من خلال التعريف قصر الصفة عليه بحيث لا يشاركه غيره فيه، ولم يرد أيضا التأكيد بأن هذه الصفة أصبحت صفة ظاهرة فيه وإنما أراد من المخاطب أن يتخيل صفة يكون فيها الرجل مدعو عاشق فقره ويثبتها لنفسه وهذا هو الاستلزام التخاطبي للتعريف في البيت.

المبحث الرابع

الاستلزامات التخاطبية للتعبير بالاسم والفعل

ذكر البلاغيون أن التعبير بالاسم يستلزم الثبوت والدوام أما التعبير بالفعل فيستلزم التجدد والحدوث بمعونة القرائن؛ فقد ذكر عبد القاهر أنك إذا قلت: (زيد منطلق) وعبرت بالاسم فقد أثبت لزيد الانطلاق دون أن تجعله يتجدد مرة بعد أخرى، بل يكون المعنى معه كالمعنى في قولك: (زيد طويل) من أنك أثبت الطول له دون أن تجعله يتجدد، أما إذا قلت: (زيد ينطلق) فإنك تجعل الانطلاق يتجدد جزءا فجزءا وجعلته يزاوله ويزجيه[٩٢].

وما قاله البلاغيون يعد استلزاما تخاطبيا معمما للصيغة؛ فالتجدد أو الثبوت ينتج عن الصيغة في البنية السطحية بمعونة الساق وقرائنه، أو مقام الخطاب وليس دائما، كما أن الاستلزام يمكن أن يلغى ولا يحدث تناقض في الكلام؛ فعندما يقول المتكلم: (زيد ينطلق)؛ فالتعبير بالفعل المضارع يستلزم تخاطبيا أن المتكلم أراد أن يقول: إن انطلاق زيد لم يكن ثابتا وإنما متجددا مرة بعد أخرى، لكن مع ذلك يمكن للمتكلم أن يلغي هذا الاستلزام فيقول: لا أقصد أن انطلاقه متجدد ولا يحدث تناقض في الكلام، وهذا هو الفرق بينه وبين الاستلزام الخطابي الوضعي[٩٣]؛ كما قد تنشأ عن هذا الاستلزام استلزامات تخاطبية مخصصة تتغير بتغير السياق وقرائنه ويمكن توضيح ذلك من خلال الأمثلة الآتية:

من ذلك قول الشاعر :-

أو كلما وردت عكاظ قبيلة   بعثت إلي عريفهم يتوسم؟

(٩٢) ينظر: دلائل الإعجاز، تح، محمود شاكر: /١٧٤

(٩٣) ينظر: جاك موشلر – آن ريبو، القاموس الموسوعي للتداولية، مرجع سابق: /٢٠٧

التعبير بالفعل: (يتوسم) يستلزم أن التوسم من قبل العريف، كان متجددا مرة بعد أخرى وهو استلزام تخاطبي معمم؛ يدلك على ذلك السياق الذي هو سياق فخر واعتداد بالنفس؛ وفي هذا الاستلزام دليل على أن الشاعر شجاع ومهاب من قبل الآخرين، بدليل أن العريف يتوسم في الوجوه مرة تلو أخرى ليتيقن من عدم وجود الشاعر ضمن الناس الذين وردوا عكاظ.

ومن ذلك قوله تعالى :" يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون " (فاطر: ٣).

قال (هل من خالق)؛ فعبر بالاسم؛ وهو استلزام تخاطبي على أن الخلق ثابت دايم لا يتغير، وقال (يرزقكم)؛ فعبَّر بالفعل؛ فاستلزم ذلك أن الرزق متجدد مرة بعد أخرى، يدلك على ذلك المقام؛ فالمقام مقام تذكير بالنعم التي هي الخلق والرزق، ولأن الرزق يستهلك، ويتكاثر عبر بالفعل (يرزقكم)، وليس كذلك الخلق فالخلق ثابت لا يتغير لذلك قال(خالق).

ومثله أيضا قوله تعالى :" إنا سخَّرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق" (ص:١٨).

في الآية السابق قال: (يسبحن) دون (مسبحات)؛ وهذا يستلزم تخاطبيا أن تسبيح الجبال متجدد ومستمر، يدلك على ذلك قوله تعالى في سياق آخر: " وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحه" (الاسراء: ٤٤).

وكذلك قوله تعالى :" يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب " (الرعد: ٣٩).

قال: (يمحو ويثبت) فعبر بالفعل، وهذا يستلزم أن المحو والإثبات متجدد ومستمر حتى قيام الساعة، ويفهم منه أن على الإنسان ألا يقنط من رحمة الله وأن حياة الإنسان وأحواله متقلبة لا تستمر على حال؛ فقد يكون الإنسان في فترة من فتراته عاصيا ذنوبه كثيرة؛ فيقبل على الله بالتوبة فيمحو الله سيئاته بما قدمه من حسنات، وقد يستمر على معاصيه فيثبتها له أيضا.

ومنه أيضا قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ " (الملك: ١٩).

قال: (صافات ويقبضن)؛ فاستلزم ذلك أن الطير في السماء تبسط أجنحتها وهذا هو الأصل لذلك عبر بالاسم(صافات) وأن القبض حركة طارئة عليه لذلك عبر بالفعل (يقبضن)، فكان دقيقا في التعبير عن المعنى المراد عن طريق الاستلزام، يدلك على ذلك المغايرة في الأسلوب؛ فلما كانت حركة القبض طارئة ومتجددة عبر عنها بالفعل ولما كان البسط ثابتا عبر عنه بالاسم.

على أن التعبير بالاسم لا يفيد الثبوت دائما؛ بل قد يستلزم الاستمرار والدوام بمعونة السياق والقرائن المبثوثة فيه ومقصدية المتكلم من ذلك قول الشاعر :-

إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت إلى طرق الخيرات تستبق

لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق

الاستلزام التخاطبي للبيت الثاني هو: أن خزينة الشاعر فارغة من الدراهم ليس من فقر أو من عوز وإنما؛ لأنه مستمر في إنفاقها في فعل الخير، وهذا الاستلزام لم تقله الأبيات صراحة وإنما نشأ من خلال قوله: (يمر عليها وهو منطلق) عبر بالفعل (يمر) فاستلزم ذلك أن مرور الدرهم على الخزينة متجدد مرة بعد أخرى وهذا يعني أن خلو الخزينة ليس عن فقر وإنما عن إنفاق، وعبر بالاسم(منطلق)؛ فاستلزم ذلك أن الانطلاق دائم ومستمر؛ يدلك على ذلك السياق؛ فالسياق سياق افتخار واعتداد بالصفات الحميدة التي من ضمنها الكرم ومساعدة المحتاجين.

ويزداد الأمر وضوحا من خلال التعبير في الآية الكريمة في سورة الكهف؛ قال تعالى :" وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ولملئت منهم رعبا "(الكهف ١٨).

قال: (باسط)؛ فاستلزم ذلك أن الكلب ثابت ودائم على هذه الهيئة هيئة بسط الذراع، ولم يقل: (يبسط)؛ لأن التعبير بالفعل يستلزم الاستمرار المتجدد أو الحدوث المتكرر بمعنى يبسط

ويكف عن البسط وهو ما لم ترده الآية التي أرادت الاستمرار الدوامي للفعل؛ بمعنى ثبوت الهيئة للكلب على ذلك الحال.

على أنه حين أراد نقل مشهدا آخر يتعلق بمشهد أهل الكهف، وهذا المشهد يفيد الاستمرار التجددي وليس الدوامي أتى بالمسند فعلا وذلك في قوله تعالى :" وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وذات الشمال " (الكهف: ١٧).

فقد أراد القرآن الكريم نقل حركة الشمس وانتقالها تارة من الشمال، وأخرى من اليمين فعبر بالفعل (تزاور) وهذا يستلزم التجدد والانقطاع لحركة الشمس من الشروق إلى الغروب، وليس ثابتا كما هو الحال في هيئة الكلب في الآية السابقة.

ومن ذلك قوله تعالى: " وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَتَّبِعُوكُمْ سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون " (الأعراف: ١٩٣).

المعنى الضمني أو الاستلزامي هو: سواء عليكم أدعوتموهم دعوة متجددة أم لازمتم الصمت، وهذا المعنى مستفاد من خلال التعبير بالجملة الفعلية(أدعوتموهم) فاستلزم ذلك التجدد والحدوث، والتعبير بالجملة الاسمية (انتم صامتون) التي تستلزم الثبوت، يدلك على ذلك أن هذه الآية وردت في سياق الإنكار على المشركين اتخاذا الأصنام آلهة يعبدونها، وكان من عدتهم أنه إذا نزلت بهم نازلة توجهوا إلى أصنامهم بالدعاء.

ولأن التعبير بالاسم يفيد الثبوت والدوام، والتعبير بالفعل يفيد التجدد والحدوث بمعونة القرآن؛ فقد ذهب البلاغيون إلى أن التعبير بالجملة الاسمية يفيد تأكيد المعنى أكثر مما يفيده التعبير بالجملة الفعلية ولذا؛ فهي تؤثر في التعبير دون الفعلية في بعض مقامات الخطاب كما في قوله تعالى مخبرا عن المنافقين "وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا، وإذا خلوا إلى شياطينهم قالوا إنَّا معكم إنما نحن مستهزئون "(البقرة: ١٤)

إذ إن الآية حين نقلت موقف المنافقين مع المؤمنين على أنه موقف غير ثابت وغير دائم، وإنما هو مبني على الغش والمخادعة أتت بالمسند فعلا فقالت: (آمنا) بالجملة الفعلية على حين عند ما كان موقفهم مع زعمائهم ثابتا ومستقرا عبَّر القرآن بالجملة الاسمية فقال:(إنما نحن مستهزئون)؛ بمعنى أن حقيقتهم الثابتة والدائمة من المؤمنين هي الاستهزاء وليس الإيمان.

ومن هذا المنطلق أيضا قال البلاغيون: إن سلام إبراهيم كان أبلغ من سلام الملائكة في قوله تعالى " ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام" (هود: ٦٩)– وإنما كان كذلك؛لأنه عبر بالجملة الاسمية إذ التقدير عيكم سلام عبر بالجملة الإسمية؛ فكان سلامه ثابتا ودائما بخلاف سلام الملائكة الذي كان بالجملة الفعلية (سلاما)؛ إذ التقدير: (نسلم سلاما) والتعبير بالجملة الفعلية يستلزم التجدد والحدوث، وليس الدوام.

كما ندرك سر اختار القرآن الكريم الدقيق للفعل في قوله تعالى: (الذين ينفقون) وليس (المنفقين) في أكثر من موضع، كما قال كثيرا (المؤمنون)، و(المتقون)؛ ذلك لأن التعبير بالفعل يستلزم تجدد النفقة مرة بعد أخرى وحقيقة النفقة أمر فعلي شأنه الانقطاع والتجدد بخلاف الإيمان والتقوى؛ فإن لذلك حقيقة تقوم في القلب يدوم بمقتضاها الفعل؛ فلما كان الإنفاق شيء فعلي يتجدد مع الزمن عبر بالفعل، ولما كان الإيمان شيء يقيني اعتقاد ثابت ومستمر عبر بالاسم[٩٤].

ومن ذلك قوله تعالى: "هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ۞ تنزل على كل أفَّاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون" (الشعراء: ٢٢١– ٢٢٣).

أنظر مرة أخرى إلى روعة القرآن الكريم في التعبير عن المعنى بطريق الاستلزام الناتج من المغاير في التعبير بين الفعل والاسم؛ فحين أراد التعبير عن الاستماع قال: (يلقون السمع)

---

(٩٤) ينظر: الزركشي، البرهان، تح، محمد أبو الفضل: ٤/٦٧

باستخدام الفعل؛ فاستلزم ذلك تكرار فعلهم هذا مرة بعد أخرى وأنه استماع متقطع وليس ثابتا، وحين أراد التعبير عن كذبهم قال: (أكثرهم كاذبون) بالجملة الاسمية؛ فاستلزم ذلك ثبوتهم وديمومتهم على الكذب، والمعنى الضمني لكل ذلك أغلب ما تلقيه الشياطين كذبا وليس كذلك القرآن الذي تصفونه بالسحر.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: "وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" (يوسف: ١٦).

المعنى الضمني هو: أن اخوة يوسف عندما جاءوا أباهم كانوا يجددون البكاء مرة بعد أخرى يدلك على ذلك العدول في الحال من (باكون) إلى (يبكون) مع أن الفعل ماض.

مع كل ذلك فيجب التنبيه إلى أن استلزام الفعل للتجدد والاسم للثبوت مرده إلى المقام وقرائنه وليس على الإطلاق؛ فهو كما سبق الإشارة استلزام تخاطبي معمم لكن بمعونة السياق وقرائنه؛ إذ ليس كل فعل يقتضي التجدد وليس كل اسم يستلزم الثبوت وإنما يكون ذلك بمعونة قرائن السياق.

الفصل الرابع

الاستلزامات التخاطبية لطرائق التعبير عن المعنى

مدخل

على الرغم من اتفاق البلاغيين على أن الإيجاز والإطناب من أعظم أبواب البلاغة بل جعله بعظهم هو البلاغة بعينها[٩٥]؛ إلا إنهم اختلفوا في طرائق التعبير عن المعنى؛ فمنهم من يقول: إنهما طريقان هما: الإيجاز والإطناب ولا واسطة بينهما، ومنهم من قال: إنها ثلاث طرائق هي: الإيجاز، والاطناب، والمساوة على اعتبار المساواة طريق ثالث تعد واسطة بين الإيجاز والإطناب، وتعني مطابقة اللفظ للمعنى دون زيادة أو نقصان.

فالسكاكي وجماعة على أن هناك واسطة بين الإيجاز والإطناب هي المساوة لكنها في نظرهم غير محمودة وغير مذمومة؛ لأنها متعارف الأوساط الذين ليس لهم حظ في البلاغة، وعلى ذلك عرفوا الإيجاز على أنه أداء المقصود بأقل مما هو متعارف الأوساط، وعرفوا الإطناب على أنه أداء المطلوب بلفظ أكثر مما هو متعارف الأوساط، وذهب ابن الأثير وجماعة إلى القول: بعدم وجود واسطة بين الإيجاز والإطناب وعرفوا الإيجاز على أنه أداء المقصود بلفظ أقل والإطناب على أنه أداء المقصود بلفظ أكثر[٩٦].

وقال القزويني: الأقرب أن يقال أن المقبول من طرق التعبير عن المقصود ثلاث طرق: إما تأدية المعنى بلفظ مساو له وتلك هي المساواة، أو بلفظ أقل منه واف وذلك هو الإيجاز، أو بلفظ أزيد منه لفائدة وذاك هو الإطناب[٩٧].

---

(٩٥) ينظر: السبكي، عروس الأفراح، تح، هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت: ٥٧٥/١

(٩٦) ينظر: السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، مُحَمَّد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية: ١٦١/٣

(٩٧) ينظر: السابق

ويبدو لي أن ما ذهب إليه السكاكي وجماعته هو الأرجح، بمعنى أن هناك ثلاث طرق للتعبير عن المعنى:

الأولى: هي المساواة؛ أي أن يكون اللفظ على قدر المعنى، وهذا هو الأصل في التعبير، ولا ينتج عنها استلزام تخاطبي؛ لذلك فهي غير محمودة ولا مذمومة، فالألفاظ على قدر المعنى، ومن خلالها يتم الاستدلال على الخرق إما بزيادة الألفاظ على قدر المعنى لغرض؛ فتوصف الزيادة بالإطناب وإما بنقصان الألفاظ على قدر المعنى دون إخلال؛ فيوصف النقصان بالإيجاز.

الثانية: هي طريقة الإطناب وهي زيادة اللفظ على قدر المعنى لفائدة تفهم من خلال السياق والقرائن المبثوثة في النص.

الثالثة: هي الإيجاز وهي الإتيان باللفظ أقل من المعنى من غير إخلال وهاتان الطريقتان؛ أعني الإيجاز والإطناب هما موضوع البلاغة؛ لأنهما خرقتا الأصل؛ فنتج عن الخرق استلزامات تخاطبية تمثلت في أمرين:

الأول الحفاظ على قاعدة من قواعد الأسلوب عند البلاغيين القدامى وعند غرايس(توخي الإيجاز غير المخل، أو ليكن كلامك موجزا)؛ فالمتكلم قد يضطر إلى خرق قاعدة من قواعد مبدأ التعاون من أجل أن يحافظ على قاعدة أخرى؛ كما هو الحال في سلوك المتكلم الطريقة الثالثة من طرق التعبير وهي طريق الإيجاز بالقصر أو بالحذف، والأمر.

الثاني: المعاني الضمنية الزائدة التي تنتج عن الإطناب والإيجاز بالحذف والمستنبطة من خلال السياق وبمعونة القرائن كما سيأتي.

ويبدو لي أن الآلية التي اتبعها البلاغيون والتي بدت من خلال التفريق بين المصطلحات الثلاثة وحديثهم عن الأغراض الناتجة عن الإيجاز والإطناب وتفريقهم بين الاطناب

والحشو والتطويل كانت أكثر وضوحا ودقة من مبدأ الكم عند غرايس أو قاعدة الأسلوب؛ كن موجزا من حيث كونها بنيت على أساس هو مطابقة الألفاظ للمعاني على اعتبار أنه الأصل يتم من خلاله الاستدلال على الخرق والتنبؤ بالاستلزام، ويمكن توضيح هذه الآلية، والتي من خلالها يمكن الاستدلال على الخرق الذي هو الإيجاز والإطناب والانطلاق منه إلى السياق لمعرفته وتحديده وذلك على النحو التالي:

الأصل في التعبير إذا كان المعنى حرفيا أن تكون الألفاظ على قدر المعنى المقصود.

إذا حدث خرق في المطابقة بين الألفاظ والمعاني إما بزيادة الألفاظ على قدر المعنى، أو بنقصان الألفاظ عن قدر المعنى؛ فإن ذلك يعد مؤشرا استدلاليا على أن المتكلم أراد من خلال هذه الزيادة أو النقصان معنى ضمنيا أو استلزاما تخاطبيا على المخاطب أن يبحث عنه من خلال المقام وقرائن السياق.

ولتوضيح ذلك من خلال الأمثلة نقول: إذا كان غرض المتكلم الإخبار بأن الذي قتل عليا هو محمد فقال: (قتل محمد عليا)؛ فهذا القول جار مجرى الأصل ولم ينتج عنه استلزام خطابي؛ لأن الألفاظ على قدر المعنى المقصود.

ولكنه لو قال: (قُتِلَ على)؛ فهذا القول خرق الأصل؛ لأن الألفاظ أقل من المعنى بحسب الغرض بدليل أن المتكلم لم يخبرنا من القاتل، وبالتالي فهو يستلزم تخاطبيا– بحسب المقام وظروف النص– المعاني التالية: إما أنه خائف على محمد من أن يقتل؛ لأنه قتله كان عن طريق الخطأ والقاتل تربطه بالمتكلم قرابة من نوع ما، وإما أنه خائف من القاتل في حال كان القاتل شريرا، وإما أن المتكلم لا يعرف القاتل، وكلها استلزامات محتملة قبل النظر في السياق وعلى المؤول أن يأخذها كلها في الحسبان ولا يستثني منها واحدا إلا إذا وجدت قرائن تصرف بعضها وتبقي بعضها بعد النظر في السياق.

بالمقابل لو قال المتكلم: (حضر أبي)؛ وكان غرض المتكلم إعلام المخاطب بحضور الأب؛ فهذا القول ليس له استلزام خطابي؛ لأن لألفاظ فيه على قدر المعنى.

ولكنه لو قال: (حضر أبي محمد)؛ فهذا القول إطناب؛ لأن لفظة(محمد) زائدة على قدر المعنى؛ بدليل أن كلمة (أب) المنسوبة للمتكلم تغني عن كلمة (محمد) كما هو الظاهر، ومن ثم فلابد أن المتكلم أراد من خلال هذه الزيادة إعلام المخاطب معنى ضمنيا آخر مضافا إلى الإعلام بالحضور بمقتضى قانون التعاون، وعلى المخاطب أن يستنبطه من خلال القرائن، والتي منها أن كلمة (الأب) في العربية قد تطلق على الوالد والجد (معلومة ثقافية معرفية)، وطبقا لهذا فلابد أن المتكلم أراد من خلال الزيادة إما إعلام المخاطب ضمنيا أن جده وأباه مازالا على قيد الحياة إذا كان المخاطب لا يعلم ذلك، وإما أنه أراد تحديد الحاضر منهما؛ إذا كان المخاطب يعلم أن جد ووالد المخاطب مازالا على قيد الحياة؛ لأنه إذا قال: (حضر أبي) لما عرف المخاطب من الحاضر أهو الجد أم الأب حتى يقول (محمد) فيتحدد الحاضر منهما ضمنيا عن طرق الزيادة.

المبحث الأول

الإيجاز واستلزاماته الخطابية

الإيجاز في اللغة يعني التقصير تقول أوجزت الكلام أي قصرته وكلام موجز أي قصير، والإيجاز في اصطلاح البلاغيين الإتيان باللفظ أقل من المعنى من غير إخلال وينقسم إلى قسمين؛ إيجاز قصر وهو أن يأتي المتكلم بالمعاني الكثيرة بألفاظ قليلة دون حذف يذكر وإنما يكون ذلك من خلال إيحاءات الألفاظ في الأسلوب، والثاني: إيجاز حذف وهو عبارة عن الإتيان بالألفاظ أقل من المعنى عن طريق حذف كلمة أو جملة أو أكثر من جملة من التعبير(٩٨).

وقد تحدث عبد القاهر عن إيجاز الحذف وكان لحديثه الأثر الكبير في العديد من الدراسات البلاغية التي جاءت بعده، وكان مما قاله عن الحذف "هو بابٌ دقيقُ المسلك لطيفُ المأخذ عجيبُ الأمر شبيه بالسِّحر فإنَّك ترى به ترك الذِكْر أفصحَ من الذكر والصمت عن الإفادة أزيدَ للإفادة وتجدُك أنطقَ ما تكونُ إذا لم تنطِقْ وأتمَّ ما تكون بياناً إذا لم تُبِن"(٩٩)، ومن خلال موازنة عبد القاهر بين الذكر والحذف في المقامات التي تتطلب الحذف يرشد المتلقي إلى جمال الحذف وأثره البلاغي وذلك من خلال الأمثلة التوضيحية من الشعر والنثر التي تناولها وهو يتحدث عن حذف المسند إليه.

وبعد ذلك يتحدث عن حذف المفعول به ويضع قاعدة عامة للحذف لا تختلف كثيرا عن قاعدة الكم عند غرايس، ويتجلى ذلك من خلال حديثه عن حذف المفعول به حيث يقول: وهاهنا أصلٌ يجب ضَبْطُه وهو أنَّ حالَ الفعل معَ المفعول الذي يتعدَّى إليه كحالهُ مع الفاعل؛ فكما أنك

---

(٩٨) ينظر: السبكي، عروس الأفراح، تح، هنداوي: ٥٧٥/١، السيوطي، الإتقان في علوم القرآن: ١٦٣/٣

(٩٩) عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح، محمد التنجي: /١٢١

إذا قلت: ضَرَبَ زيدٌ فأسندت الفعلَ إلى الفاعل؛ كان غرضُك من ذلك أَنْ تثبتَ الضرْبَ فِعْلاً له لا أَنْ تفيدَ وجودَ الضَّرب في نفسه على الإطلاق، وكذلك إذا عدّيتَ الفعلَ إلى المفعولِ فقلتَ: ضربَ زيدٌ عَمْراً كان غرضُك أن تفيدَ التباسَ الضرب الواقعِ مِنَ الأول بالثاني ووقوعَه عليه ولم يكنْ ذلك لِيُعْلَمَ وقوعُ الضَّربِ في نفسه؛ بل إذا أُريدَ الإخبارُ بوقوعِ الضَّرب ووجوده في الجملة من غير أن يُنْسَبَ إلى فاعلٍ أو مفعولٍ أو يَتَعَرَّضَ لبيانِ ذلك بالعبارةِ فيه أن يقالَ: كانَ ضربٌ أو وَقَع ضربٌ أو وُجِدَ ضربٌ[١٠٠].

ويفهم من كلام عبد القاهر أن الأصل في الكلام أن يقتصر المتكلم في خطابه على قدر الحاجة، أو ما يفي بالغرض ويوصل القصد من الخطاب؛ فإذا كان قصدك إثباتِ المعنى في نفسهِ للشيء على الإطلاق وعلى الجملة؛ فيجب أن تقتصر في ذلك على الفعل والفاعل دون التعرض لذكر المفعول؛ كأن تقول فلانٌ يَحُلُّ ويَعقِد ويأمرُ وَينهَى ويأمرُ وينهَى ويَضُرُّ وَيَنْفَعُ، وعلى ذلك قولُه تعالى : "قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والّذينَ لا يَعْلَمُونَ" (الزمر : ٩) المعنى أو الغرض هو نفي الاستواء بين من يعلم ومن لا يعلم على إطلاقه، وهذا المعنى استدللنا عليه من خلال مطابقة المتكلم بين الألفاظ والمعنى المقصود، ولم يذكر المعلوم الذي هو المفعول به؛ لأنه غير مقصود من المتكلم، وذكره يبطل الغرض وينقض المعنى.

ألا ترى أنك لو قلت فلان يعطي الدنانير كان قصدك أن تُعْلِم السامعَ أنَّ الدنانيرَ تدخُلُ في عطائِه لمن أنكر أنه يعطي الدناني، أو أنه يعطيها خصوصاً دونَ غيرها؛ لمن قال أن عطاؤه يشمل الدنانير وغيرها، ولم يكن كلامُك مع مَنْ نفى أن يكونَ كان منه إعطاءٌ بوجهٍ من الوجوه بل مع مَن أثبتَ له إعطاءً إلا أنه لم يُثْبِتْ إعطاءَ الدنانير[١٠١].

---

(١٠٠) ينظر: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح، محمد التنجي: /١٢٧

(١٠١) ينظر: السابق: /١٢٨

وما سبق كان الحديث فيه عن القسم الأول؛ أن يكون للفعل مفعولا لكنه غير مقصود وهذا القسم من وجهة نظري هو الذي لا ينتج عنه استلزام تخاطبي عن طريق الزيادة أو النقصان في الألفاظ على قدر المعنى؛ لأن الألفاظ على قدر المعاني المقصودة، أما الذي ينتج عنه استلزامات تخاطبية تفهم من خلال السياق، وعن طريق الحذف؛ فهو القسم الثاني؛ الذي يكون فيه الفعل متعديا لمفعول مقصود للمتكلم لكنه يعمد إلى حذفه خرقا لما هو الاصل إشعارا للمخاطب بوجود معان ضمنية، أو استلزامات تخاطبية أرادها من خلال الحذف، وعلى المخاطب أن يكتشفها من خلال القرائن.

ومن الشواهد التي جرى فيها الحذف مع أن المحذوف مقصود للمتكلم سواء أكان المحذوف مفعولا به أو غير ذلك؛ لاستلزامات تخاطبية أرادها من خلال الحذف وعلى المتكلم أن يستدل عليها من خلال السياق ما يلي:

قولُ البحتري وهو يمدحُ الخليفة المعتزُّ ويعرِّضُ بخليفةٍ آخر هو المستعينُ:

شَجْوُ حُسَّادِهِ وغيظُ عِداهُ   أن يَرى مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ وَاعِ

الأصل أن يقول: أن يرى مُبْصِرٌ محاسنَه ويسمعَ واعٍ أخبارَه وأوصافَه هذا هو الأصل لأن المفعول مقصود للمتكلم بقرينة العقل والمنطق؛ إذ ليس من المعقول أن يحزن الحساد ويغيض الأعداء لمجرد الرؤية والسمع.

لكن المتكلم حذف المفعول؛ فكان ذلك مؤشرا استدلاليا على وجود استلزاما مقصود من قبل المتكلم، وبالعودة إلى السياق سنجد أن الحذف استلزم المبالغة في المدح؛ أي أن محاسن الممدوح وأفضاله من الشهرة بمكان بحيث يكفي أن يبصر المبصر ويعي السامع، وهناك معنى ضمنيا آخر أراده الشاعر من خلال هذه المبالغة هو إقناع المتلقي أن الممدوح هو المستحق للخلافة دون من سواه، وأنه الوحيدُ الذي ليس لأحدٍ أن ينازعَه مَرْتبتَها؛ بدليل مناسبة القصيدة

فالبيت جزء من قصيدة للبحتري يمدح بها الخليفة المعتز ويعرض بالخليفة المستعين بالله أحمد بن المعتصم[١٠٢].

وشبيه به قولُ عمرِو بن معدي كَرِب من الطويل:

فلوْ أن قَوْمي أَنْطَقَتني رِماحُهُمْ   نَطَقْتُ ولكنَّ الرِّماحَ أجرَّتِ

الأصل أن يقول: (ولكنَّ الرماحَ أجرَّتْني)؛ لأنه قال: (أنطقتني رماحُهم) غير أن الشاعر خرق هذا الأصل بحذف المفعول به واستلزم ذلك تخاطبيا تعميم الحكم على كل أحد؛ أي أن الشاعر أراد أن يقول ضمنيا عن طريق الحذف إن عدم انطلاق الرماح في الحرب حبستني كما حبست غير عن النطق بالإشادة والمدح، يدلك على ذلك أنه لو قال: أجرتني لتوهم أنه لم يقصد تعميم الحكم وإنما قصد أن الرماح حبسته على الخصوص؛ لأن في التعدية تخصيص للفعل بالمفعول لذلك حذف المفعول من أجل إثبات الإجرار للرماح[١٠٣].

ومنه قوله تعالى :" ولَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمّةً مِنَ النّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرأَتَيْن تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكما قالَتَا لا نَسْقي حَتّى يُصدِرَ الرِّعاءُ وأبُونا شَيْخٌ كبير فَسَقى لَهُما ثُم تَوَلى إلى الظِّلِّ" (القصص: ٢٣).

الأصل أن يقال: وجدَ عليه أمةَ منَ الناس يسقون أغنامَهم أو مواشِيهم، وامرأتين تَذودانِ غنمهما، وقالتا: لا نَسقي غَنمنا؛ فسقى لهما غنمهما هذا هو الأصل لأن الذود أصناف وأنواع مختلفة يحتاج إلى تفصيل، إلا أن النص القرآني عدل عن ذلك إلى الحذف؛ فاستلزم ذلك تخاطبيا أن غرض النص بيان المعروف الذي صنعه موسى مع الفتاتين دون أن يكون له صلة

---

(١٠٢) ينظر: عبد الرحمن بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص، تح، مُحَمَّد محي الدين عبد الحميد، علم الكتب، بيروت، ١٩٤٧: ٢٣٢/١

(١٠٣) ينظر: عبد القاهر، دلائل الإعجاز، تح، مُحَمَّد التنجي: /١٢٩

تربطه بالفتاتين اللهم مجرد الرحمة والشفقة عليهما والذي بسببه تبدلت حياة موسى من خوف إلى أمن ومن تشرد إلى استقرار.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: " أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاًّ فَهَدَى وَوَجَدَكَ عَائِلاً فَأَغْنَى " (الضحى: ٦-٨).

الأصل كما يقتضي الظاهر أن يقال: (فآواك، فهداك، فأغناك) غير أن القرآن خرق هذا الأصل فحذف المفعول، واستلزم ذلك إطلاق الفعل وعدم تخصيصه، ليكون المعنى: (آواك وآوى لك وآوى بك وأغناك وأغنى لك وأغنى بك وهداك وهدى لك وهدى بك)، ولو جاء على الأصل فقال: (آواك هداك أغناك)؛ لانحصر ذلك في الرسول ﷺ، وهو غير مراد؛ فالله سبحانه وتعالى آوى الرسول وآوى غيره من الناس أو بسببه وسبب تعاليمه آوى غيره وهداه وهدى له أو بسببه الكثير من الناس وأغناه وأغنى بسببه الكثير من الناس؛ لأن الرسول ﷺ هو الرحمة المهداة وهو السراج المنير بسببه كُفِلَ اليتيم واطعم المسكين وهديت البشرية إلى الصراط المستقيم؛ يدلك على ذلك نصوصا كثيرة في الكتاب والسنة منها قوله ﷺ: " أنا وكافل اليتيم في الجنة" ومنها قوله تعالى: " وإنك لتهدي إلى صرط مستقيم صراط الله" (الشورى: ٥٢، ٥٣).

ومن الحذف الذي تنشأ عنه معان ضمنية حذف متعلق الفعل كما في قوله تعالى: " إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ " (الفاتحة: ٥).

في الآية السابقة لم يذكر النص القرآني وجه الاستعانة ونوعها بل ترك الاستعانة مطلقة دون تخصيص، واستلزم ذلك استلزاما تخاطبيا تعميم الفعل ليشمل الاستعانة به جل وعلا على كل الأمور صغيرها وكبيرها، وبذلك يكون المعنى الضمني للحذف هو: من العبادة لله سبحانه وتعالى الاستعانة به على كل شيء أريد فعله أو قوله.

ومن شواهد الحذف أيضا قوله تعالى: "وله ما سكن في الليل والنهار" (الأنعام: ١٣).

الأصل أن يقال: (وله ما سكن وما تحرك)؛ لأن الله يملك كل شيء في الوجود سواء أكان ساكنا أم متحركا بدليل قوله تعالى: "قل لمن ما في السموات والأرض قل لله" (الأنعام: ١٢)، غير أن النص القرآني حذف المتحرك؛ فاستلزم ذلك العديد من المعاني الضمنية منها: أن المتحرك قليل بالنسبة للساكن، أو أن الأغلب في الشيء السكون وليس الحركة، أو أن المتحرك يصير إلى السكون[١٠٤]، أو أن الساكن أصل للمتحرك.

وقوله تعالى: "قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ " (يونس: ١٥).

في الآية السابقة كان طلب الكفار من الرسول ﷺ أمرين اثنين: الإتيان بقرآن غير القرآن أو تبديل القرآن؛ فكانت الإجابة عن واحد وهو عدم الاستطاعة على التبديل، وسكت عن الطلب الآخر الذي هو طلب الإتيان بقرآن غير القرآن ؛ فاستلزم ذلك ضمنيا: أن الإتيان بقرآن غير هذا القرآن فوق طاقة البشر بخلاف التبديل؛ لذلك سكت عن الإتيان [١٠٥]، أو أن الإتيان بقرآن غير القرآن المنزل أصعب من تبديله كما ذكر الزركشي[١٠٦].

ومنه قوله تعالى: "بيدك الخير" (آل عمران: ٢٦).

الأصل بيدك الخير والشر؛ لأن مقاليد الأمور كلها بيد الله ولكن النص حذف الشر؛ فاستلزم ذلك تخاطبيا المعاني الضمنية التالية: إما أن المتكلم لم يرد نسبة الشر لله سبحانه وتعالى تأدبا لأن الشر فعل قبيح، وليس من اللائق نسبته لله، وإما لأن الخير مطلوب العباد

---

(١٠٤) ينظر: الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح، مُحَّد ابو الفضل : ١١٩/٣

(١٠٥) ينظر: الزمخشري ،الكشاف، تح، عبد الرزاق المهدي: ٣١٩/٢

(١٠٦) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٤٦/٤

ومرغوبهم[١٠٧]. وإما أن كل ما يأتي به الله خير للعبد في مقياس الله وإن كان في مقياس العبد شر؛ فقد يمنع الله عنك شيئا تريده فتظن أن ذلك شر ولكنك تكتشف مع الإيام أن في منعه كان خيرا لك من وجوده، يدلك على ذلك السياق الذي وردت به الجملة فقد وردت في سياق التسليم والانصياع لما أراده الله للعبد وكل ما كتبه الله هو خير؛ قال تعالى: " قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاء وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاء وَتُعِزُّ مَن تَشَاء وَتُذِلُّ مَن تَشَاء بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىَ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ "(آل عمران: ٢٦).

ومنه قوله تعالى: " الذين يؤمنون بالغيب" (البقرة: ٣).

الأصل بحسب ظاهر الخطاب أن يقال: (الذين يؤمنون بالغيب والشهادة)، ولكن النص القرآني حذف (الشهادة) ليرشد المتلقي إلى المعاني الضمنية التالية: أن الإيمان بالغيب أفضل أنواع الإيمان، أو لأن الغيب يستلزمها فلا تحتاج إلى أن تذكر، أو لأن الغيب أفضل وأبدع من الشهادة، وكلها استلزامات تخاطبية محتملة نتجت من خلال الإتيان باللفظ أقل من المعنى وبمعونة السياق وقرائنه، يدلك على ذلك سياق ورود الآية؛ فقد وردت في سياق المدح والثناء على المؤمنين، والإيمان بالغيب من أفضل الصفات التي يمتدح بها المسلم لما فيه من التسليم والتصديق المطلق بما جاء به دون أن يرى.

ومن الاستلزامات التخاطبية للحذف؛ التهويل الناتج من تقدير المحذوف وتأويله ومن شواهده قوله تعالى:" والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ التي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا في الْبِلَادِ وَثَمُودَ الَّذِينَ جَابُواْ الصَّخْرَ بِالْوَادِ وَفِرْعَوْنَ ذي الاوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْاْ في الْبِلَادِ فَأَكْثَرُواْ فِيهَا الْفَسَادَ فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمِرْصَادِ "(الفجر: ١-١٤)

(١٠٧) ينظر: السابق

في الآية السابقة حُذِفَ جواب القسم خرقا لما هو الأصل في التعبير؛ إذ الأصل أن يذكر جواب القسم بحسب الظاهر ولما حذف استلزم التهويل للجواب الناتج عن الانفتاح أمام تقدير المحذوف؛ إذ يمكن أن يكون التقدير (ليعذبن كفار قريش كما عذب عاد وثمود وفرعون) بدليل قوله تعالى بعد ذلك(الم تر ...) أو (لتبعثن يا كفار قريش وتعذبن) بدليل قوله (إن ربك لبالمرصاد) على اعتبار أنه تمهيد للبعث.

وقد يستلزم الحذف التعظيم والتفخيم للمحذوف ومنه قوله تعالى: " حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ " (الزمر: ٧٣).

في الآية السابقة حذف جواب الشرط فاستلزم ذلك التفخيم والتعظيم للمحذوف، يدلك على ذلك أن الحديث في الآية عن أوصاف الجنة وأوصافها مما لا يتسع المقام لذكرها؛ فهي كثيرة ومتنوعة وفوق الوصف؛ فيها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر من أجل ذلك حذف الجواب ليجعل المتلقي يذهب كل مذهب في التقدير.

ومنه قوله تعالى: " وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلاَ نُكَذِّبَ بآيات رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ " (الأنعام: ٢٧).

الأصل (ولو ترى إذ وقفوا على النار لرأيت ...) لكن القرآن الكريم خرق الأصل بحذفه لجواب الشرط فاستلزم ذلك التعظيم والتهويل للمحذوف من حيث كونه فضيع ولا يمكن وصفه لذلك ترك؛ يدلك على ذلك تمني المكذبين العودة إلى الحياة الدنيا ليصدقوا ويؤمنوا بما جاء به الرسول ﷺ.

ومن شواهد الحذف قوله تعالى:" إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"(الإسراء– ٩).

في النص السابق حذف الموصوف وأبقى الصفة دليل عليه إذ الأصل أن يقال: (يهدي للطريق، أو للملة، أو للطريقة التي هي أقوم، أو غير ذلك) ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل

عن طريق الحذف، واستلزم ذلك تخاطبيا أن القرآن يحوي ضروبا شتى من الهداية سواء أكانت ما دية أو معنوية، وأن المحذوف متعدد لا يمكن تحديده؛ فقد يكون الطريق أو الملة أو الطريق أو كل ذلك وغيره، أو أن الاختلاف بين البشر في الرؤى والطرح سنة من سنن الكون وما يطرحونه فيه الرديء والقيم وما هو أقوم ومن أراد ألأقوم فعليه بالقرآن، يدلك على ذلك اختلاف الناس على أرض الوقع وتعدد المذاهب والفرق.

ومن الاستلزامات الخطابية للحذف بالإضافة لما ذكر الحفاظ على الفاصلة في الكلام المنثور، وهو استلزام جمالي ودلالي في الوقت نفسه.

ومنه قوله تعالى: "والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى "(الضحى: ١، ٢)

الأصل إذا سجاك، وما قلاك ولكن النص القرآني حذف المفعول به ليحافظ على الفاصلة القرآنية التي تضيف على النص جمالا يتولد من الموسيقى الناتجة من هذا التناسب الصوتي، يدلك على ذلك سياق الآية؛ فكل الآيات وردت في السورة وهي منتهية بالألف المقصورة مثل (أولى، ترضى، آوى، هدى، أغنى،...).

توخي الإيجاز

توخي الإيجاز هو المقصدية الأساسية من الحذف في الأغلب اتكالا على مقدرة المتلقي وخلفيته المعرفية والثقافية في استرداد المحذوف عن طريق القرائن التي يبثها المتكلم في النص؛ فالمتكلم قد يلجأ إلى خرق قاعدة من قواعد مبدأ الحوار التي تنص على أن يأتي المتكلم بالألفاظ على قدر المعنى من أجل الحفاظ على قاعدة أخرى؛ لأنها أهم في نظره كما هو الحال في الحذف، والحذف يأتي على أنواع فقد يكون كلمة أو أكثر، وقد يكون المحذوف جملة أو أكثر.

ومن ذلك حذف مفعول المشيئة؛ كقوله تعالى: "فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"(الكهف: ٢٩) وقوله تعالى: "من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم" (الأنعام: ٣٩).

فعل المشيئة (يشأ) في الآيتين وقع فعلا لأداة الشرط (من) ومفعول فعل المشيئة محذوف يستلزمه المذكور بعده؛ فيؤمن تستلزم الإيمان، ويكفر تستلزم الكفر، ويضله تستلزم الإضلال، ويجعله تستلزم أن يجعله على سراط مستقيم؛ ليكون التقدير في الآيتين: (من يشاء الإيمان فليؤمن ومن يشاء الكفر فليكفر، ومن يشاء الإضلال يضله، ومن يشاء أن يجعله على سراط مستقيم يجعله على سراط مستقيم) والمعنى الضمني الناتج من خلال تقدير المحذوف ودليله المذكور هو أن الإيمان والكفر والهداية والإضلال مسألة اختيارية بيد العبد.

وإذا انتقلنا إلى الشعر سنجد أن مفعول المشيئة يحذف لنفس الغرض السابق ومنه قول الشاعر:- لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد

مفعول فعل المشيئة محذوف يستلزمه المذكور بعده؛ فلم تفسد يستلزم عدم الافساد، ولم تهدم يستلزم عدم الهدم ليكون التقدير: لو شئت عدم الإفساد لم تفسد، وعدم الهدم لم تهدم إلا أن الشاعر حذفه توخيا للإيجاز الذي هو الأولى إذا وجدت قرائن تدل على المحذوف.

وهذا هو الشأن في مفعول المشيئة؛ فإنه يحذف دائما لوجود ما يستلزمه أو يدل عليه في السياق اللغوي إلا إذا كان المفعول غريبا غير مألوف فإنه يذكر؛ يدلك على ذلك قول الشاعر:-

ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع

مفعول المشيئة في البيت السابق ذُكِر وهو المصدر المؤول (أن أبكي دما) على غير العادة ولو بحثنا عن سبب الذكر سنجد أن المفعول به غريبا وغير مألوف؛ إذ ليس من المألوف أن يبكي الإنسان دما وإنما المألوف أن يبكي دمعا؛ فلأجل ذلك ذكره حتى لا يتوهم غيره.

ومن الحذف للإيجاز – أيضا – حذف الصفة في قوله تعالى "وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" (الكهف: ٧٩).

الأصل بحسب قرائن السياق أن يقال: (سفينة صالحة) يدلك على ذلك قوله تعالى في السياق نفسه: (حتى إذا ركبا في السفينة خرقها) لكنه خرق الأصل وحذف (صالحة)؛ لأن هناك ما يستلزمها من القرائن داخل النص منها قوله(خرقها) فإنه يستلزم تخاطبيا أن المخروقة لا تؤخذ وإنما تؤخذ الصالحة فقط.

ومنه قوله تعالى:" **حرمت عليكم الميتة**" (الأنعام: ٣).

الأصل أن يقال: (حرم عليكم أكل الميتة) ولكنه حذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه من أجل الإيجاز لأن المحذوف مستلزم تخاطبيا بقرينة العقل، والعادة؛ فمن العادة والعقل أن التحريم لم يشمل الانتفاع بجلد الميتة وهذا يستلزم أن المحرم هو التناول أو الأكل.

وقد يكون المحذوف أكثر من كلمة كقوله تعالى: "فقبضت قبضة من أثر الرسول" (طه: ٩٦). التقدير من أثر حافر فرس الرسول.

وقوله "تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت" (الأحزاب: ١٩).

المحذوف هو (كدوران عين)؛ إذ الأصل أن يقال: (كدوران عين الذي يغشى عليه) ولكنه لجأ إلى الحذف إيجازا لأن المحذوف مستلزم من السياق والغرض إذ إن الغرض من النص هو المشابهة بين الطرفين في دوران العين فلما ذكر ذلك في المشبه استغني عنه في المشبه به.

وقد يكون المحذوف جملة بكاملها أو أكثر من ذلك قوله تعالى:" وإذ استسقى موسى لقومه فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا" (البقرة: ٦٠).

الأصل أن يقال: (فضرب الحجر فانفجرت) غير أن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ لأن (اضرب بعصاك الحجر) يستلزمه؛ فالأمر بالفعل يستلزم الفعل أي ضرب الحجر وبذلك كان

معلوما للمتلقي ولا يحتاج إلى ذكر؛ بدليل قوله تعالى (وإذ استسقى موسى) وهو دليل سياقي لغوي لذلك تم حذفه اختصارا فضلا عمّا في حذفه من معنى ضمني تمثل بسرعة تحقق المطلوب وهو انفجار الماء من الحجر بمجرد الضرب يدلك على ذلك استخدام الفاء أداة للربط التي تدل على الترتيب والتعقيب.

ومن ذلك قوله تعالى: "ليحق الحق ويبطل الباطل" (الأنفال: ٨)، والتقدير: (فعل ذلك ليحق الحق) بدليل قوله تعالى– قبل ذلك–: " وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ" (الأنفال: ٧) وهو دليل سياقي لغوي.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى" أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون، يوسف أيها الصديق" (يوسف:٤٥).

إن هذه الآية أخفت تفاصيل كثيرة فلم يعرف لقاء الرسول بيوسف عليه السلام وما الذي دار من كلام وأحداث أثناء هذا اللقاء وغير ذلك من التفاصيل التي سبقت مقابلة يوسف عليه السلام للملك كل تلك الأحداث طواها النص القرآني اختصارا وإيجازا؛ لأنها تفاصيل معلومة يمكن الاستدلال عليها من خلال السياق ولأنها تفاصيل لا أهمية لها ولا تخدم الحدث الذي من أجله ذكر.

وكما يكون الإيجاز عن طريق الحذف؛ فقد يكون أيضا عن طريق القصر ويقصد بهذا النوع من الإيجاز: أن تدل الألفاظ القليلة على المعاني الكثيرة دون حذف، ومن الشواهد الدالة على هذا النوع من الإيجاز ما يلي :

قوله تعالى: "خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ " (الأعراف: ١٩٩)

الآية السابقة بألفاظها القليلة جمعت كل مكارم الأخلاق؛ لأن العفو يستلزم العديد من المعاني الضمنية التي منها: الصفح عمن أساء، والرفق في كل الأمور، والمسامحة والإغضاء

وقوله(وأمر بالعرف) يستلزم كل ما تعارف عليه الناس كصلة الرحم، والامتناع عن الكذب والغيبة، وحفظ الأعراض وغض البصر عن المحارم، وكل ما تعورف عليه من أحكام وقوانين تنظم حياة الفرد والمجتمع و كذلك الأمر في الإعراض عن الجاهلين؛ فإنه يستلزم الصبر على الأذية والحلم عن الطيش، وكضم الغيض عمن أساء.

ومنه قوله تعالى: "ولكم في القصاص حياة " (البقرة:١٧٩).

اشتملت العبارة السابقة بألفاظها القليلة على ضروب شتى من المعاني الضمنية منها أن من قتل غيره عمدا يقتل، ومن جرح غيره عمدا يجرح، ومن بتر لغيره عضوا عمدا يبتر منه ذلك العضو قصاصا، وسمو معاملة المعتدي بمثل جرمه قصاصا فماهية القصاص تستلزم وتتضمن ماهية التماثل والتعويض فلا يذهب حق المقتول ولا يقتل غير القاتل.

ومنه قوله تعالى: " فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " (الحجر: ٩٤)

ذكر أبو عبيدة أن أعرابيا سمع رجلا يقرأ: (فاصدع بما تؤمر)؛ فسجد وقال: سجدت لفصاحته، وكان موضع التأثير في هذه الجملة هو كلمة اصدع في إبانتها عن الدعوة والجهر بها والشجاعة فيها، وكلمة (بما تؤمر) في إيجازها وجمعها[١٠٨] ويتجلى الإيجاز في أنه جمع كل الرسالة في كلمتين ولو أردنا تحرير ما أمر به الرسول ﷺ لاحتجنا إلى مجلدات ولكن القرآن جمع ذلك في كلمتين.

وقوله تعالى : " أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا " (النازعات: ٣٣)

كلمتا: (ماءها ومرعاها) اشتملت على كل ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للناس من العشب والشجر والحب والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح؛ لأن النار من العيدان والملح من الماء.

---

(١٠٨) ينظر: الطيب بن عاشور، التحرير والتنوير: ١٠٧/١

ومن الإيجاز بالقصر قوله تعالى: " فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ " (البقرة: ٢٧٥).

الاستلزام الخطابي للآية السابقة هو: أن الإنسان لا يؤاخذ على أفعاله قبل أن تصله الموعظة أو التبليغ مهما كانت سيئة، وكذلك إذا أخطأ أو أذنب فتاب واتعظ فإن الله يغفر له خطاياه ويتجاوز عن سيئاته مهما كانت يدلك على ذلك نصوص كثيرة منها قول الرسول صلى الله عليه وسلم: (الإسلام يجب ما قبله) وقوله: (اتبع السيئة الحسنة تمحها) وكذلك التعبير بالاسم الموصول ما: (له ما سلف) أي ما سبق التوبة أو الموعظة من الأخطاء هي له وليست عليه.

ومنه قوله تعالى: " إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ والبغي " (النحل: ٩٠).

في الآية السابقة أمر الله سبحانه وتعالى بكل الفضائل ونهى عن كل المساوئ بألفاظ قليلة دون حذف ونتج ذلك عن طريق ما تستلزمه الألفاظ من المعاني الضمنية؛ فالعدل يستلزم الوسطية في الفعل؛ لأن العدل هو الصراط المستقيم المتوسط بين طرفي الإفراط والتفريط في كل ما هو مطلوب من الإنسان فعله سواء تعلق بجانب العقدي أو بجانب الأخلاقي.

والإحسان يستلزم التفضل في ما بقي من العدل كأن تحسن لمن أساء إليك؛ فإذا كان العدل ينصف وينتصف فالإحسان أن تنصف ولا تنتصف.

وإتاء ذي القربى يستلزم إعطاء الأقارب حقهم من الصلة والبر سواء كانت القرابة من جهة الأب أو الأم وهو إن كان داخلا في العدل والإحسان إلا أنه ذكره اهتماما بشأنه.

بالمقابل نهى الله عن الفحشاء وهي تستلزم كل فاحشة في القول أو الفعل، والمنكر يستلزم كل فعل أو قول أنكره الناس أو الشخص أو القانون أو الدين والأخلاق، والبغي يستلزم الطغيان والظلم سواء في حق النفس أو حق الغير أو حق الخالق.

المبحث الثاني

الإطناب واستلزاماته التخاطبية

يعرف الإطناب في اصطلاح البلاغيين، بأنه تأدية المعنى بألفاظ زائدة على المعنى لفائدة بلاغية تقتضي هذه الزيادة؛ فإن لم تكن الزيادة لفائدة سميت تطويلا أو حشوا(١٠٩)، وقد تحدث علماء البلاغة عن هذه الخاصية البلاغية وفصلوا أنواعها، ومثلوا لها من النص الإبداعي وكان ابن الأثير أكثرهم اهتماما بهذه الخاصية من غيره(١١٠).

ومن خلال حديث البلاغيين عن الأغراض البلاغية التي تنتج عن هذه الخاصية البلاغية وعن غيرها من الأساليب البلاغية يتضح لنا أن البلاغيين كانوا السباقين إلى معرفة التداولية والحديث عنها، ويتجلى ذلك بوضوح من خلال وصفهم للأغراض البلاغية، ومن خلال الآلية التي اتبعوها لوصف تلك الأغراض، أو ما سمي بالاستلزام التخاطبي عند غريس، ولا نبالغ إن قلنا أن البلاغيين كانوا أكثر دقة وتفصيلا من غيرهم من اللسانيين المحدثين يدلك على ذلك حديثهم عن أنواع الزيادة وتخصيصهم لنوع منها ينتج عنه استلزامات تخاطبية.

فهم لم يكتفوا بتوصيف الاستلزامات التخطابية الناتجة عن زيادة اللفظ على قدر المعنى، وإنما تطرقوا أيضا إلي إرشاد المتكلم، أو المستعمل للخطاب إلى التفريق بين الزيادة المحمودة في الخطاب ليتبناها، والزيادة غير المحمودة ليجتنبها، وكان ذلك من خلال حديثهم عن أنواع الزيادة والتي على أساسها يتم التفريق بين الإطناب بصفته زيادة محمودة في الخطاب

---

(١٠٩) ينظر: عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح مط: محمد علي ،القاهرة، ط٢ :١١٢/٢

(١١٠) ينظر: أحمد مطلوب، أساليب بلاغية: /٢٣١

ينتج عنها معنى ضمني يضاف إلى المعنى الأصلي، وبين الحشو الذي هو زيادة في اللفظ دون فائدة تذكر من خلال الزيادة.

ومعنى ذلك أن كل زيادة في الألفاظ على قدر المعنى؛ إما أن تكون إطنابا، وإما أن تكون حشوا؛ فإذا كانت الزيادة لفائدة تضاف إلى المعنى العام للجملة، أو التركيب أي ينتج عنها استلزام خطابي، أو معنى ضمني يضاف إلى المعنى الأصلي ويفهم من خلالها ومن خلال المقام؛ فتلك الزيادة محمودة وهي المقصود بالإطناب، وإذا لم ينتج عن هذه الزيادة استلزام تخاطبي أو معنى ضمني يضاف لمعنى الجملة كانت الزيادة غير محمودة؛ لأنها حشو أو تطويل تثقل كاهل التعبير، لكن كيف نستدل على نوع الزيادة إن كانت إطنابا أو حشوا وتطويلا؟

إن الحكم في ذلك مرده لمقام الخطاب؛ فإن نشأ عن هذه الزيادة استلزام خطابي أو معنى ضمني يتطلبه مقام التخاطب، أو المقصدية كانت الزيادة لفائدة، وإن لم ينشأ عن هذه الزيادة معنى ضمني يتطلبه المقام أو مقصدية الخطاب؛ كانت الزيادة تطويلا وحشوا؛ ولتوضيح ذلك من خلال المثال نقول:

إذا قال المتكلم: (سمعته يقول كذا بأذني)؛ فإن كلمة(بأذني) تعد زائدة على قدر المعنى؛ بدليل أن السمع لا يكون إلا بالأذن، لكن هذه الزيادة قد تكون إطنابا، وقد تكون حشوا أو تطويلا ويعتمد الحكم في ذلك على المقام والسياق.

فإن قيلت هذه العبارة في مقام الإنكار؛ أو الشك من قبل المخاطب كانت الزيادة إطنابا؛ لأنها تستلزم التوكيد على المعنى وهو معنى ضمني زائد على المعنى الأصلي، وإن لم يكن هناك حاجة للتأكيد؛ كأن يكون المخاطب لا ينكر الخبر ولا يشك فيه كانت الزيادة من قبيل الحشو وهي مذمومة؛ لأن الزيادة لم ينتج عنها معنى ضمني زائد يضاف إلى المعنى الأصلي للجملة

وأن وجودها أرهق التعبير دون جدوى و كانت حشوا مذموما فهي قد خرقت شرط الإيجاز دون فائدة تذكر.

ومن الأمثلة التي ذكرها البلاغيون على هذا النوع من الزيادة قول أبي العيال الهذلي(١١١):

ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب

ذهب البلاغيون إلى أن كلمة: (الرأس) في البيت السابق زائدة على قدر المعنى؛ لأن الصداع لا يكون إلا في الرأس وزيادتها لم يتنج عنها معنى ضمني يضاف إلى معنى البيت وإنما أضافها الشاعر حشوا من أجل إقامة الوزن فقط(١١٢).

ومثل ذلك قول ديك الجن(١١٣):

فتنفست في البيت إذ مزجت بالماء واستلت سنا اللهب

كتنفس الريحان خالطه من ورد جور ناضر الشعب

كلمة: (بالماء) زائدة على المعنى؛ لأن (مزجت) في البيت أغنت عنها؛ بدليل أن الشاعر يتحدث عن الخمر والخمر إن مزجت تمزج بالماء؛ وليس هناك معنى ضمني أريد من خلال زيادة كلمة (الماء) ومن ثم كانت هذه الزيادة حشوا؛ لعدم إفادتها معنى جديدا كما هو شرط الإطناب.

أما الإطناب الذي يكون فيه الألفاظ زائدة على قدر المعنى لفائدة تنشأ من خلال هذه الزيادة؛ فشواهده كثيرة في النصوص البلاغية ومن ذلك:

---

(١١١) ينظر: أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، مرجع سابق: ١٦٠/٢٤

(١١٢) ينظر: أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح، البجاوي، ومحمد ابو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦:/١٠٨، والخطيب القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، دار العلوم، بيروت، ١٩٨٩م: /١٧٢

(١١٣) ينظر: عبد الرحيم العباسي، معاهد التنصيص على شواهد التلخيص، تح، محمد محيي الدين عبد الحميد، عالم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م: ٣٢٦/١

قوله تعالى: "إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَّيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ" **(النور: ١٤)**.

الظاهر أن القول لا يكون إلا من خلال الفم، ولذلك فإن قوله:(بأفواهكم) زائد على قدر المعنى، لكن هل هذه الزيادة أضافت معنى جديدا وفائدة جديدة على النص أم لا؟ وبالعودة إلى مقام الخطاب سنجد إن مقام الخطاب مقام توبيخ وزجر ورد على أهل الإفك إفكهم المتناقل عن سيدتنا عائشة– رضي عنها– في حادثة الإفك، ومن ثم كان هذا المقام بحاجة ماسة لذكر هذه الزيادة؛ لأنها أضافت معنى ضمنيا للآية وهو: أن تلقيهم للخبر كان على غير تثبت منهم ولم يعملوا فكرهم ولا عقلهم لمعرفة حقيقته وكان الأصل أن يعملوا فكرهم في ما سمعوه ولا يتناقلونه بينهم هذا من جهة يدلك على ذلك أن التوبيخ والزجر وجه للذين تناقلوا الخبر من المؤمنين، كما تستلزم الزيادة كذلك التسجيل عليهم إفكهم والتعظيم لجرمهم الناتج عن قولهم وتوبيخهم والإنكار عليهم كونهم تناقلوا خبر الإفك على من هي ظاهرة العفاف والحشمة حتى لا يكن لهم مهربا من الإنكار، وذلك شبيه بموقف من ينكر خطابا قاله؛ فتقول له: بل قلته بلسانك وفمك.

و من ذلك أيضا قوله تعالى:" فخرَّ عليهم السقف من فوقهم " (النحل: ٢٦).

المعنى الضمني: التأكيد على أن الإبادة كانت بالخسف، وهذا المعنى نشأ من خلال زيادة (من فوقهم) على أصل العبارة، لأن الأصل أن يقال– في غير القرآن–: (فخر عليهم السقف) على اعتبار أن السقف لا يكون إلا فوقهم، ولكن ذلك قد يحتمل أن السقف وقع دون أن يكون تحته أحد؛ خصوصا وأن العرب يستعملون ذلك في خطابهم؛ يقولون: (خر السقف علينا) وهم يقصدون تهدم السقف من أجل ذلك جاءت الزيادة على أنهم كانوا تحت السقف.

ومن الإطناب أيضا قوله تعالى: " وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أتتَّخذ أصناماً آلهة" (الأنعام: ٧٤).

الأصل بحسب الظاهر أن يقال- في غير القرآن-: (وإذ قال ابراهيم لأبيه أتتخذ أصناما آلهة) لكن النص القرآني أضاف كلمة: (آزر) خرقا لهذا الأصل؛ فاستدل بذلك على أن النص القرآني أراد معنى ضمنيا من خلال هذه الزيادة وبالرجوع إلى الظروف والملابسات التي تحيط بالنص سنجد أن كلمة (أب) في اللغة قد تطلق ويراد بها الجد أو الوالد وهو ما يجعل المقصود مبهم غير واضح؛ لذلك أتى القرآن بلفظ (آزر) ليزيل هذا الإبهام ويتعين المقصود بالأب هنا وهذا هو المعنى الضمني أو الاستلزامي من هذه الزيادة.

ومنه قوله تعالى: "وليل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة" (فصلت: ٦,٧).

الاستلزام الخطابي الناتج من الآية هو: حث المؤمنين على أداء الزكاة؛ لأن منعها صفة من صفات الإشراك، وهذا الاستلزام ناتج عن زيادة الألفاظ على قدر المعنى؛ إذ الأصل أن يكتفي التعبير بـ(ويل للمشركين)؛ لأنه ليس هناك أحد من المشركين يؤدي الزكاة ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل بزيادة قوله(الذين لا يؤتون الزكاة)؛ لأنه أراد من خلاله معنى ضمنيا يفهم من خلال السياق هو الحث على أداء الزكاة والتحذير من عدم أدائها؛ لأن من يمتنع عن الزكاة هو مشرك.

وكما تحدث البلاغيون عن الفرق بين الحشو والإطناب من خلال الزيادة وعلاقتها بالمعنى؛ تحدثوا أيضا عن كيفية حدوث هذه الزيادة، وعن استلزاماتها التخاطبية من خلال حديثهم وتفصيلهم لأنواع الإطناب؛ فقد ذكروا أن الإطناب يأتي على أنواع منها:

الإيضاح بعد الإبهام واستلزاماته التخاطبية

وبقصد به أن يأتي المتحدث بكلام مبهم ثم يوضح هذا الإبهام بكلام ثان يأتي بعده ومن شواهده قوله تعالى:" وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين" (الحجر: ٦٦).

الإطناب في الآية حصل من خلال زيادة (ذلك الأمر) على أصل المعنى بدليل أنه لو شاء فقال: (وقضينا إليه أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين) واستقام التعبير ولم يختل المعنى الأصلي للعبارة، لكن سينقص المعنى الضمني أو الاستلزام التخاطبي الناتج عن الزيادة، والمتمثل في التأكيد على المعنى وزيادة تقريره في ذهن المخاطب، عن طريق الإبهام الناتج من زيادة(ذلك الأمر) ثم التفسير للإبهام (إن دابر القوم مقطوع مصبحين)، يدلك على ذلك مقام الخطاب وسياق النص قبل وبعد الزيادة.

وشبيه بهذا قوله تعالى:" فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى" (طه: ١٢٠).

في الآية السابقة أتت الألفاظ زائدة على قدر المعنى عن طريق الإتيان بالمعنى مبهما (فوسوس إليه الشيطان) ثم توضيحه وتفصيله(قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد وملك لا يبلى)؛ فالمعنى في الجملتين واحد؛ لأن الوسوسة هي قول الشيطان وقول الشيطان هو الوسوسة يدلك على ذلك الفصل بين الجملتين للاتحاد التام.

لذلك كان الأصل- بحسب الظاهر- أن يكتفى بإحدى الجملتين طالما وهما تحملان المعنى نفسه توخيا للإيجاز، ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ فاستلزم ذلك معنى ضمنيا أراده الخطاب يستدل عليه من خلال السياق وبالعودة للسياق سنجد أنه أراد إشعار المخاطب أن قول الشيطان لم يكن صريحا لأدم وإنما عن طريق الوسوسة بالنفس، وهو ما يشير إلى أن الشيطان قد يكون هو أطماع النفس وأهوائها التي تحث الإنسان على ارتكاب المحذور والممنوع، وتجعله يرتكب المعاصي بدليل قوله تعالى في سياق آخر-: "إن النفس لأمارة بالسوء"(يوسف:٥٣) و قوله تعالى: "ونعلم ما توسوس به نفسه"(ق:١٦) من أجل ذلك أتى بالجملة الأولى ولم يكتف بالجملة الثانية، بالمقابل لم يكتف بالجملة الأولى لأنها مبهمة ولن

يعرف المخاطب نوع الوسوسة، لذلك أتى بالجملة الثانية ليوضح الإبهام ويفصله وهذا هو الاستلزام التخاطبي من الإطناب يدلك على ذلك سياق النص فالنص يتحدث عن قصة خروج آدم من الجنة وأسباب ذلك.

التكرار واستلزاماته التخاطبية

ويقصد به تكرار لفظ سواء أكان مفردا أو جملة يحمل المعنى نفسه للفظ السابق له، ومنه قوله تعالى:" كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون "(التكاثر: ٣، ٤).

المعنى الضمني المستلزم من خلال التكرار للفظ (كلا سوف تعلمون) هو التأكيد على الوعيد والتهديد للمقصودين بهذا الخطاب وهذا المعنى نشأ من خلال زيادة اللفظ على قدر المعنى؛ فالملاحظ أن عبارة كلا سوف تعلمون الثانية تشتمل على ألفاظ ومعنى العبارة السابقة ومن ثم هي تكرار لها، وكان الأصل في غير القرآن ألا تذكر توخيا للإيجاز، ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ ليرشد المخاطب إلى المعنى الضمني السابق الذي هو التأكيد على المعنى في مقام التهديد والوعيد، والمتولد عن طريق التكرار وهذا هو الاستلزام الحوري للتكرار.

ومنه أيضا قوله تعالى" فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا"(الشرح:٥، ٦).

الآية السابقة اشتملت على زيادة في اللفظ على قدر المعنى نتج من خلال التكرار وهذا يستلزم التأكيد على حدوث اليسر بعد العسر والراحة بعد المشقة يدلك على ذلك السياق، وقول الرسول ﷺ لما نزلت هذه الآية- مخاطبا المؤمنين-" أبشروا أتاكم اليسر لن يغلب عسر يسرين"[(١١٤)].

ومنه قوله تعالى: "يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع"(غافر: ٣٨، ٣٩).

---

(١١٤) ينظر: الطيب بن عاشور. التحرير والتنوير: ٤١٤/٣٠

الأصل في غير القرآن أن يقال: (يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد إنما هذه الحياة...) وذلك وفق مبدأ الكم ومراعاة لقاعدة الإيجاز غير أن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ فكرر لفظ (يا قوم)؛ فكان ذلك مقدمة استدلالية على وجود الاستلزام، والمعنى الضمني، وبالعودة للسياق سنجد أنه أراد من خلال ذلك التنبيه للمخاطب لما سيأتي بعد اللفظ المكرر نظرا لأهميته وهذا المعنى نتج من خلال الزيادة ولم تقله العبارة صراحة.

ومنه قوله تعالى: "الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة" (الحاقة: ١، ٢).

الأصل في غير القرآن أن يقال: (الحاقة ما هي) فيعبر بالضمير لأنه أوجز، لكن القرآن خرق هذا الأصل بتكرار لفظ الحاقة وتكرار السؤال وغرضه من ذلك التهويل والتعظيم للفظ المكرر وهذا هو الاستلزام الخطابي الناتج عن التكرار.

ومنه قوله تعالى: "فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر"(المدثر: ١٩، ٢٠).

النص القرآني كرر لفظ (قتل كيف قدر) على خلاف الأصل وذلك لغرض المبالغة في التعجب من تقدير الوليد بن المغيرة في ما سيقوله في محمد وما جاء به وهذ هو الاستلزام الخطابي الناتج من التكرار.

ومنه قول الشاعر:

سقى الله نجدا والسلام على نجد   ويا حبذا نجد على القرب والبعد

نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها   لعلي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ

الأصل ألا يكرر الاسم الظاهر (نجد) ويكتفى بالضمير طالما وقد سبقه مرجع توخيا للإيجاز بحسب مبدأ الأسلوب عند غرايس؛ كن موجزا، ولكن الشاعر خرق هذا المبدأ بتكراره لفظة: (نجد) وهو مؤشر استدلالي على وجود الاستلزام بموجب قانون التعاون وبالعودة إلى السياق وقرائنه سنجد أن الشاعر كرر اللفظ ليشعر المتلقي بمدى حبه وشغفه بنجد لذلك هو يتلذذ

بذكرها وتكرار اسمها يدلك على ذلك قوله بعد ذلك: (بلادٌ بها قوم هَواهُمْ زِيارتي..... ولا شيء أشهى من زيارتهم عندي) (١١٥).

ومنه قول الشاعر:

فيا قبر معن أنت أول حفرة   من الأرض حطت للسماحة موضعا

و يا قبر معن كيف واريت جوده   وقد كان منه البر والبحر مترعا

الشاعر كرر لفظة (يا قبر معن) على خلاف الأصل في التعبير وغرضه من ذلك هو التحسر والأسى لفقدان من يرثيه في هذه القصيدة ويفهم هذا من خلال قوله كيف واريت جوده وهذا هو الاستلزام الخطابي للتكرار هنا.

الاعتراض واستلزاماته التخاطبية

والمقصود بالاعتراض هو أن يأتي المتكلم في أثناء كلامه أو بين كلامين متصلين في المعنى بجملة أو أكثر، ومن ذلك قوله تعالى "تالله- لقد علمتم- ما جئنا لنفسد في الأرض"(يوسف: ٧٣).

الأصل أن يقال: (تالله ما جئنا لنفسد في الأرض) لو أراد أن تكون الألفاظ على قدر المعنى ولكنه أطنب بزيادة جملة (لقد علمتم) معترضة بين القسم وجوابه فنشأ عنها استلزام تخاطبي مفاده أنتم تعلمون براءتنا من تهمة السرقة؛ بمعنى كأنهم يقولون: إنكم قد علمتم هذا منا ونحن مع علمكم به نقسم بالله على صدقه(١١٦).

ومن ذلك قوله تعالى "وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى " (البقرة: ١٧٧).

---

(١١٥) ينظر: أبو الفرج الاصبهاني، الأغاني، مرجع سابق: ٢١٦/٢٣

(١١٦) ينظر: ابن الأثير، المثل السائر، تح، محمّد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م: ١٧٢/٢

الاستلزام الخطابي في الآية هو: الحث على الانفاق من المال المحبوب لدى المنفق لأن ذلك من البر، أو أن المنفق مع عوزه واحتياجه للمال ينفق منه على اقربائه، وهذ الاستلزام لم تقله الآية صراحة وإنما نشأ من خلال زيادة لفظ: (على حبه)على قدر المعنى احتراسا من أن يظن أنه ينفق من المال غير المحبوب لديه أو أنه ينفق لسعة عنده، ولو لم يرد هذا المعنى لما أتى بهذه الزيادة؛ لأن المعنى يتم بدونها يدلك على ذلك سياق النص؛ فقد ورد في سياق الحديث عن البر وأن إنفاق المال على ذوي القربى هو من أعمال البر وأنه قرن بالإيمان بالله والملائكة وإقامة الصلاة وإيتاء الزكاة.

ومن ذلك أيضا قول زهير:

من يلق يوما – على علاته –هرما   يلق السماحة منه والندى خلقا

المعنى الضمني أن السماحة والكرم من صفات هرم على كل حال ولو كان فقيرا معدما وهذا المعنى نشأ من خلال زيادة(على علاته)؛ فالأصل بحسب الظاهر ألاّ يذكر؛ لأن المعنى يتم بدونه؛ غير أن الشاعر ذكره ليشير إلى المعنى الضمني السابق والمتمثل في دفع توهم المخاطب أن كرم الممدوح وسماحته ناتج عن غنى وبحبوحة في العيش؛ بمعني آخر أراد أن يقول أن الندى والسماحة طبع في الممدوح وإن كان فقيرا وهذا هو المعنى الاستلزامي للزيادة.

ومنه أيضا قول طرفة:-

فسقى ديارك –غير مفسدها–   صوب الغمام وديمة تهمي.

المعنى الضمني للبيت السابق: أنا أدعوا لك ولا أدعوا عليك وهذا المعنى نشأ من خلال زيادة (غير مفسدها)؛ خلافا للأصل؛ لأن المعنى في البيت يتم بدونها، ولكنه أراد من خلال هذه الزيادة الاحتراس من أن يتوهم المخاطب عكس المراد؛ إذ قد يظن أنه يدعو عليها بالهلاك وليس السقيا وهذا هو الاستلزام الخطابي للزيادة.

أما في قوله تعالى " ويجعلون لله البنات –سبحانه – ولهم ما يشتهون"(النحل: ٥٧).

المعنى الضمني في لآية السابقة هو: تنزيه الله من أن يكون له ولد كما يقول المشركون وهذا المعنى نشأ من خلال زيادة (سبحانه) في الآية معترضة بين القسم وجوابه، بدليل أنه يمكن حذفها دون أن يتأثر المعنى العام لكن سيذهب المعنى الضمني السابق الذي هو التنزيه.

وفي قوله تعالى" وإنه لقسم – لو تعلمون –عظيم" (الواقعة: ٧٦).

جملة: (لو تعلمون) وردت معترضة بين الموصوف وصفته وهي عبارة زائدة عن المعنى الأصلي بدليل أنه لو قال: وأنه لقسم عظيم لتم المعنى، وهذا يستلزم أنها أضيفت من أجل غرض تداولي هو التعظيم والتهويل للقسم كون المقسم به هو مواقع النجوم ومواقع النجوم لا يعلمها المخاطبين بالآية وهذا هو المعنى المستلزم من الزيادة.

ومنه قول الشاعر :

إن الثمانين –وبلغتها–   قد أحوجت سمعي إلى ترجمان.

الإطناب هنا حدث من خلال زيادة (وبلغتها) لأن الغرض من البيت هو إخبار المخاطب بأن سمعه بسبب الكبر لم يعد كما كان في السابق وكان الأصل ألا يذكرها الشاعر لأن الغرض يتم بدونها، ولكنه خرق هذا الأصل فاستلزم ذلك معنى ضمني أراده الشاعر من خلال هذه الزيادة يفهم من السياق وبالعودة للسياق سنجد أنه أراد الدعاء للممدوح بطول العمر، وكأنه قال: أدعوا الله لك بطول العمر وأن يبلغك منه ما بلغني بدليل أننا لو حذفناها لذهب المعنى الضمني المقصود وإن استقام المعنى الأصلي.

وكذلك الأمر في قوله تعالى:" قالت رب إني وضعتها أنثى – والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى – وإني سميتها مريم"(آل عمران: ٣٦).

المعنى الضمني للزيادة في لآية هو: إشعار المتلقي أن مريم عليها السلام لم ترد من خلال خبرها الإعلام بمضمون الخبر وإنما أرادت التحسر، وأن عليها أن تسلم بما اختاره الله لها وإن لم يوافق ما أردت لأن الخير في ما اختاره الله، وهذا المعنى لم تقله الآية صراحة وإنما هو مستلزم من خلال المقام بواسطة الزيادة في اللفظ على قدر المعنى ؛ إذ الأصل أن يقال- في غير القرآن-: (قالت رب إني وضعتها أنثى وإني سميتها مريم)؛ لأن الغرض من النص هو الشكوى إلى الله والتحسر من كون مولودها لم يكن ذكرا كما كانت تأمل غير القرآن الكريم خرق هذا الأصل وزاد قوله تعالى:" والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى" معترضا بين المعطوف والمعطوف عليه؛ بدليل أن هذا النص ليس من كلام أم مريم وإنما من كلام الله غرضه تعليم أهل القرآن وأم مريم بوجوب التسليم لما اختاره الله وإن خالف مبتغاهم وأيضا الإشارة إلى أفضلية الأنثى الموهوب لها على الذكر الذي طلبته [١١٧] وهذا هو الاستلزام الحواري الذي نشأ من خلال الاعتراض.

الإيغال واستلزاماته التخاطبية

وهو نوع من أنواع الإطناب والمقصود به ختم الكلام شعرا، أو نثرا بما يفيد فائدة يتم المعنى بدونها ومنه قول الخنساء:-

وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار.

الأصل بحسب قاعدة الكم أو الأسلوب ألا يذكر لفظ (في رأسه نار)؛ لأن المعنى يتم بدونه بدليل أن الجبل أعلى من غيره، ولكن الشاعرة خرقت هذا الأصل وكان ذلك مقدمة استدلالية على وجود الاستلزام، وبالعودة إلى السياق سنجد أن غرضها المبالغة والتأكيد على سيادة صخر وإمامته بالهداية على كل حال كما أن الجبل الذي في رأسه نار يهدي الناس ليلا

---

(١١٧) ينظر: الطيب ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٧٥م: ٢٣٣/٣

أو نهارا وهذا هو الاستلزام الحواري الناتج عن الإيغال، فلم تكتفي بأن شبهته بالجبل بل جعلت في رأس الجبل نار حتى تكون دليل الماشي ليلا.

ومنه قوله تعالى" اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون "(يس: ٢٠).

المعنى الضمني لهذه الآية هو: حث وترغيب المخاطبين على اتباع الرسل لما فيهم من الصفات المذكورة وهذا المعنى لم تقله الآية صراحة، وإنما هو معنى ضمني نشأ من خلال الزيادة في الألفاظ على قدر المعنى بدليل أنه لو أراد مطابقة الألفاظ للمعنى؛ لقال: (اتبعوا المرسلين)؛ لأنه يستلزم من لا يسأل الناس أجرا على ما يقدمونه لهم من خدمات ويستلزم الهداية، لكنه عدل عن ذلك إلى الإطناب، وغرضه حث وترغيب المخاطبين على اتباع الرسل من جهة وحث الدعاة والمصلحين من غير الرسل إلى الاقتداء بالرسل في أنهم لا يأخذون أجرا على ما يقدمونه للناس من هداية وإصلاح وأن يكونوا ملتزمين بالهدى قبل هداية غيرهم من جهة أخرى وهذا هو الاستلزام الخطابي من الإطناب في الآية.

ذكر الخاص بعد العام واستلزاماته التخاطبية

ومن ذلك قوله تعالى:" تنزل الملائكة والروح فيها" (القدر: ٤).

المعنى الضمني للآية: الاهتمام بشأن الخاص الذي هو جبريل إشعارا بأن منزلته أعلى من بقية الملائكة، وهو استلزام تخاطبي نشأ من خلال خرق مبدأ الأصل؛ إذ الأصل ألا يذكر لفظ الروح؛ لأن المقصود بالروح جبريل عليه السلام، وهو واحد من جنس الملائكة، ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل؛ فاستلزم ذلك العناية بالخاص؛ كونه ذكر مرتان؛ مرة مع العموم (الملائكة) ومرة منفردا يدلك على ذلك أن الحديث في السياق الذي وردت فيه الآية كان عن ليلة القدر وفضلها وشرفها؛ فهي ليلة نزل فيها القرآن وأنزل متفرقا بمعية جبريل عليه السلام.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى " حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى" (البقرة: ٢٣٧).

الاستلزام التخاطبي أو المعنى الضمني الناتج من خلال نظم الآية هو التأكيد على أن الصلاة الوسطى التي لا تطويل ولا إخلال في أداها أفضل من غيرها بدليل الزيادة في اللفظ التي اقتضت التكرار للأمر بالحفاظ عليها مرة مع الصلاة على إطلاقها ومرة مخصصة عن طريق العطف وهذا المعنى الضمني نشأ من خلال الإطناب إذ لو لم يرد ذلك لقال: حافظوا على الصلاة.

ومن ذلك قوله تعالى " من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال"(البقرة:٩٨).

المعنى الضمني لهذه الآية الإشعار بأن جبريل وميكال أفضل من جنس بقية الملائكة وأن الملائكة أفضل من بقية رسل الله، وهذا المعنى لم تقله الآية صراحة وإنما استلزمه زيادة الألفاظ على قدر المعاني؛ إذ إن الأصل أن يقال في غير القرآن من كان عدوا لله وملائكته ورسله ولا يذكر جبريل وميكائيل، لأنهم من جنس الملائكة ولكن القرآن خرق هذا الأصل ليشير إلى هذا الاستلزام كما كان ذكر الملائكة مرتين مرة مع لفظ الرسل لأن الملائكة رسل ومرة منفردين دليل على أفضليتهم على غيرهم من البشر في العبادة.

وقوله تعالى " ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر"(آل عمران: ١٠٤).

الاستلزام التخاطبي لهذه الآية هو أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من أفضل أعمال الخير وهذا الاستلزام التخاطبي لم تقله الآية صراحة وإنما نشأ من خلال تكرار ذكر الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مرتين مرة مع قوله يدعون إلى الخير لأن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هو خير ومرة منفردا عن طرق العطف.

ذكر العام بعد الخاص واستلزاماته التخاطبية

ومنه قوله تعالى " رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات" **(نوح: ٢٨).**

الاستلزام الخطابي في الآية السابقة هو أن اهتمام نوح بطلب المغفرة لوالديه كان أقوى ممن دخل بيته؛ يدلك على ذلك أن طلبها لهما كانت مطلقة دون تخصيص وليس كذلك من دخل بيته؛ فقد كانت مخصصة بالإيمان كما أن اهتمام نوح بطلب المغفرة لمن دخل بيته مؤمنا كان أقوى من طلبها لغيرهم من المؤمنين؛ يدلك على ذلك أنه ذكرهم مرتين: مرة منفردين ومرة مع المؤمنين والمؤمنات وبذلك يكون نوح قد دعا لنفسه ولوالديه ثلاث مرات في حال إيمانهما ولمن دخل بيته مرتين، ولغيرهم مرة واحدة وهذا الاستلزام لم تقله الآية صراحة وإنما نشأ من خلال الإطناب؛ لأن من ذكرهم يدخلون في جنس المؤمنين والمؤمنات، وكان الأصل لو أراد الإيجاز أن يقول: رب اغفر لي وللمؤمنين والمؤمنات ولكنه أطنب للإشارة إلى المعنى الضمني السابق.

التذييل واستلزاماته التخاطبية

ومن الأمور خرقت مبدأ المطابقة بين اللفظ والمعنى بزيادة الألفاظ زائدة على قدر المعنى ما سماه البلاغيون التذييل؛ وهو تعقيب الجملة بجملة تشتمل على معناها لفائدة ومنه قوله تعالى:" وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا" (الإسراء: ٨١).

جملة: (إن الباطل كان زهوقا) تحمل معنى جملة (زهق الباطل) وكان الأصل بحسب الظاهر ألا يذكرها لكن النص القرآني خالف هذا الظاهر بذكرها فاستلزم ذلك معنى ضمنيا مفاده: التأكيد والتدليل على أن الباطل زاهق وإن استفحل أمره وهذا المعنى لم تقله الآية صراحة وإنما نتج من خلال زيادة الألفاظ على قدر المعنى؛ يدلك على ذلك التكرار للمعنى وسياق الحال بالنسبة للمخاطب فلما كان في العادة أن الباطل يستفحل أمره حتى يظن بتغلبه على الحق كان

الأمر يحتاج إلى التأكيد والتنصيص على بطلان الباطل واندحاره مهما طال واستفحل وهذا هو المعنى الاستلزامي للإطناب.

ومن ذلك أيضا قول النابغة:-

ولست بمستبق أخا لا تلومه   على شعث أي الرجال المهذب.

المعنى الاستلزامي للبيت السابق هو التدليل على نفي الكمال عن الإنسان مهما علا ومهما كانت رتبته وعلمه؛ فهو غير معصوم من الخطأ وهذا المعنى لم تقله البيت صراحة وإنما نشأ من خلال زيادة (أي الرجال المهذب) على المعنى المراد؛ لأنها تحمل المعنى نفسه الذي ذكره الشاعر في البيت، وكان الأصل ألا يذكرها لكنه خرق هذا الأصل؛ فاستلزم ذلك أنه أراد التدليل والتأكيد على ما قاله عن طريق ذكر المعنى مرتين، مرة عن طرق النفي، ومرة في جملة مستقلة عن طريق الاستفهام الإنكاري، ومثل هذا النوع من الإطناب في البيت وفي النصوص السابقة يسميه البلاغيون تذييل جاري مجرى المثل لأن الجملة تستقل بمعناها ولا ارتباط لها بسابقتها.

وهناك نوع آخر للتذيل، وهو التذيل غير جارى مجرى المثل وعلامته أن تذكر جملة مشتملة على معنى جملة سابقة لها غير أن هذه الجملة غير مستقلة بمعناها عن الأولى؛ بمعنى لا يستطيع المتلقي النطق بها مستقلة عن الأولى ومن ذلك قوله تعالى:"ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور"(سبأ: ١٧).

فالآية اشتملت على جملة "هل نجازي إلا الكفور" وهذه الجملة مشتملة على معنى جملة "ذلك جزيناهم بما كفروا " ولكنها غير مستقلة عنها؛ أي لا نستطيع النطق بـ" هل نجازي إلا الكفور " دون النطق بالجملة السابقة لها مثل هذا يقال له تذيل جار مجرى المثل.

وقد اجتمع النوعان في قوله تعالى" وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت " (الأنبياء: ٣٤، ٣٥).

المعنى الضمني لهذه الآية هو التأكيد على فناء البشرية وهذا المعنى مأخوذ من خلال تكرار الفناء ثلاث مرات الأولى من خلال النفي الصريح (ما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) والثاني من خلال الاستفهام الإنكاري (أفإن مت فهم الخالدون) وهو تذيل غير جار مجرى المثل والثالث من خلال التذيل الجاري مجرى المثل(كل نفس ذائقة الموت).

وضع الاسم الظاهر موضع الضمير واستلزاماته التخاطبية

ومن الإطناب الذي ينتج عنه استلزامات خطابية –بالإضافة إلى ما سبق– وضع الاسم الظاهر موضع الضمير؛ إذ لأصل في الخطاب بحسب الظاهر أنه إذا سبق الضمير مرجع يشير إليه ويزيل إبهامه أن يكون المقام للضمير وذلك توخيا للإيجاز في الأسلوب، على اعتبار أن الضمير أوجز من الاسم الظاهر، غير أن المتكلم قد يعمد إلى الإطناب خرقا للأصل؛ فيعبر بالاسم الظاهر عوضا عن الضمير ويكون ذلك لاستلزامات تخاطبية يبتغيها من خلال الخرق، ومن هذه الاستلزامات ما يلي:

التنبيه على علة الحكم

ومنه قوله تعالى: " وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصلاة إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ" (الأعراف: ١٧٠)

الأصل بحسب الظاهر أن يقال في غير القرآن: (إنا لا نضيع أجرهم) فيعبر بالضمير على اعتبار أن الحديث عن الذين يمسكون بالكتاب؛ لكن النص القرآني خرق هذا الأصل وعبر بالاسم الظاهر:(المصلحين) واستلزم ذلك تخاطبيا: أن الذين يتمسكون بأوامر الكتاب ويقيمون الصلاة هم مصلحون وهذا الاستلزام لم تقله الآية صراحة وإنما نشأ من خلال التعبير بالاسم

الظاهر(المصلحين) بدلا عن الضمير خروجا على ما يقتضي الظاهر؛ إذ لو لم يرد ذلك الاستلزام لأجرى الخطاب على مقتضى الظاهر فقال إنا لا نضيع أجرهم.

ومنه قوله تعالى: "إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" (يوسف: ٩٠).

الأصل بحسب الظاهر أن يقال في غير القرآن: (إن الله لا يضيع أجرهم) فيعبر بالضمير على اعتبار أن الحديث عن المتقين والصابرين ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل فاستلزم ذلك تخاطبيا بمعونة السياق معنا ضمنيا مفاده: أن المتقين والصابرين محسنون، وأن من الإحسان الصبر والتقوى يدلك على ذلك- بالإضافة إلى الخرق- أنه عدل عن المتقين أو الصابرين إلى المحسنين؛ إذ لو لم يرد ذلك لقال: (إنه لا يضيع أجر المتقين أو الصابرين).

كمال العناية

ومنه قول الشاعر:

كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ   وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقاً

هَذَا الَّذِي تَرَكَ الأَوْهَامَ حَائِرَةً   وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النَّحْرِيرَ زِنْدِيقًا

الأصل أن يقول: هو الذي ترك بدلا عن الاسم الظاهر (هذا) لكن الشاعر خرق الأصل وعبر بالاسم الظاهر وهو ما جعل المتلقي يدرك أن المتكلم أراد أمرا آخر نبه إليه من خلال الخرق وذلك هو لفت نظر المتلقي إلى ما سبق ذكره والعناية به كونه أمرا غريبا أن يرزق الجاهل ويترك العالم وفي هذا دليل على حكمة الله في الرزق وأن الرزق بيد الله.

التهكم والسخرية

ومنه قوله تعالى: "بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب" (ص: ٤).

الأصل في غير القرآن أن يقال: (وقالوا هو ساحر كذاب)، ولكن النص القرآني عدل عن هذا الأصل إلى التعبير بالاسم الظاهر وغرضه من ذلك السخرية والتهكم من المقصودين بالخطاب عن طريق التصريح بكفرهم وهذا هو الاستلزام الخطابي من هذا العدول.

ومن ذلك قوله تعالى:" لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيرا وقالوا هذا إفك مبين" (النور: ١٢).

المعنى الضمني هو أن المؤمنين والمؤمنات تناقلوا حادثة الإفك مثل غيرهم وكان الأولى ألا يفعلوا ذلك وهذا المعنى لم تقله الآية صراحة وإنما نشأ من خلال التعبير بالاسم الظاهر في موقع الضمير خروجا على مقتضى الظاهر؛ إذ لو لم يرد ذلك وأراد الظاهر لقال:(ظننتم)؛لأنه قال (سمعتموه)، على اعتبار أن الحديث كان عن المؤمنين والمؤمنات ولكنه عدل عن ذلك إلى التعبير بالظاهر لما في هذا العدول من معان ضمنية أراد اشعار المخاطب بها عن طريق العدول ومن تلك المعاني -فضلا عما سبق- التوبيخ والتقريع للذين تناقلوا حادثة الإفك من المؤمنين عن طريق ذكرهم بالاسم لمزيد التوبيخ إذ كيف يكونون مؤمنين ويتناقلون مثل ذلك دون إثبات، أو تثبت من الأمر.

أما عدوله عن الضمير(بهما) إلى الاسم الظاهر (بأنفسهم) فقد استلزم أنه يجب على المؤمن أن ينزل نفسه منزلة غيره قبل أن يتسرع بالحكم عليه وهو ما يشعر أن صفة الإيمان كافية بأن تمنع صاحبها من اقتراف المعاصي، يؤيد ذلك الحوار الذي جرى بين أبي أيوب الأنصاري وزوجته، فقد روي أن أبا أيوب الأنصاري قال لامرأته: ألا ترين مقالة الناس في عائشة؟! فقالت: لو كنت مكان صفوان أو كنت تخون رسول الله؟! قال لا. قالت: ولو كنت أنا بدل عائشة ما فعلت، وصفوان خير منك وعائشة خير مني[١١٨].

---

(١١٨) انظر: محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه ،مط دار اليمامة ،ودار ابن كثير، دمشق، بيروت: ٢٥٧/١٨

التنبيه على غباوة السامع

ومن ذلك أن يقال لك: من الحاكم؟ فتجيب ذلك محمد.

الأصل بحسب الظاهر أن تكون الإجابة (محمد) توخيا للإيجاز ولكنك عدلت عن ذلك إلى القول: (ذلك محمد) واستلزم ذلك خطابيا وصف محادثك بالغباء وهذا الاستلزام لم تقله العبرة صراحة وإنما نشأ من خلال زيادة (ذلك) وكأنك تقول بطريقة ضمنية أن من سألك غبي لا يفهم إلا من خلال الإشارة ومن خلال المحسوس المشاهد.

إدخال الروع والمهابة في ذهن المتلقي

من ذلك قوله تعالى: " فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(آل عمران: ٥٩).

الأصل بحسب الظاهر في غير القرآن أن يقال: (إنه يحب المتوكلين) ولكن القرآن عبر بالاسم الظاهر لما في من المهابة والجلال وهذا هو الاستلزام الخطابي لخروج التعبير عن مقتضى الظاهر.

ومنه قوله تعالى : قالوا لا ضير إنَّا إلى ربنا لمنقلبون ۞ إنَّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أنْ كنَّا أوَّل المؤمنين" (الشعراء: ٥٠، ٥١).

فكان الأصل أن يقولوا: (أن يغفر لنا خطايانا) ويعبروا بالضمير لتقدم ذكر المرجع، لكنهم عدلوا عن ذلك إلى التعبير بالاسم الظاهر لما في التعبير من المهابة والروعة في مقام اقتناعهم بربوبيتهم لله ونفيها عن فرعون .

التنبيه على التمادي والظلم

ومنه قوله تعالى:" وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا " (الفرقان: ٨).

المعنى الضمني هو أن وصفهم للرسول بأنه مسحورا أو ساحر إنما هو من قبيل الظلم لأنهم يعلمون أنه ليس كذلك وهذا المعنى نشأ من خلال العدول عن التعبير بالضمير إلى التعبير بالاسم الظاهر لأن الأصل في غير القرآن أن يقال: (وقالوا إن تتبعون) لأن النص سبق وأن عبر بالضمير في قوله تعالى:" وقالوا ما لهذا الرسول " ولكن النص القرآني عدل عن ذلك إلى التعبير بالاسم الظاهر تنبيها على أن ما قالوه كان ظلما واعتداء يدلك على ذلك العدول عن لفظ المشركين؛ فلم يقل: (إن الله لا يحب المشركين) مع أن الحديث في الآية كان عن مشركي مكة.

إزالة اللبس

ومنه قوله تعالى: "قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء" (آل عمران: ٢٦).

الاستلزام الخطابي لهذه الآية التنصيص على أن الملك الثاني غير الملك الأول بدليل التعبير بالاسم الظاهر في موطن الضمير خروجا على مقتضى الظاهر لأن الأصل بحسب الظاهر أن يقال- في غير القرآن-: (توتيه من تشاء) ولكن القرآن عدل عن ذلك منعا لتوهم السامع أن الملك الأول هو الملك الثاني .

إفادة العموم

ومنه قوله تعالى: "حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها" (الكهف: ٧٧).

الأصل في غير القرآن أن يقال: (استطعماهم) على اعتبار أن الحديث عن أهل القرية ولكن القرآن عدل عن ذلك إلى التعبير بالاسم الظاهر(أهلها) لما في ذلك من إفادة العموم والدلالة على أنهما مرا على أهل القرية واحدا واحدا ومع ذلك لم يطعموهم وهذا هو الاستلزام الخطابي الناتج من خلال العدول؛ يدلك على ذلك سياق الآية والذي من ضمنه استغراب موسى

من فعل العبد الصالح المتمثل في إعادة بناء الجدار الذي أوشك على السقوط في تلك القرية وقوله له: لو شئت لاتخذت عليه أجرا.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: "وما ابرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء"(يوسف: ٥٣).

الأصل بحسب الظاهر أن يقال في غير القرآن: (إنها لأمارة) على اعتبار أن الحديث عن النفس وقد تقدم المرجع ولكن القرآن عدل عن ذلك إلى التعبير بالظاهر (النفس) فاستلزم ذلك تخاطبيا تعميم الحكم وعدم اقتصاره على نفس زوجة العزيز؛ أي أن النفس البشرية على الإطلاق أمارة بالسوء وهذا الاستلزام لم تقله الآية صراحة وإنما فهم من خلال التعبير بالاسم الظاهر في موطن الضمير.

قصد الخصوص

ومنه قوله تعالى: "وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي " (الأحزاب: ٥٠).

المعنى الضمني لهذه الآية أن هذا النوع من النكاح خاص بالنبي دون غيره وهذا المعنى نشأ من خلال التعبير بالاسم الظاهر في موطن الضمير خرقا للأصل؛ إذ الأصل- في غير القرآن- أن يقال: (وهبت نفسها لك) ولكن النص القرآني عدل عن ذلك لغرض تنبيه المتلقي أن ذلك خاص بالنبي دون غيره من الناس، يدلك على ذلك التصريح بهذه الخصوصية بعد ذلك حين قال: " إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ " (الأحزاب: ٥٠).

المبحث الثالث

القصر واستلزاماته الخطابية

تعريف القصر

قال ابن فارس القاف والصاد والراء أصلان صحيحان؛ أحدهما يدل على ألا يبلغ الشيء مداه أو نهايته والثاني يدل على الحبس، والأصلان متقاربان؛ فالأول القِصَر ضد الطول، والثاني الحبس؛ يقال قصرته؛ أي حبسته وهو مقصور على كذا أي محبوس؛ قال تعالى: " حور مقصورات في الخيام " (١١٩) .

والقصر في المفهوم الاصطلاحي هو" تخصيص شيء بشيء بطريق مخصوص" ويسمى الشيء الأول المقصور والشيء الثاني المقصور عليه(١٢٠).

من خلال التعريف يتضح لنا أن جملة القصر تشتمل على ثلاثة أشياء سماها البلاغيون أركان جملة القصر وهي: المقصور الذي هو الشيء الأول، والمقصور عليه الذي هو الشيء الثاني، وأداة القصر (النفي والإثبات أو إنما أو التقديم أو العطف) التي هي الطريق المخصوص(١٢١)؛ فإذا قلنا: (ما قام إلا سعيد) هذه الجملة تسمى أسلوب قصر؛ وهو مكون من المقصور الذي هو(القيام)، والمقصور عليه الذي هو (سعيد)، وأداة القصر التي هي النفي والإثبات (ما وإلا) في العبارة السابقة.

وأسلوب القصر هو في الحقيقة يشكل خرقا لمبدأ الأصل في المطابقة بين اللفظ والمعنى؛ لأنه عند النظر في الجملة السابقة: (ما قام إلا سعيد) سنجد أنها تستلزم معنيين متناقضين هما: النفي والإثبات؛ إثبات القيام لسعيد، وهو معنى مفهوم صراحة من العبارة، ونفي

---

(١١٩) : مقاييس اللغة مادة (ق- ص- ر)

(١٢٠) مُحَّد أبو موسى ، دلالة التراكيب، مكتبة وهبة ، عابدين ، ط ٢ ، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م: /٣٣

(١٢١) ينظر: السابق: /٣٣

القيام عن غير سعيد وهو معنى ضمني استلزامي معمم(١٢٢) لجملة القصر نشأ من خلال النفي والإثبات؛ لذلك كان أسلوب القصر طريق من طرق الإيجاز وهو الإتيان بالألفاظ أقل من المعاني دون حذف شيء من الألفاظ.

وفي قوله تعالي: "إنما أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" (الرعد : ٧).

الآية السابقة اشتملت على معنيين الأول صريح بالإثبات (انت منذر) والثاني مستلزم منفي مضمر: (انت لست هاديا)، وهكذا الشأن في كل جمل القصر لذلك كان المعنى الضمني الناتج عن جملة القصر مستلزم تخاطبي معمم.

غير أن معرفة نوع القصر إن كان قصرا حقيقا أم قصرا ادعائيا أم قصرا إضافيا وغير ذلك؛ مرده إلى الساق، وقرائنه بالإضافة إلى مقصدية المتكلم، واعتقاد المخاطب؛ أي أنه استلزام تخاطبي مخصص(١٢٣) ويكون ذلك وفق شروط حددها البلاغيون للتمييز بين أنواع القصر المختلفة وذلك بناء على نوع النفي إن كان عاما أو خاصا، أو ركني جملة القصر، وكان ذلك على النحو التالي:

القصر بحسب عموم النفي وخصوصه

ذكر البلاغيون أنه إذا كان النفي عاما يشمل كل ما عدا المقصور عليه؛ فإن القصر إما أن يطابق الواقع، أو لا يطابقه؛ فإن طابقه كان القصر حقيقيا وإن لم يطابقه كان القصر ادعائيا على سبيل المبالغة.

---

(١٢٢) الاستلزام التخاطبي المعمم هو الذي لا يرتهن إلى السياق في معرفته وإنما إلى الأدوات اللغوية (ينظر: جاك موشلر– آن ريبو، القاموس الموسوعي للتداولية:/ ٢٠٧)

(١٢٣) الاستلزام التخاطبي المخصص هو الذي يرتهن إلى السياق في معرفته والاستدلال عليه

وإذا كان النفي خاصا بالنسبة إلى شيء محدد ولا يشمل كل ما عدا المقصور عليه؛ فالقصر حينئذ إضافيا وهذا النوع- تبعا لاعتقاد المخاطب- إما أن يكون قصر قلب، أو قصر إفراد، أو قصر تعيين وحتى تتضح تلك الشروط أكثر نضرب المثال التالي:

ما غائب إلا علي

الجملة السابقة تستلزم تخاطبيا جملتين هما: (غياب على وحضور غيره)، وهذا استلزام تخاطبي معمم لا يتطلب النظر في السياق لمعرفته، ولكن تحديد نوع القصر يحتاج إلى النظر في السياق لمعرفته؛ فالجملة السابقة قبل النظر في السياق تستلزم استلزاما محتملا أن يكون القصر فيها قصرا حقيقيا أو ادعائيا أو قصرا إضافيا، وبالعودة إلى السياق وقرائنه سيتحدد نوع القصر؛ فإذا كان قصد المتكلم نفي الغياب عن كل شخص وإثباته لـ(علي) وكان الواقع يؤيده؛ بأن ذهبنا إلى المكان المعين ووجدنا أن كل الناس في المكان المحدد حاضرين ما عدا عليا كان القصر حقيقيا؛ لتحقق شروط القصر الحقيقي (عموم النفي عما سوى المذكور، ومطابقة الواقع للغرض من القصر)، أما إذا وجدنا أن هناك شخصا أو أشخاص غائبين بالإضافة لـ(علي)؛ فالقصر حينئذ ادعائي؛ لنقصان شرط من شروط النعت الحقيق، وهو شرط المطابقة للواقع، ويكون غرضه المبالغة بمعنى أن المتكلم لم يعتد بغياب غير علي نظر لعدم اهتمامه بغيابهم أو حضورهم.

أما إذا كان النفي في الجملة السابقة خاصا بالنسبة لشيء معين؛ فإن القصر يكون إضافيا والذي يحدد ذلك مقصدية المتكلم بالنظر إلى اعتقاد المتكلم؛ ففي الجملة السابقة وفي حال كان قصد المتكلم النفي الخاص؛ فإن الجملة تستلزم استلزاما تخاطبيا أن يكون القصر إما قصر قلب أو إفراد أو تعين؛ فإذا كان المخاطب يعتقد أن الذي غاب هو محمد مثلا وليس عليا كان القصر قصر قلب؛ لأن غرضه عكس ما كان يعتقده المخاطب، وإن كان المخاطب يعتقد

اشتراك محمد مع على في الغياب، وقال المتكلم الجملة السابقة يكون نوع القصر قصر إفراد؛ لأن غرضه نفي الشركة، وإن كان المخاطب مترددا في الحكم بين أن يكون الغائب محمد أو علي؛ فالقصر حينئذ قصر تعيين؛ لأن غرضه تعين واحد منهما.

ولمزيد من التوضيح يمكن القول: يشترط في القصر الحقيقي اشتماله على الشرطين التاليين:

1- أن يكون النفي في جملة القصر عاما يشمل كل ما عدا المقصور عليه.

2- أن يكون القصر مطابقا للحقيقة والواقع.

إذا توفرت الشروط السابقة في جملة القصر كان القصر قصرا حقيقيا، أما إذا فقدت الجملة شرط المطابقة (الشرط الثاني)؛ فإن القصر يتحول إلى قصر ادعائي، وإن فقدت الجملة الشرط الأول؛ بأن كان النفي خاصا وليس عاما؛ فإن القصر يكون إضافيا.

ومن أجل ترسيخ المفاهيم السابقة سنعمد إلى شواهد من النصوص البلاغية محاولين تحليلها وبيان الاستلزامات التخاطبية الناتجة عنها ومن ذلك:

قوله تعالى: "إنما يتذكر أولى الألباب" (الرعد: ١٩).

المعنى الضمني هو: (غير أولي الألباب لا يتذكر) وهو استلزام تخاطبي معمم لجملة القصر وبالنظر إلى الحقيقة والواقع؛ فالنفي عام يشمل كل ما سوى المقصور عليه بقرينة العقل؛ لأن في المفهوم أن من لا يملك عقلا لا يتذكر ولا ينفعه التذكير وهذا يستلزم أن القصر حقيقي.

وفي قوله تعالى: "إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر : ٢٨).

الجملة السابقة أسلوب قصر فيها المقصور(خشية الله) والمقصور عليه(الله) وهما طرفا القصر وأداة القصر (إنما)، وهذه الجملة تستلزم تخاطبيا قبل النظر للواقع: أن غير العلماء لا يخشون الله، ولكن بالعودة إلى الواقع سنجد أن النفي لا يطابق الواقع؛ بدليل أن هناك من الخلق

من غير العلماء يخشون الله وإنما لم تعتد بهم الآية؛ لأن خشيتهم ليست بدرجة خشية العلماء؛ لذلك كان القصر بعد النظر في مطابقة النفي للواقع قصرا ادعائيا غرضه المبالغة في خشية العلماء؛ أي أن العلماء أكثر خشية من غيرهم من الناس، وهذا الاستلزام نشأ من خلال أنه أثبت الخشية للعلماء ونفاها عن غيرهم نفيا عاما.

ومن ذلك أن تقول: (ما شاعر إلا المتنبي).

اسلوب القصر في الجملة السابقة مكون من المقصور (صفة الشعر) ومقصور عليه (المتنبي) وأداة القصر(ما وإلا)، وهذا الأسلوب يستلزم تخاطبيا أن غير المتنبي ليس بشاعر وهذا قبل النظر في الحقيقة والواقع، ولكن بالعودة إلى الواقع سنجد أن هذا النفي لا يطابق الواقع؛ فهناك من الناس غير المتنبي من يقولون الشعر عبر العصور؛ (خلفية معرفية) وبموجب قانون التعاون؛ فلابد أن المتكلم أراد معنى ضمنيا آخر يفهم من خلال السياق، وقرائن الخطاب وبالعودة إلى السياق سنجد أن المتكلم أراد المبالغة في شاعرية المتنبي وأنه أفضل من غيره من الشعراء؛ بحيث أن غيره لا يعتد بهم لأنهم لا يرقون إلى منزلة المتنبي؛ يدلك على ذلك قوة شعره وامتداده عبر العصور؛ لذلك كان القصر قصرا ادعائيا غرضه المبالغة في شاعرية المتنبي.

ونود الإشارة إلى أن الذي يحدد عموم النفي من خصوصه هو سياق الخطاب ومقام الحديث؛ فالجملة السابقة قد يكون النفي فيها خاصا في سياقات أخرى ومقامات أخرى بحسب مقصدية الخطاب.

من ذلك علي سبيل المثال لا الحصر قوله تعالى: " وَمَا مَحمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل " (آل عمران : ١٤٤).

المقصور في الآية السابقة هو(محمد) المقصور عليه (صفة الرسالة) وأداة القصر النفي والإثبات(ما وإلا)، وهذه الآية استلزمت تخاطبيا إثبات الرسالة ونفي صفة الخلود فقط عن الرسول

محمد ﷺ؛ فالنفي خاصا بصفة معينة هي صفة الخلود ولا يشمل كل الصفات كما في الشواهد السابقة يدلك على ذلك سبب النزول؛ فقد نزلت هذه الآية بسبب الإرجاف يوم أحد بقتل محمد ﷺ، وبدليل قوله تعالى بعد ذلك: " أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " (آل عمران: ١٤٤)؛ لذلك كان القصر قصرا إضافيا ونوعه قلب؛ لأنه قلب مفهوم الناس عن الرسول ﷺ أنه مخلد لا يموت إلى أنه رسول مثل بقية الرسل البشر الذين يموتون ولا يخلدون.

لكن قد يكون المخاطب يعتقد الشركة في الصفة كما في قوله تعالى: " وَلاَ تَقُولُواْ ثَلاَثَةٌ انتَهُواْ خَيْرًا لَّكُمْ إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ " (النساء: ١٧٠).

(إِنَّمَا اللّهُ إِلَـهٌ وَاحِدٌ) اسلوب قصر أداة القصر (إنما) المقصور هو (الله)؛ لأنه بعد إنما المقصور عليه هو(صفة الألوهية)، وهذا القصر يستلزم تخاطبيا معنى ضمنيا مفاده: (ليس الله ثلاثة)، ونشأ هذا الاستلزام من خلال قصر الألوهية على الله ونفيها عما يقولون بأن الله ثلاثة نفيا خاصا بدليل قوله تعالى: (ولا تقولوا ثلاثة)؛ لذلك كان القصر إضافيا ونوعه قصر إفراد؛ لأن المخاطبين كانوا يعتقدون أن الله ثلاثة الأب والابن والروح القدس؛ فأزال الله اعتقادهم هذا بإفراد صفة الألوهية عليه ونفاها عما ذكروا لذلك كان القصر قصر إفراد.

كما قد يكون المخاطب مترددا في الحكم على قضية ما؛ فيعمد المتكلم عن طريق القصر الإضافي إلى تعين المقصود وحينئذ يكون القصر قصر تعيين؛ كأن تقول لمن يتردد في الحكم على من غلب الأخر في المنازلة أهو محمد أم صالح؟ فتقول له: محمد الغالب لا صالح؛ فأنت اثبت الغلبة لمحمد الذي هو المقصور ونفيتها عن (صالح) الذي هو المقصور عليه ونوع القصر هنا قصر تعيين؛ لأنك عينت لمخاطبك من الفائز او الغالب.

القصر باعتبار طرفيه واستلزاماته التخاطبية

كما يقسم القصر باعتبار طرفيه؛ أي المقصور، والمقصور عليه؛ إلى قسمين هما: قصر صفة على موصوف، وقصر موصوف على صفة[١٢٤] وذلك بحسب نوع كل منهما؛ فإن كان المقصور صفة والمقصور عليه موصوفا نقول: إن القصر من باب قصر الصفة على موصوف وإن كان العكس نقول: إن القصر من باب قصر الموصوف على الصفة إما قصرا حقيقيا أو ادعائيا أو إضافيا بأنواعه الثلاثة(القلب او الإفراد أو التعيين) وسنحاول توضيح ذلك من خلال الشواهد والأمثلة التالية:

من ذلك أن نقول: (ما شاعر إلا المتنبي).

المقصور في هذا المثال (شاعر) ونوعه صفة، والمقصور عليه (المتنبي) ونوعه موصوف، وهذا يستلزم- وفق المفهوم السابق- أن القصر من نوع قصر الصفة على الموصوف؛ وفي هذا النوع من القصر معنى ضمني هو: المدح والإشادة بالمتنبي وهذا المعنى لم تقله العبارة صراحة وإنما نشأ من كوننا قصرنا صفة الشاعرية على المتنبي ونفيناها عن غيره؛ لأن المعني سيكون الشاعر هو المتنبي غير المتنبي ليس بشاعر .

بالمقابل إذا قولنا : ما المتنبي إلا شاعر

المقصور (المتنبي) ونوعه موصوف والمقصور عليه (شاعر) ونوعه صفة؛ أي أن القصر من باب قصر الموصوف على الصفة، وهذا يستلزم معنى ضمنيا هو القدح أو الهجاء في شخصية المتنبي نشأ هذا الاستلزام من كوننا قصرنا المتنبي على صفة واحدة فقط ونفينا عنه

(١٢٤) يجب التنويه إلى أن المقصود بالصفة هنا ليس النعت وإنما هي المعنى الذي يقوم بغيره في الجملة، ونقصد بالموصوف الذي يتصف بهذا المعنى أو يقوم به؛ كما سيتضح ذلك من خلال تحليلنا لنماذج من الشواهد وبيان الاستلزامات التخاطبية لها.

بقية الصفات كالشجاعة والكرم والنبل وغيرها من الصفات؛ لأن المعنى سيكون: المتنبي لا يتقن إلا صفة الشعر فقط دون غيرها.

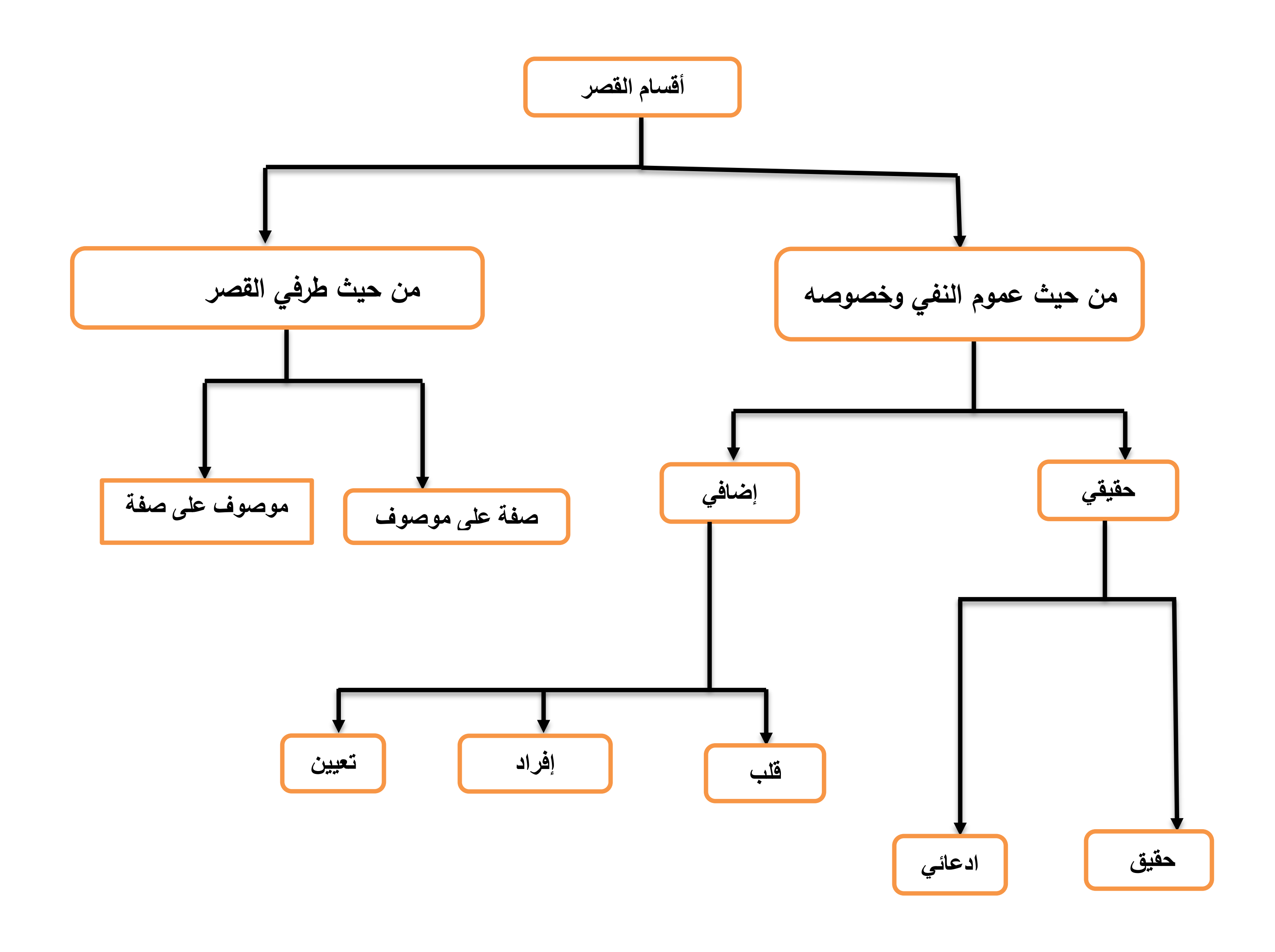
وكذا قول الشاعر :" إنما الأمم الأخلاق "

في هذه العبارة المقصور هو(الأمم) وهو موصوف والمقصور عليه(الأخلاق) ونوعه صفة لذا فإن القصر من باب قصر الموصوف على الصفة وهذا يستلزم تخاطبيا أن أي أمة بدون أخلاق ليست أمة نشأ هذا الاستلزام من كون الشاعر قصر الأمم على الأخلاق ونفى عنها بقية الصفات مبالغة و ادعاء الغرض منه الإعلاء من قيمة الأخلاق الذي هو الدين عند الأمم بدليل أن كينونة الأمة ووجودها لا يتمثل بالأخلاق.

أما قول أبي تمام:

لا يطردُ الهمَّ إلاَّ الهمُّ من رجلٍ   مُقَلْقِلٍ لِبَنَاتِ القَفْرَةِ النُّعُبِ

فإن قوله: (لا يطرد الهم إلا الهم من رجل) أسلوب قصر فيه المقصور هو: (صفة طرد الهم) أي الحزن والمقصور عليه هو (الهم) بمعنى الهمة نوع القصر من باب قصر الصفة؛ على الموصوف؛ لأن الهم الأول هو ما يجده الشخص في نفسه مما يتوجب رحيله والهم الثاني هو بمعنى الهمة وهي التي تزيل الهم الأول وهو قصر ادعائي غرضه الإعلاء من شأن العزيمة والهمة عند الإنسان.


أقسام القصر
من حيث عموم النفي وخصوصه
من حيث طرفي القصر
حقيقي
إضافي
صفة على موصوف
موصوف على صفة
حقيق
ادعائي
قلب
إفراد
تعيين

أدوات القصر

للقصر الاصطلاحي أربع أدوات هي: (النفي والاستثناء – إنما– التقديم – العطف بـ(لا، وبل، لكن)) وهذه هي أدوات القصر القياسية ولكل من هذه الأدوات خصائص تمتاز بها عن غيرها سنحاول تبيينها من خلال تحليل الشواهد وبيان الاستلزامات الناتجة عنها وذلك على النحو التالي:

أداة النفي والاستثناء(ما وإلا)

وهي الطريقة الأولى من طرائق القصر وهي أم الباب وأول ما تختص به هذه الأداة أن الأصل فيها ألاّ تستعمل إلا مع الأمر الذي يجهله المخاطب ويحتاج إلى توكيد وتقرير؛ قال عبد القاهر "وأما الخبرُ بالنَّفي والإثباتِ نحو ما هذا إلاَّ كذا وإنْ هو إلاّ كذا فيكونُ للأمرِ يُنْكِرهُ المخاطَب ويشكّ فيه"(١٢٥)

من ذلك قوله تعالى :" وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه وفي آذانهم وقرا وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها حتى إذا جاءوك يجادلونك يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين وهم ينهون عنه وينأون عنه وإن يهلكون إلا أنفسهم وما يشعرون " (الأنعام: ٢٥، ٢٦).

جملة القصر هي: (إن هذا إلا أساطير الأولين) فيها المقصور هو(هذا) المشار به إلى القرآن الكريم والمقصور عليه(أساطير الأولين) والأداة هي النفي والإثبات (إن، ،إلا) واستخدامهم للنفي والإثبات طريقا للقصر يستلزم أنهم استشعروا أن من سيوجهون إليه خطابهم منكر وغير مقتنع بما سيقولونه لذلك لجأوا إلى هذا الطريق تأكيدا على كذبهم من أن القرآن أساطير.

---

(١٢٥) عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح : مُحَمَّد التنجي: /٢٥٥

كما أن قوله تعالى: "وإن يهلكون إلا انفسهم" جملة قصر؛ قُصِرَ فيها الهلاك على أنفسهم دون غيرها وهذا يستلزم أنهم كانوا يعتقدون أنهم بقولهم على القرآن أنه سحر يستطيعون إهلاك القرآن بدليل قوله (وهم ينهون عنه وينأون عنه)؛ لذلك أتي القصر بالنفي والإثبات تأكيدا لهم بأنهم في الحقيقة يهلكون أنفسهم ولا يهلكون القرآن.

ومنه قوله تعالى :" قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون " (الأنعام: ٥٠).

جاء القصر فيها –أيضا– بالنفي ولإثبات(إن أتبع إلا ما يوحى إلي) وهذا يستلزم أن المخاطبين كانوا منكرين وشاكين في أن ما يأتي به وحي من عند الله.

هذا هو الأصل في استخدام النفي الإثبات طريقا للقصر أي أن يستخدم في أمر ينكره المخاطب أو يشك فيه لكن قد يخرق المتكلم هذا الأصل لاستلزامات خطابية ارادها من خلال الخرق ومن ذلك:

قوله تعالى: " قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَآؤُنَا " (ابراهيم: ١٠).

المخاطبون بالقصر بهذه الآية هم الرسل وهم لا يشكون في بشريتهم فضلا عن أن ينكروها وكان الأصل أن تستخدم(إنما) بدلا عن النفي والإثبات لكن المتكلم خرق هذا الأصل فاستلزم ذلك أن المتكلمين بالقصر اعتقدوا في الرسل أنهم أخرجوا أنفسهم من البشرية بادعائهم النبوة وأنهم ينكرون بشريتهم؛ لذلك وجهوا لكم القصر بالنفي والإثبات تأكيدا لهم على أنهم بشر.

ومن ذلك –أيضا– قول الشاعر:

وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد

فالشاعر في البيت السابق قد أتى بجملة القصر؛ (ما أنا إلا من غزية) بطريق النفي والإثبات مع أن انتماءه لقبيلته لا ينكره أحد من المخاطبين ولكن استشعاره لأمر آخر منكر من قبل المخاطب وهو تبنيه لرأي القبيلة الخاطئ مع علمه بخطئه جعله يلجأ إلى طريق النفي والإثبات؛ ليؤكد للمخاطب هذا المعنى الذي هو الانتماء للقبيلة وأنه بموجب هذا الانتماء تبنى رأي القبيلة وهذا هو الاستلزام الخطابي من الخرق.

الخاصية الثانية من خصائص طريق النفي والإثبات هي أن المقصور عليه مع هذا الطريق دائما يأتي بعد إلا وينبني على ذلك معان ضمنية واستلزامات خطابية تنتج عن طرق التقديم والتأخير ولتوضيح ذلك نقول:

لو قلت: (ما بني الدار إلا زيد) تكون بذلك قد قصرت فعل البناء على زيد فحسب ونفيت عن البناء كل البنائين، واستلزم ذلك أن زيد اختص ببناء هذا الدار دون غيره وأنه كما بناه بنى غيره.

ولو قلت: (ما بني زيد إلا هذا الدار)؛ فإنك بذلك تكون قد قصرت بناء زيد على بناء هذا الدار، واستلزم ذلك اقتصار زيد على بناء هذا الدار دون غيرها وأن غيره قد شاركه البناء.

ومثله أن تقول: (ما شاعر إلا المتنبي) فقدمت الخبر على المبتدأ استلزم تقديمك مدحا للمتنبي بخلاف ما لو قلت: (ما المتنبي إلا شاعر) فقدمت المبتدأ على الخبر فإنه يستلزم الذم للمتنبي وليس المدح، ونشأ هذا الاستلزام من كونك في الأسلوب الأول: (ما شاعر إلا المتنبي) قصرت الشاعرية على المتنبي فحسب وهذا لا يمنع اتصاف المتنبي بصفات أخرى غير الشعر كأن يكون كاتبا أو لغويا أو غيرها من الصفات، بينما في الأسلوب الثاني قصرت المتنبي على قول الشعر أي أنه مختص بقول الشعر دون بقية الصفات الأخرى وهذا لا يمنع أن يشاركه غيره في صفة قول الشعر لذلك كان ذما له.

وفي قوله تعالى: " وَمَا مَحمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُل "(آل عمران : ١٤٤).

المقصور هو(محمد) المقصور عليه (رسول)؛ والمعنى الضمني هو محمد بشر وليس ملكا مخلدا وهناك رسل غير محمد، وهذا الاستلزام أتى من خلال جعل (رسول) مقصور عليه و(محمد) مقصور، ولو فُعِلَ العكس وقيل: وما رسول إلا محمد لاستلزم هذا التركيب معنى ضمنيا مفاده أن غير محمد ليس رسول ولا يلزم منه التنصيص على بشرية محمد وذلك غير مراد بل هو محضور.

طريق إنما

وهذه هي الأداة الثانية من أدوات القصر الاصطلاحي وإنما كانت (إنما) مفيدة للقصر لأنها متضمنة معنى النفي والإثبات فلو قلنا: إنما أكرمت محمدا كان معنى الجملة ما أكرمت إلا محمدا وتختص هذه الأداة كما ذكر البلاغيون بأنها لا تدخل إلا على الأمر المعروف الذي لا ينكره أحد هذا هو الأصل، وأن المقصور عليه دائما هو المتأخر ولتوضيح ذلك نورد ما يلي:

قول العرب: (إنما يعجل من يخشى الفوت).

في المثال السابق قصر العجلة على من يخشى الفوت، وهذا أمر معلوم للمخاطب ولا ينكره أحد لذلك كان القصر بـ(إنما) قصر صفة على موصوف، واستلزم ذلك تخاطبيا أن من لا يخشى الموت لا يتعجل وهو معنى ضمني نشأ من خلال جعل (من يخشى الموت) مقصور عليه وهذا لن يحدث لو أخر (يعجل) وجعل مقصورا عليه بل سيستلزم أن من لا يخشى الفوت أيضا يشاركه في العجلة.

قوله تعالى: "إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ" (فاطر : ٢٨).

في الآية السابقة المقصور عليه هو (العلماء) وقد أتى في الآية متأخرا لأن المقصود قصر الخشية على العلماء دون غيرهم واستلزم ذلك أن غير العلماء لا يخشون الله مبالغة وادعاء ولو أنه قدم العلماء وأخر لفظ الجلالة(الله) كما هي طبيعة الجملة فقال: إنما يخشى العلماء الله

لتغير المعنى الضمني الناتج من القصر وأصبح العلماء يخشون الله دون غيره من الناس غير أنه لا يمنع مع ذلك أن غير العلماء يشاركونهم في خشية الله، وهذا غير مراد لذلك قدّم المفعول(الله) وأخر الفاعل(العلماء) وجعله مقصورا عليه لأنه أراد المبالغة في خشية العلماء لله حتى كأن غيرهم لا يخشونه.

وقوله تعالى: " إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ بِهِ لِغَيْرِ اللَّهِ " (البقرة : ١٧٣).

في الآية السابقة المقصور (التحريم) المقصور عليه (الميتة والدم ولحم الخنزير وما اهل لغير الله به) وهذا يستلزم تخاطبيا أن غير الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله حلال غير محرم وهذا المعنى الضمني نشأ من خلال الإتيان بالأشياء المحرمة وجعلها مقصور عليه وهو ما لم يحدث لو قدمها وأخر حرم عليكم.

من ذلك قول الفرزدق:

أنا الذائد الحامي الذمار وإنما   يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي

المعنى الضمني هو: غيري لا يدافع عن أحسابهم وكما أدافع عن أحسابهم ادافع أيضا عن أحساب غيرهم وهذا المعنى نشأ من خلال فصل الضمير وجعله في موضع المقصور عليه لذلك كان أوفى بالغرض في مقام الفخر، ولو أنه قال: (أدافع عن أحسابهم أنا) لم يكن له المعنى السابق وانقلب البيت من المدح إلى الذم؛ لأن سيستلزم تخاطبيا أن هناك آخرون مشتركون مع الشاعر في الدفاع عن أحسابهم وأن الشاعر لا يدافع عن أحساب غيرهم وهذا الاستلزام نشأ من أنه سيجعل الضمير في موطن المقصور و(الأحساب) في موطن المقصور عليه؛ لأن الضمير (أنا) وإن كان متأخرا لفظا إلا أنه متقدم معنى لأنه توكيد للضمير المستتر في (أدافع) والتوكيد تابع للتأسيس؛ لذلك قال الشاعر (يدافع) ولم يقل(أدافع).

العطف بـ(لا، بل، لكن)

وهذه هي الأداة الثالثة من أدوات القصر وموضع المقصور عليه مع هذه الأدوات يختلف باختلاف الأداة؛ فإذا كان القصر بطريق (لا) كان المقصور عليه هو المقابل لما بعدها (المعطوف عليه)، أما إذ كان الطريق (بل أو لكن)؛ فإن المقصور عليه هو ما بعدهما.

من ذلك قول الشاعر:

يهتز عطفاه عند الحمد يسمعه   من هزة المجد لا من هزة الطرب.

المقصور عليه في البيت السابق هو(من هزة المجد) والمقصور هو (اهتزاز عطفاه)؛ قصر اهتزاز عطفاه على هزة المجد، ونفى أن تكون بسبب الطرب، وهذا يستلزم تخاطبيا أن الممدوح موله بالمجد ولا يأبه بالطرب، وهذا الاستلزام نشأ من خلال أن الشاعر قدم (هزة المجد) على (لا) وجعلها في موضع المقصور عليه، ولو أنه فعل العكس فقال: من هزة الطرب لا من هزة المجد لاستلزم معنى ضمنيا آخر وهو أنه موله بالطرب وليس بالمجد.

ومنه أيضا قول الشاعر:

ليس التعجب من مواهب ماله   بل من سلامتها إلى أوقاتها

المقصور في البيت هو (التعجب) المقصور عليه هو(من سلامتها على أوقاتها) لأن أداة القصر هي (بل) وبذلك فقد قصر التعجب على سلامة الأموال ونفاه عن الهبات له.

ومثله قول الشاعر:

وما شاب رأسي من سنين تتابعت   علي ولكن شيبتني الوقائع

في البيت الأول قصر الشيب على الوقائع دون تعاقب الأيام قصر صفة (الشيب) على موصوف هو(الوقائع) قصرا إضافيا واستلزم ذلك تخاطبيا أن الوقائع هي سبب الشيب وليس تتابع السنين.

تقديم ما حقه التأخير

والحديث عن هذا النوع من القصر مبسوط في فصل التقديم والتأخير ومن الأمثلة عليه قوله تعالى- في وصف خمر الآخرة- :" لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون"(الصافات 47).

تقديم الجار والمجرور في الآية السابقة أفاد القصر، واستلزم ذلك أن خمر الدنيا فيها غول (مسكرة).

قال تعالى" وعنده مفاتح الغيب "(الأنعام: ٥٠).

تقديم (عنده) على(مفاتيح الغيب) أفاد القصر بمعونة القرائن، واستلزم ذلك تخاطبيا أن غير الله لا يملك مفاتيح الغيب.

من خلال ما تقدم نستطيع القول: إن الاستلزامات التخاطبية لجملة القصر تأتي على نوعين:

استلزامات تخاطبية معممة وهي تلك الناتجة عن استخدام الأسلوب في التعبير؛ فجملة القصر تفيد معنيين معنى صريح مثبت يفهم من خلال الشكل الظاهر للجملة، ومعنى ضمني منفي مستلزم من خلال استخدام القصر أسلوبا في التعبير وهذا مع كل جملة من جمل القصر.

استلزامات تخاطبية مخصصة تعتمد على المقام والمقصدية في تحديدها وهي تلك الاستلزامات التي تحدد نوع القصر إن كان حقيقيا، أم ادعائيا، أم اضافيا بأنواعه الثلاثة (القلب- التعيين- الإفراد).

المبحث الرابع

الاستلزامات التخاطبية للفصل والوصل

عرف السكاكي مصطلح الفصل والوصل فقال: "ومدار الفصل والوصل هو ترك العطف وذكره على الجهات الثلاث السابقة[١٢٦]"، وعرفه الخطيب القزويني؛ فقال:" الوصل عطف بعض الجمل على بعض، والفصل ترك هذا العطف[١٢٧]"، وهناك تعريفات عديدة للظاهرة لكنها لا تخرج في مضمونها عن التعريفين السابقين، ولأن تلك التعاريف لا تميز الفصل والوصل في البلاغة عن العطف من عدمه في النحو؛ فقد رأت الدراسة أن تعتمد تعريفا تداوليا آخر قدمه الباحث في دراسة سابقة له من خلاله يتم تمييز الظاهرة عن العطف وعدمه في النحو والذي ينص على أن " الوصل: عطف لفظ على آخر بالواو ونحوها لغرض تداولي؛ يفهم من خلال الاستلزام غير الوضعي، والفصل ترك العطف للغرض ذاته"[١٢٨].

إن ما يميز هذا التعريف عن غيره هو أنه حصر الظاهرة في الإشكال الذي تحدث عنه عبد القاهر في دلائل الإعجاز والمتمثل في أن الغرض من الفصل والوصل في البلاغة يفهم من خلال من خلال السياق وقرائنه، وليس من خلال المؤشرات اللغوية في البنية السطحية كما هو الشأن في العطف وعدمه في النحو، كما أن التعريف وسع مجال الظاهرة لتشمل المفرد والجملة والعطف بالواو وغيرها بشرط أن يكون الغرض من الفصل والوصل مستلزم خطابي غير وضعي[١٢٩].

---

(١٢٦) السكاكي، مفتاح العلوم، تح /نعيم زرزور: /٢٤٩.

(١٢٧) الخطيب القزويني، كتاب الايضاح في علوم البلاغة، تح/إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م: /١١٨

(١٢٨) خالد محمد علي، الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه: /٩٢- ٩٤

(١٢٩) ينظر: السابق: /٩٤، ٩٥.

وكان الباحث من خلال حديثه، واستدلالاته عن الإشكال في الظاهرة وعن المقاصد التداولية لقوانين الفصل والوصل عند عبد القاهر، وعن علاقتها بتفصيلات البلاغيين بعده(١٣٠) كان قد توصل إلى أن الظاهرة تخضع لمبدأين اثنين(١٣١).

المبدأ الأول: أن ظاهرة الفصل والوصل ظاهرة تداولية تكمن في الإشكال؛ بصفتها عدولا عن أصل لعدم توفر شروط العطف(١٣٢)؛ كالفصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، أو بصفتها خرقا لما هو الأصل؛ كالوصل مع عدم توفر شروط العطف، أو الفصل مع توفر شروط العطف، كما أنها ظاهرة تعتمد في التبرير لها على قرائن المقام ومقصدية الخطاب سواء على مستوى الجملة أو المفرد، وليس على المؤشرات اللغوية في البنية السطحية.

المبدأ الثاني : تحتكم الظاهرة في فصلها ووصلها –بصفتها عدولا– إلى ثلاث علاقات رئيسة كان عبد القاهر قد استمدها من شروط العطف وبالقياس على المفرد وهذه العلاقات هي: الاتصال للغاية، والانفصال للغاية، والتوسط بين الكمالين، أما التفصيلات التي قدمها البلاغيون بعد عبد القاهر كشبه كمال الاتصال، أو شبه كمال الانقطاع فما هي إلا استلزامات خطابية لكمال الاتصال وكمال الانقطاع، وقد أثبت الباحث ذلك من خلال العديد من الأدلة إن على مستوى التنظير أو على مستوى التطبيق(١٣٣).

وعلى ذلك يمكن دراسة الاستلزامات الخطابية لظاهرة الفصل والوصل بصفتها عدولا عن أصل لعدم توفر الشروط؛ كالفصل بين الجمل التي لا محل لها من الإعراب، أو خرقا لما هو

---

(١٣٠) ينظر: المرجع السابق: المبحث الثاني من الفصل الأول، والمبحث الأول من الفصل الثاني.

(١٣١) ينظر: السابق: /١٥٤

(١٣٢) يشترط في العطف أمران: الأول المغايرة بين المعطوفين؛ أي أن تكون كل جملة منهما مستقلة عن الأخرى من حيث المعنى، والثاني وجود المناسبة المصححة للعطف؛ أي أن يكون المعنى في الجملة الثانية لفقا للمعنى في الأخرى، كذلك ينبغي أن يكون الخبر في الثانية مما يجرى مجرى الشبيه أو المثيل، أو النقيض للخبر في الأولى. (ينظر: عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، رشيد رضا: ١٧٣)

(١٣٣) خالد مُحَمَّد علي، الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة تداولية، الفصل الثاني، والثالث

الأصل؛ كالوصل مع عدم توفر شروط العطف، والفصل مع توفر شروط العطف سواء أكان ذلك على مستوى الجملة أو المفرد، وذلك على النحو التالي:

الاستلزامات التخاطبية المبررة للفصل بين الجمل

الأصل في الجمل إذا تواردت في إثر بعض أن تعطف بأحد أحرف العطف عند خلوها من الضمير؛ لأنه لابد لها من رابط يربطها حتى تبدو مستقلة ومحبوكة[١٣٤]، هذا هو الأصل في ربط الجمل بعضها ببعض، غير أن المتكلم قد يعدل عن الوصل الذي هو الأصل إلى الفصل؛ لاستلزامات تخاطبية يريدها المتكلم من خلال الفصل بصفته عدولا عن الأصل ومن خلال الظروف المحيطة بالنص والتي من ضمنها السياق وقرائنه ومقصدية الخطاب وغير ذلك ومن تلك الاستلزامات ما يلي:

أن تكون الجملة الثانية توضيح وتفصيل للجملة الأولى

ومن شواهدها قوله تعالى: " فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى " (طه: ١٢٠)

عدل النص القرآن عن وصل جملة (قال يا آدم) بجملة: (فوسوس إليه الشيطان) عدولا عما هو الأصل وهو مؤشر استدلالي على أن بين الجملتين إما اتصال تام أو انفصال تام وبالعودة إلى السياق وقرائن الخطاب سنجد أن الجملة الثانية شرح وتفصيل للوسوسة مما يشير إلى أن بين الجملتين اتحاد تام؛ لأن الوسوسة هي قول الشيطان من أجل ذلك تم الفصل بين الجمل وهذا هو الاستلزام الخطابي للفصل؛ يدلك على ذلك أنه لو أتي بالواو ربطا بين الجملتين؛ فقال: (فوسوس إليه الشيطان وقال يا آدم)، لأشعر أن الوسوسة غير القول.

---

(١٣٤) ينظر: يحيى بن حمزة، كتاب الطراز:٤٦/٢, ٤٥

أن تكون الجملة الأولى مشتملة على الجملة الثانية

كقوله تعالى: "اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون "(يس: ٢٠، ٢١).

عدل النص القرآني عن وصل جملة (اتبعوا من لا يسألكم أجرا) بسابقتها بالرابط اللفظي الواو خلافا لما هو الأصل، وهو مؤشر استدلالي على أن بين الجملتين إما اتصال تام أو انقطاع تام وبالعودة إلى السياق وقرائنه سنجد أن من لا يسأل الناس أجرا على هدايتهم هم المرسلون ومن ثم فإن الجملة الثانية صفة من صفات المرسلون والجملة الأولى مشتملة على معنى الجملة الثانية؛ وبينهما اتحاد تام؛ لأن المرسلون هم من لا يسأل الناس أجرا على هدايتهم والمرسلون مهتدون أيضا؛ يدلك على ذلك مقصدية الخطاب فالمقصود حث الناس على اتباع الرسل بعد أن كذبوهم، كما أننا لو قلنا في غير القرآن اتبعوا المرسلين واتبعوا من لا يسألكم أجر لظن المخاطب أن من لا يسأل الناس أجرا على هدايتهم هم غير المرسلين وأن المطلوب اتباعهم واتباع المرسلين من أجل ذلك ترك الوصل.

أن تكون الجملة الثانية جزءا من الجملة الأولى

ومنه قوله تعالى: "واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين وجنات وعيون" (الشعراء: ١٣٢– ١٣٤).

فصل النص القرآني جملة: (أمدكم بأنعام وبنين) عن سابقتها على خلاف ما هو الأصل وهو مؤشر استدلالي على وجود معنى ضمني أراده المتكلم من خلال الفصل وبالعودة إلى سياق الخطاب ومقصدية المتكلم سنجد أن الأنعام والبنين والجنات والعيون جزء مما نعلمه ومن ثم فبين الجملتين اتحاد تام؛ لأن الجملة الثانية (أمدكم بأنعام ..) جزء من جملة(أمدكم بما تعلمون) من أجل ذلك تم الفصل لفقدان الجملة الثانية شرط التغاير.

أن يكون مضمون الجملة الثانية تأكيد لمضمون الأولى

ومنه قوله تعالى: "كأن لم يسمعها كأن في أذنييه وقرا" (لقمان: ٧).

فصلت جملة: (كأن في أذنييه وقرا) عن سابقتها خلافا لما هو الأصل وفي ذلك مؤشر استدلالي على وجود معنى ضمني أريد من خلال الفصل وبالعودة إلى السياق ومقصدية الخطاب سنجد أن الجملة الثانية هي بمثابة التأكيد لمضمون الجملة الأولى؛ فبين الجملتين اتحاد تام برر الفصل، لفقدان الجملة الثانية شرط التغاير فالجملة الثانية هي الجملة الأولى.

أن تكون الجملة الثانية تعليلا للأولى

ومن ذلك قوله تعالى: "وما أبرئ نفسي إن النفس لأمارة بالسوء" (يوسف: ٥٣).

في الآية السابقة فصلت جملة: (إن النفس لأمارة بالسوء) عن سابقتها على خلاف الأصل والسبب في ذلك هو أن النص القرآني أراد إعلام المخاطب أن الجملة الثانية تعليلا أو تفسير للجملة الثانية فبينهما اتحاد تام وهذا هو الاستلزام الخطابي من الفصل.

الاستقلال وعدم التناظر في الفعل الخطابي

ومن شواهده قول الشاعر:

وتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا   بَدَلاً أُرَاهَا في الضَّلاَلِ تُهِيمُ

فصلت جملة: (أراها في الظلام تهيم) عن سابقتها عدولا عما هو الأصل وكان ذلك مؤشرا استدلاليا على أن الشاعر أراد معنى ضمنيا من خلال الفصل وبالعودة إلى السياق وقرائنه ومقصدية الخطاب سنجد أن الشاعر أراد التعجب والإنكار من سلمى كونها على هذا النحو من الظن، وليس الإخبار بحالتها ومن ثم فبين الجملتين انقطاع تام حتم الفصل؛ لأن كل منهما مستقلة عن الأخرى من حيث المعنى وكل منهما يحمل فعل خطابي مختلف عن الأخرى؛ فجملة

(تظن سلمى أنني ابغي بها بدلا) فعلها الخطابي فعل وصفي تقريري يحتمل الصدق أو الكذب، والفعل الخطابي في (أراها في الظلام تهيم) فعل إنجازي؛ وقد فصل الشاعر لهذا السبب، يدلك على ذلك أنه لو أتى بالعطف لتحول الفعل الخطابي في الثانية إلى فعل وصفي يصف حالتها ولا يتعجب من ظنونها، ولأن ذلك غير مراد فصل، وليس كما قيل أنه لو وصل لكانت الجملة الثانية من مظنونات سلمى[١٣٥].

عدم التناظر في عالم الخطاب، ومحوره

ومنه قوله تعالى: "أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون" (البقرة: ٥، ٦).

فصلت جملة: (إن الذين كفروا) عن سابقتها لأن الحديث في الأولى عن الكتاب ومنزلته وكونه هاديا للمتقين أما في الثانية؛ فالحديث عن الكافرين وتعنتهم، فبين الجملتين انقطاع تام لاختلافهما في عالم الخطاب ومحوره ؛ لذلك فصل بين الجملتين.

ومنه قوله تعالى: "وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب" (الصافات: ٧، ٨).

فصلت جملة: (لا يسمعون) عن جملة: (وحفظا من كل شيطان مارد)؛ لأن محور الخطاب في الأولى هو الحديث عن السماء وزينتها أما محور الخطاب في الثانية فهم الشياطين وما يفعل بهم؛ لذلك فصل بين الجملتين للانقطاع التام يدلك على ذلك سياق النص والغرض منه فليس المقصود حفظ السماء من الشياطين الذين لا يسمعون لانعدام الفائدة من الحفظ وفساد المعنى.

---

(١٣٥) ذهب البلاغيون أن الفصل في هذا البيت وما شابهه هو لشبه كمال الانقطاع وقد جانبهم الصواب في ذلك لمزيد من التفصيل حول هذا .(ينظر: خالد مُحَمَّد علي، الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة تداولية: /١٩٣- ١٩٨.)

عدم التماثل في القيد[١٣٦].

ومنه قولك لمن تخاطب: (إن أتي زيد أكرمته هو جدير بذلك).

فصلت جملة: (هو جدير بذلك) عن سابقتها فاستلزم ذلك تخاطبيا: أن زيد جدير بالكرم على كل حال؛ أي سواء أتى أم لم يأت؛ وهذا الاستلزام لم تقله العبارة صراحة وإنما هو معنى ضمني نشأ من خلال الفصل بين الجمل بدليل أن هذا المعنى لن يكون لو أنه وصل بين الجملتين بالواو، بل لاحتمل التخصيص؛ لأن الجملة الأولى مقيدة بالشرط، فلو أتيت بالواو عاطفة بينهما لأحتمل التعبير أن زيد جدير بالكرم في حال إتيانه فقط لعدم وجود قرائن أخرى غير الفصل تشعر بالمقصود ولأن ذلك خلاف المراد وجب الفصل إشعارا بانقطاع الجملة الثانية عن الأولى، وهذا هو الاستلزام الخطابي للفصل للانقطاع التام.

أما أذا قلت: (إن أسلم الناس دخلوا الجنة هم عباد الله)؛ فإن فصل جملة: (هم عباد الله) عن سابقتها جائز لا واجب لوجود قرينة معنوية أخرى غير الفصل تشير إلى الاختلاف بين الجملتين في القيد، والإطلاق وهي أن الناس جميعا عباد الله سواء أسلموا أم لم يسلموا بدليل أنك لو قلت: (إن أسلم الناس دخلوا الجنة وهم عباد الله)، لكانت الجملة الثانية معطوفة على جملة (إن أسلم الناس دخلوا الجنة) عطف مضمون جملة على مضمون جملة، من أجل هذا سماه السكاكي قطعا للاحتياط[١٣٧] .

---

(١٣٦) وهو ما سمي عند البلاغيين بالتوسط بين الكمالين مع وجود المانع من العطف

(١٣٧) ينظر: السكاكي، مفتاح العلوم: /٢٥٢

الاختلاف بين الجملتين في قائل الخطاب

ومن شواهده قوله تعالى: " وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (الأنعام: ١٢٤).

فصلت جملة: (الله أعلم حيث يجعل رسالته) عن جملة: (لن نؤمن حتى نؤتى مثل ما أوتي رسل الله) للاختلاف بينهما في القائل؛ فالقائل في الجملة الأولى كفار قريش، والقائل في الجملة الثانية هو الله سبحانه وتعالى ردا على كلامهم.

أن تكون الجملة الثانية بمثابة النقلة في الخطاب

ومن شواهده قوله تعالى: "قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء" (يوسف: ٥١).

فصلت جملة: (قلن حاش لله) عن سابقتها؛ لأنها تمثل نقلة في الخطاب لزوج من المحادثة حذف منها طرفها الثاني ويمكن إيضاح ذلك على النحو التالي:

ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه طرف أول

بم أجابت النسوة طرف ثاني غائب

قلن حاشا لله طرف أول

ويبقى أن نقول إن تعليل الفصل بين الجملتين سواء أكان للانقطاع التام أو للاتصال التام يحتكم في ذلك كله إلى السياق وقرائنه بالإضافة إلى مقصدية المتكلم.

فمثلا قوله تعالى: يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ" (فاطر: ٣).

فَصْل جملة: (يرزقكم) عن سابقتها يحتمل عدة توجيهات وهي: أن تكون الجملة مدمجة في الحمل؛ لأنها صفة ثانية لخالق، أو لأنها خبر عنه، أو على أنها مستقلة عن سابقتها تمام الاستقلال والفصل للانقطاع التام هذا كله قبل النظر في السياق، و بالعودة إلى السياق، وقرائنه، والغرض من النص سنجد أن الاحتمالات السابقة مستبعدة ما عدا أن يكون الفصل للانقطاع التام لماذا؟

لأن الغرض من الآية هو أمر الناس كافة بتذكر نعمة الله التي لا يشاركه فيها أحدا من مخلوقاته، وبإعطائها حقها من العبادة، وهذه النعمة هي: نعمة الخلق ونعمة الرزق على اعتبار أنهما نعمتان تستوعبان كل النعم، ومحصورتان عليه جلَّ جلاله(١٣٨)، وهذا المعنى لا يكون إلا إذا كان الفصل للانقطاع التام؛ لأن المعنى على هذا التأويل سيكون لا خالق للأشياء والموجودات غير الله موجود، والله هومن يرزقكم من السماء، ولا رازق لكم غيره.

أما إذا قلنا: أن (يرزقكم) صفة ثانية لخالق؛ فسيكون المعنى نفي وجود خالق غير الله موصوف بأنه رازق من السماء؛ لأن الوصف تخصيص للموصوف، وهذا يستلزم أن هناك خالق غير الله غير أنه لا يرزق من السماء، والأمر كذلك إن جعلنا (يرزقكم) خبرا عن(خالق)، ولأن هذا غير مراد تحتم أن يكون الفصل للانقطاع التام.

وكذلك الفصل في قوله تعالى: "قَالَ مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلاَ يُفْلِحُ السَّاحِرُونَ" (يونس: ٧٧).

لو أردنا أن نبحث عن سبب فصلها سنجد لذلك عدة احتمالات هي: أن تكون الجملة محكية بقول من خاطبهم موسى والفصل للإدماج، أو أن تكون محكية بقول موسى، والفصل

(١٣٨) ينظر: أبو السعود، التفسير: ١٤٢/٧مج٤، وأبو حفص ، اللباب في علوم الكتاب:١٠١/١٦، ١٠٢

للاتحاد التام بين الجملتين، أو تكون الجملة من خطاب الله لهم، والفصل للانقطاع التام لاختلاف الجملتين في الخبر والإنشاء، وهذه الاحتمالات كلها قبل النظر في السياق.

لكن عند النظر في السياق وقرائنه سنجد أن قرينة المعنى وقرائن أخرى سياقية تستبعد أن تكون الجملة من خطاب الله ردا عليهم؛ فالنص عبارة عن مقاولة، أو محادثة مسرودة جرت بين طرفين؛ موسى والمعارضين له من قومه بدليل السياق، كما تستبعد أن تكون الجملة محكية بقول من خاطبهم موسى بقوله: (أتقولون؟!)؛ لأن جملة: (أسحر هذا؟) مسبوقة باستفهام إنكاري؛ فإذا قلنا إن الجملة محكية بقول من خاطبهم موسى؛ فسيكون المعنى أنهم ينكرون أن يكون الحق سحرا وأن موسى ينكر عليهم إنكارهم هذا، وهذا ظاهر الفساد؛ لأنه خلاف مقصود الآية؛ فمقصودها الإخبار بإنكار موسى عليهم قولهم: إن ما جاء به من الحق سحر، وعلى هذا فجملة (أسحر هذا؟!) محكية بقول موسى والفصل للاتحاد التام؛ لأن الجملة تأكيد لإنكاره السابق[١٣٩]، والتقدير أتقولون للحق لما جاءكم: سحر؟! أسحر هذا؟![١٤٠].

الاستلزامات التخطابية لخرق مبدأ الأصل

ذكرنا سابقا أن الأصل في الجمل إذا توالت في إثر بعض أن تعطف بحرف العطف إذا توفرت شروط العطف التي هي التغاير والتناسب بين الجملتين غير أن المتكلم قد يلجأ لخرق هذا الأصل، وذلك بطريقين إما عن طريق الوصل مع عدم توفر شروط العطف، أو عن طريق الفصل مع توفر شروط العطف سواء أكان ذلك على مستوى الجملة أو المفرد، وذلك لاستلزامات تخاطبية تنشأ من خلال هذا الخرق ويستدل عليها من خلال السياق، ومن الخروقات الخطابية لمبدأ الأصل:

---

(١٣٩) ينظر: أبو السعود، التفسير: ١٧/٦ مج٣، أبو حفص الدمشقي، اللباب في علوم الكتاب: ٣٨٣/١٠

(١٤٠) ينظر: ابن هشام، مغني اللبيب: ٧١/٢

الفصل بين الألفاظ مع توفر شروط العطف

يلجأ المتكلم إلى الفصل بين الجمل أو المفردات مع توفر شروط العطف خرقا لما هو الأصل؛ لاستلزامات خطابية أرادها المتكلم من خلال الخرق من ذلك على سبيل التمثيل لا الحصر:

أن يقال: (علي مهذب كريم إن قصد)؛ فاللفظان(مهذب، و كريم) يشتركان في أنهما خبر عن(على)، والأصل أن يؤتى بحرف العطف بينهما، غير أن المتكلم خرق هذا الأصل وكان ذلك مقدمة للاستدلا من قبل المخاطب على أن هناك استلزاما تخاطبيا أراده المتكلم؛ يخضع في تفسيره إلى قوانين الفصل والوصل، ومقصدية المتكلم؛ وهذا الاستلزام هو الإشارة إلى الاختلاف بين اللفظين في القيد؛ أي الإخبار بأن عليا مهذب على كل حال؛ سواء قصد أم لم يقصد، وأنه كريم بشرط أن يقصد وهذا هو الاستلزام التخاطبي الناتج من خلال الخرق.

وشبيه بذلك إن يقال: (هشام غضبان ناقص الحظ)؛ إذ الأصل أن يقال: (هشام غضبان وناقص الحظ) على اعتبار أن اللفظان يشتركان في الخبرية عن هشام؛ غير أن المتكلم خرق هذا الأصل إلى الفصل؛ لأنه أراد إرشاد المخاطب إلى المعنى الضمني عن طرق الفصل والمتمثل بالتعليل بـ(ناقص الحظ)عن غضب هشام ليصير المعنى الضمني: هشام غضبان؛ لأنه ناقص الحظ، وهذا المعنى لن يكون مع العطف؛ إذ لو عطف لكان خبرا ثانيا عن هشام.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: " قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ" (الإسراء: ٦١، ٦٢).

في الآية السابقة القولان: (أسجد لمن خلقت طينا) (أريتك هذا الذي كرمت على) هما لإبليس، وكان الأصل بحسب ظاهر الخطاب أن يعطفا على بعض بالواو لكن القرآن الكريم

خرق هذا الأصل، فأتى بـ(قال) بين القولين مفصولة؛ إشعارا بأن هناك مقاولة محذوفة من النص وقد ذكرت في سياق آخر مشابه، وهي قوله تعالى: " قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ" (الأعراف: ١٣) وأن على المتلقي أن يستحضرها؛ ذكر أبو السعود أن قوله تعالى:(قال أريتك) من قول إبليس لكن ليس عقب كلامه المحكي، بل بعد الإنظار المترتب على استنظاره المتفرع على الأمر بخروجه من بين الملأ الأعلى باللعن وإنما لم يصرح به هنا اكتفاء بذكره في موطن آخر مشابه بدليل توسيط قال بين قولي اللعين[١٤١].

ومنه أيضا قوله تعالى: " قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ" (الأنبياء: ٥٩، ٦٠).

في النص السابق فصلت جملة: (قالوا سمعنا) عن سابقتها مع أنها من حيث الظاهر مستوفية لشروط الوصل المتمثلة في التغاير والمناسبة؛ فكان الأصل أن تعطف على سابقتها ولكن النص خرق هذا الأصل ليشعر المتلقي أن القائل في الجملة الأولى غير القائل في الجملة الثانية وأن النص عبارة عن محادثة وليس حديث، فقائل الجملة الأولى هم الخاصة وقائل الثانية هم عامة الناس وهذا هو الاستلزام الخطابي من الفصل.

الوصل دون توفر شروط العطف

يلجأ المتكلم إلى الوصل بين الألفاظ دون توفر شروط الوصل خرقا لما هو الأصل لاستلزامات خطابية أراد كشفها للمخاطب من خلال الخرق ومن خلال الظروف والملابسات المحيطة بالنص، ومن ذلك:

قوله تعالى: " وَامْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ" (المائدة: ٦).

---

(١٤١) ينظر: أبو السعود، تفسير أبي السعود: ١٨٣/٩ مج٣

النص القرآني عطف لفظ (أرجلكم) على لفظ (رؤوسكم) بدليل أن الآية قرئت في إحدى القراءات بكسر اللام من أرجِلكم والعطف يقتضي الإشراك في المعنى وهذا يقتضي مسح الأرجل حال الوضوء وليس غسلها ولكن الأصل أن الأرجل حال الوضوء تغسل ولا تمسح وهي قرينة ثقافية مانعة من أن يكون العطف على حقيقته وهو الإشراك في المعنى بالإضافة إلى القرينة اللفظية؛ التي هي قراءة النصب وهي القراءة المشهورة، ومن ثم فلابد أن يكون هناك استلزام خطابي أو معنى ضمني للعطف وذلك هو إشراب معنى الغسل معنى المسح ليكون المعنى الضمني المقصود من خلال العطف هو: طلب الاقتصاد بالماء حال الوضوء بالإضافة إلى الترتيب في غسل الأعضاء حال الوضوء ليكون غسل الأرجل آخر عضو وهذا هو الاستلزام التخاطبي من العطف هنا.

ومنه قوله تعالى: " لا تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللَّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً" (البقرة: ٨٣).

الجملتين مختلفتين في الخبر والإنشاء؛ لأن (لا تعبدون) جملة وصفية خبرية بدليل ثبوت النون وعدم حذفها، وجملة (بالوالدين إحسانا) إنشائية طلبية بمعنى أحسنوا، والأصل بحسب الظاهر الفصل لاختلاف الجملتين في الفعل الخطابي؛ لكن النص القرآني خرق هذا الأصل عن طريق الوصل لغرض تداولي وهو: تضمين صيغة: (لا تعبدون) الخبرية معنى الإنشاء أي لا تعبدوا حثا لهم على فعل العبادة.

ومنه قوله تعالى: " فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ" (النمل: ٨، ٩)

النص القرآني عطف جملة: (الق عصاك) وهي إنشاء على جملة: (بورك من في النار) وهي خبرية هذا بحسب الظاهر والأصل بحسب قانون الفصل والوصل أن تفصل ولكن النص القرآني خرق هذا الأصل لغرض تداولي وهو تضمين الإنشاء معنى الخبر؛ ذكر السكاكي أن

الكلام مشتمل على تضمين الطلب معنى الخبر، وذلك أن قوله تعالى:(الق عصاك) معطوف على قوله: (بورك من في النار)، والمعنى فلما جاءها قيل: بورك من في النار وقيل: ألق عصاك بدليل أنَّ (أنْ) هذه لا تأتي إلا بعد فعل في معنى القول(١٤٢).

ومن ذلك قوله تعالى: " إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً " (الحديد:١٨).

في الآية السابقة تتحول صيغة:(المصدقين) وهي اسم إلى(تصدقوا) عند التأويل؛ إذ إن عطف (أقرضوا) وهي جملة على (المصدقين) وهو اسم مفرد قد أكسبه معنى الفعل، أي الذين تصدقوا، فالعطف قد أحدث تأثيرا أحادي الجانب بالمعطوف عليه؛ لأن من شروط العطف وجود التناسب بين المتعاطفين؛ قال الزمخشري:" فإن قلت: علام عطف قوله: (وَأَقْرِضُواْ)؟ قلت: على معنى الفعل في المصدّقين؛ لأنّ اللام بمعنى الذين، واسم الفاعل بمعنى أصَّدقوا، كأنه قيل: إنّ الذين أصدقوا وأقرضوا"(١٤٣).

ومنه قوله تعالى: "واتقوا الله ويعلمكم الله" (البقرة: ٢٨٢).

في الآية السابقة عطفت جملة: (ويعلمكم الله)، وهي خبرية على جملة:(واتقوا الله) وهي إنشائية خرقا لمبدأ الأصل ويبدو أن الغرض من هذا العطف هو الدلالة على أن التقوى سبب للعلم، كما أن العلم سبيل للتقوى، ذكر الطيب بن عاشور أن في عطف (ويعلمكم الله) على الأمر بالتقوى إيماء إلى أن التقوى سبب إفاضة العلوم حتى قيل: إن الواو فيه للتعليل؛ أي ليعلمكم، وجعله بعضهم من معاني الواو وليس بصحيح(١٤٤).

العطف في قوله تعالى: " أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه" (العنكبوت: ١٩)

---

(١٤٢) ينظر: المرجع السابق

(١٤٣) الزمخشري، الكشاف، تح/ عبد الرزاق المهدي: ٤٧٦/٤

(١٤٤) ينظر: ابن عاشور، التحرير والتنوير: ٣/ ١١٨

في الآية السابقة عطف النص القرآني جملة (يعيده) بـ(ثم) دون أن تتوفر شروط العطف لأن العطف يقتضي الإشراك في المعنى وإعادة الخلق لم تحدث بعد حتى يقروا برؤيتها، فالاستفهام تقريري، والغرض من ذلك على ما يبدو إشعار المخاطب أن العطف من باب عطف مضمون جملة على مضمون جملة وإنما استخدم (ثم) بدلا عن الواو ليشعر بأن الإعادة بعد الخلق بمدة بعيدة وهذا هو الاستلزام الخطابي من العطف هنا.

ومن ذلك أيضا قوله تعالى: " وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ " (القصص: ٤٤، ٤٥).

ذكر عبد القاهر أنك لو جريت على الظاهر، وجعلت كل جملة معطوفة على التي تليها منع منه المعنى، وذلك أنه يلزم منه أن يكون قوله: (وما كنت ثاويا) معطوف على قوله (تطاول عليهم العمر)، وذلك يقتضي دخوله في معنى (لكن)، ويصير كأنه قيل: ولكنك ما كنت ثاويا وذلك مالا يخفى فساده، من ثم ينبغي أن يكون مجموع قوله: (وما كنت ثاويا في أهل مدين) إلى قوله: (مرسلين) معطوفا على مجموع قوله: (وما كنت بجانب الغربي) إلى قوله (العمر)[١٤٥] والعطف يكون من باب عطف قصة على قصة وليس من باب عطف جملة على جملة.

فضلا عن ذلك فهناك استلزامات تخاطبية أخرى تنشأ من خلال استخدام الواو رابطا لفظيا وهذه الاستلزامات تتغير بتغير السياق وبتغير التأويل ووجهته.

من ذلك على سبيل المثال أن يقول الرجل لامرأته: (إن دخلتِ الدار وكلمتِ فلانا؛ فأنت طالق)؛ ففي هذا القول إن وقع الفعلان من المرأة؛ الدخول، والكلام احتمل القول عدة تأويلات وهي:

---

(١٤٥) ينظر: عبد القاهر، دلائل الاعجاز، تح /محمد رشيد رضا: / ١٩١

وقوع الطلاق، وهذا بالنظر للدلالة الأصلية للواو التي هي مطلق الجمع دون النظر للترتيب.

الثاني: لا يقع الطلاق إلا إذا كان الدخول أولا، أو نوى المتكلم الترتيب وهذا على رأي من يقول: إن الواو للترتيب.

الثالث: لا يقع الطلاق إلا إذا وقع الدخول، والكلام في زمن واحد وهذا على رأي من قال: إن الواو للمعية، وتعدد التأويلات السابقة نشأ نتيجة لتعدد وجهة المؤول وثقافته، ومقصدية المتكلم[١٤٦].

بالمثل لو قال الرجل: (أعتقتُ زيدا وعليا بعد موتي)؛ فهذه العبارة تحتمل التأويلات التالية:

إما أن يكون زيدا وعليا يمثلان ثلث تركة المتوفى وحينئذ يعتق الاثنان على اعتبار أن الوصية لا تزيد عن الثلث، وإما أن يكون عتقهم أكثر من ثلث التركة حينئذ يقرع بينهما، وهذا على رأي من قال: إن الواو لمطلق الجمع.

أن يعتق زيد دون على، وهذا على رأي من قال بالترتيب للواو وذلك حين يمثلان أكثر من ثلث التركة.

يلاحظ في ما مضى أن الاحتمالات السابقة بالنظر إلى دلالة الرابط وبالنظر لوجهة التأويل ومقصدية المتكلم فقط، أما من حيث الغرض من الربط بالواو؛ فقد تكون الواو للعطف، وقد تكون للحال، وأثر ذلك يظهر عند تأويل المعنى.

---

(١٤٦) ينظر: عبد الرحيم الأسنوي، تمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تح/ مُحَّد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٠هـ: ٢١٠/

فمثلا عندما يقول الرجل لزوجته: (أنت طالق وأنت ذميمة الخلق)؛ فالعبارة السابقة تستلزم استلزاما محتملا أمرين وذلك بالنظر إلى مقصدية المتكلم من خطابه والذي على ضوئه يتم التأويل؛ فإن قصد بالجملة الأولى التطليق وبالثانية الإخبار كانت الواو للعطف أي عطف مضمون جملة على مضمون جملة، وتم الطلاق في الحال.

أما إذا لم يقصد العطف من خلال الواو وإنما أراد أن تكون للحال؛ فلا يقع الطلاق إلا إذا كانت المرأة ذميمة الخلق؛ لأن الحال قيد في الجملة[١٤٧].

ومنه قوله تعالى: "يا نساء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النساء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى في قَلْبِهِ مَرَضٌ" (الأحزاب: ٣٢).

الفاء في قوله تعالى: (فلا تخضعن) إما أن تكون واقعة في جواب الشرط لربطه بفعل الشرط، وإما أن تكون استئنافية لربط مضمون جملة على مضمون جملة والذي يحدد المعنى الضمني للفاء هو مقصدية الخطاب المفهومة من خلال قرائن النص؛ فإذا كانت الفاء واقعة في جواب الشرط فإن المعنى في الجملة الأولى يتم عند قوله (من النساء) ويكون المعنى هو التفضيل لنساء النبي على غيرهن من النساء تفضيل مطلق غير مقيد.

وإذا كانت الفاء للاستئناف فإن معنى الجملة الأولى يتم عند قوله (إن اتقيتن) وجواب الشرط محذوف يدل عليه المذكور قبله، وفي هذه الحالة يكون تفضيل نساء النبي على غيرهن من النساء تفضيل مقيد ومشروط بالتقوى؛ لأن المعنى يكون يا نساء النبي إن اتقيتن لستن كأحد من النساء والذي يرجح أحد هذين الاحتمالين في التأويل هو السياق، وإذا نظرنا إلى السياق سنجده يرجح الخيار الثاني أي أن تكون الواو للاستئناف؛ لأن التفضيل مشروط بالتقوى يدلك

---

(١٤٧) ينظر: صلاح الدين العلائي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تح/د. حسن موسى الشاعر، دار البشير – عمان؛ ط١ ، ١٩٩٠م /١٨٤، ١٨٥

على ذلك السياق الديني ينص على ألاّ فضل لأحد على أحد إلا بالتقوى؛ قال الرسول ﷺ:" يا أيها الناس أن ربكم واحد و إن أباكم واحد ألا لا فضل لعربي على عجمي، ولا لعجمي على عربي، ولا لأحمر على أسود، ولا أسود على أحمر إلا بالتقوى إن أكرمكم عند الله أتقاكم ألا هل بلغت؟ قالوا: بلى يا رسول الله قال: فليبلغ الشاهد الغائب"(١٤٨).

وعلى هذا وبصفة عامة يمكن القول يمكن القول: إن الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن الفصل والوصل؛ إما أن تكون استلزامات تخاطبية مبررة للعدول عن الوصل إلى الفصل لعدم توفر شروط الوصل، وإما أن تكون استلزامات تخاطبية مبررة للخرق.

العدول عن الوصل إلى الفصل بين الجمل يعد مؤشرا استدلاليا على وجود الاستلزام المبرر للاتحاد التام أو الانقطاع التام والذي من خلاله يتم الانتقال إلى السياق أو المقام لتحديد نوع العلاقة إن كانت علاقة اتحاد تام أو انقطاع تام؛ كالاستلزامات التخاطبية المبررة للانقطاع التام والاستلزامات التخاطبية المبررة للاتحاد التام بين الجمل، وهذا النوع من الاستلزامات لا يكون إلا من خلال الفصل بين الجمل.

الاستلزامات التخاطبية المبررة للخرق ويقصد بها الاستلزامات المبررة للفصل مع توفر شروط الوصل، أو المبررة للوصل مع عدم توفر شروط الوصل، وهذه الاستلزامات قد تنشأ من خلال العلاقة فصلا أو وصلا بين المفردات، أو بين الجمل، ولا يشترط فيها أن تكون العلاقة بين الجمل كالسابقة؛ لأنها مبنية على خرق الأصل والخرق قد يحصل مع العطف وعدمه بين المفردات، أو بين الجمل.

(١٤٨) ينظر: البيهقي، شعب الإيمان، تح/ مُحَّد السعيد بسيوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٣١٠هـ:٤/٢٨٩

الخاتمة

تبين من خلال الدراسة، وبما لا يدع مجالا للشك، أن البلاغيين العرب كانوا السباقين إلى معرفة التداولية قبل أن تعرفها الدراسات اللسانية الحديثة وإن اختلفت المسميات باختلاف الثقافات، ويتضح ذلك من خلال مؤشرات عديدة ذكرتها الدراسة في مكانها من البحث، ومن هذه المؤشرات دراستهم للأساليب التي خرجت عن مقتضى الظاهر، أو التي خرقت شروط إجرائها على الأصل، وتحليلها، والوقوف على المعاني الضمنية ووصفها من خلال آلية مقترحة قدمها السكاكي وغيره من البلاغيين للاستدلال على الخرق والانتقال منه إلى المعنى الضمني وتحديده من خلال المقام.

جرى توصيف البلاغيين للمعاني الضمنية، أو الأغراض الفرعية بصفة عامة وفق مرحلتين؛ المرحلة الأولى وفيها يتم عرض النص أو التعبير على شروط إجرائه وفق مقتضى الظاهر؛ فيستدلون من خلال ذلك على الخرق؛ المرحلة الثانية وفيها يتم الانتقال من الغرض الأساسي إلي الغرض الاستلزامي المغاير، أو المضاف للغرض الأساسي ويكون ذلك من خلال قرائن السياق والظروف المحيطة بالنص.

تعد الآلية التي اقترحها السكاكي والبلاغيون لتوصيف الأغراض البلاغية- من وجهة نظر الدراسة- أفضل من غيرها في الاستدلال على المعنى الضمني، وتوصيف الاستلزام التخاطبي للأساليب البلاغية نظرا لأنها أكثر خصوصية، وأكثر وضوحا وتحديدا؛ كونها بنيت على شروط خاصة بكل أسلوب يتم من خلالها الاستدلال على الخرق والانتقال منه إلى السياق لمعرفة الاستلزام وتتمثل هذه الآلية بالتالي:

- تحديد الشروط الأساسية للنص المدروس، والتي بمقتضاها يكون المعنى حرفيا.

- الاستدلال على الخرق في التعبير بصفته مقدمة استدلالية على وجود الاستلزام ويتم ذلك من خلال عرض النص على شروط إجرائه بحسب الأصل بغض النظر عن المقام.
- يتم الانتقال من المعنى الحرفي للجملة بواسطة الخرق إلى اكتشاف المعنى الاستلزامي وتحديده من خلال الظروف المحيطة بالنص التي منها السياق وقرائنه والمقصدية والمقام وغير ذلك من القرائن الداخلية أو الخارجية التي تساعد على اكتشاف الاستلزام وتحديده.

توصلت الدراسة من خلال توصيف الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن الخبر والإنشاء إلى أن ما يميز النسبة الخارجية للقول، واحتمالها للصدق والكذب من عدمه هو اشتمال القول في السياق على الغرض الأساسي للخبر، أي أن يكون غرض المتكلم المفهوم من خلال السياق هو إعلام المخاطب فائدة الخبر أو لازم الفائدة؛ فإن اشتمل القول على ذلك فهو خبر؛ وإلا فهو إنشاء سواء أكان القول بصيغة الخبر أو بصيغة الإنشاء.

توصلت الدراسة إلى أن للخبر خروجان عن مقتضى الظاهر على مستوى المطابقة في الغرض من إلقاء الخبر؛ الأول خروج عن مطابقة غرض المتكلم المفهوم من خلال المقام أو السياق للغرض الأساسي من الخبر؛ فينتج عنه استلزامات تخاطبية وأغراض أخرى إنشائية تستفاد من خلال السياق، والثاني خروج عن مطابقة الخبر لمقتضى حال السامع؛ فينشأ عنه استلزامات تخاطبية مقابلة تمثلت في تنزيل المخاطب منزلة غيره لظهور دلائل في حاله يستدل عليها من مقام التخاطب تنزله منزلة غيره هذا من جهة.

ومن جهة ثانية؛ فإن هناك خروقات خطابية أخرى تعتور الجملة الخبرية وينشأ عنها استلزامات تخاطبية يستدل عليها من خلال الخرق وبمعونة السياق والقرائن؛ إما على مستوى تركيب الألفاظ في الجملة، كالتقديم والتأخير والحذف والذكر والتعريف والتنكير، وإما على

مستوى تركيب الجملة مع أختها؛ كالإيجاز والإطناب، والقصر، والفصل والوصل، وكل هذه الخروقات تعد مقدمة استدلالية على وجود الاستلزام، أو المعنى الضمني في النص المدروس.

هناك شروط خاصة بكل صيغة من صيغ الانشاء الطلبي يتم من خلالها التعرف على المعنى الحرفي أو الاستلزامي للصيغة في النص قيد الدراسة؛ فإن توفرت جميع الشروط في الصيغة؛ فالمعنى حرفي، وإن فقدت الصيغة شرطا أو أكثر من شروط إجرائها؛ فهو مؤشر استدلالي على وجود استلزام خطابي أو معنى ضمني مضافا أو مغايرا للمعنى الحرفي.

يستدل على الاستلزام التخاطبي للصيغة في الإنشاء الطلبي التي فقدت شرطا من شروطا إجرائها من خلال مقام التخاطب وقرائن السياق، وليس من خلال نوع الشرط المفقود باعتبار المعنى الضمني أو الاستلزامي هو المقابل للشرط المفقود كما ذهب إلى ذلك بعض الباحثين.

خرق مبدأ المطابقة بين اللفظ والمعنى إما عن طريق زيادة اللفظ على قدر المعنى أو عن طريق نقصان اللفظ عن المعنى يعد مؤشرا استدلاليا لوجود الاستلزام يتم من خلاله الانتقال إلى السياق لتحديد الاستلزام، ومن تلك الاستلزامات؛ الاستلزامات التخاطبية للإيجاز والإطناب.

الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن الفصل والوصل؛ إما أن تكون استلزامات تخاطبية مبررة للعدول عن الوصل إلى الفصل لعدم توفر شروط الوصل، وإما أن تكون استلزامات تخاطبية مبررة للخرق.

العدول عن الوصل إلى الفصل بين الجمل يعد مؤشرا استدلاليا على وجود الاستلزام المبرر للاتحاد التام، أو الانقطاع التام، والذي من خلاله يتم الانتقال إلى السياق أو المقام لتحديد نوع العلاقة إن كانت علاقة اتحاد تام أو انقطاع تام؛ كالاستلزامات التخاطبية المبررة

للانقطاع التام والاستلزامات التخاطبية المبررة للاتحاد التام بين الجمل، وهذا النوع من الاستلزامات لا يكون إلا من خلال الفصل بين الجمل.

الاستلزامات التخاطبية المبررة للخرق يقصد بها الاستلزامات المبررة للفصل مع توفر شروط الوصل، أو المبررة للوصل مع عدم توفر شروط الوصل، وهذه النوع من الاستلزامات يعد الخرق مؤشرا استدلاليا على وجود الاستلزام ومن خلاله يتم الانتقال إلى السياق لتوصيف الاستلزام للفصل أو الوصل بين المفردات، أو بين الجمل، ولا يشترط فيها أن تكون العلاقة بين الجمل كالسابقة؛ لأن الاستلزامات مبنية على خرق الأصل والخرق قد يحصل مع العطف وعدمه بين المفردات، أو بين الجمل.

وجدت الدراسة من خلال تحليلها للأساليب البلاغية ووصف الاستلزامات التخاطبية الناتجة عنها وجدت نوعيين من الاستلزامات التخاطبية وهي:

- استلزامات تخاطبية معممة؛ لا تعتمد على السياق في اكتشافها؛ كالاستلزامات التخاطبية الناتجة عن تقديم المسند إليه في سياق النفي على الخبر الفعلي تاليا للنفي والاستلزامات التخاطبية لجملة القصر، أو الاستلزامات التخاطبية الناتجة عن قصر الصفة على الموصوف أو العكس.
- استلزامات تخاطبية مخصصة؛ تعتمد على السياق في الوصول إليها واكتشافها كالاستلزامات التخاطبية الناتجة عن التقديم والتأخير في السياقات المختلفة والاستلزامات التي تحديد نوع القصر باعتبار عموم النفي أو خصوصه أو أداة القصر والاستلزامات الخطابية للفصل والوصل والإنشاء والخبر وغيرها كما بينته الدراسة في محله.

فهرس المصادر والمراجع

م	التفاصيل
٢	ابن الأثير، المثل السائر، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٩٥م.
٣	ابن اليعقوبي، مواهب الفتاح في شرح تلخيص المفتاح، مط عيسى الحلبي وشركاؤه ط١، مط الأميرية بولاق ١٣١٨هـ.
٥	الزمخشري، اساس البلاغة، تح، عبد الرحيم محمود / دار المعرفة بيروت لبنان .
٦	الزمخشري، الكشاف، تح، عبد الرزاق المهدي، دار التراث.
٧	السبكي، عروس الأفراح شرح التلخيص، تح، هنداوي، المكتبة العصرية، بيروت، ط١، ١٤٢٣- ٢٠٠٣م
٨	الشريف الجرجاني، الحاشية على المطول، تح/ رشيد أعراضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ٢٠٠٧م.
٩	الطيب ابن عاشور، التحرير والتنوير، دار سحنون للنشر والتوزيع، ١٩٧٥م.
١٠	العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني من الوعي بالخصوصية النوعية للظاهرة إلى وضع القوانين الضابطة لها، منشورات دار الاختلاف، الرباط، ط١، هـ١٤٣٤- ٢٠١١م.
١١	العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، مشورات الاختلاف، الرباط
١٢	القزويني، كتاب الايضاح في علوم البلاغة، تح/إبراهيم شمس الدين، منشورات محمد علي بيضون، بيروت، ط١: ١٤٢٢هـ-٢٠٠٣م
	القزويني، كتاب الايضاح في علوم البلاغة، دار العلوم، بيروت، ١٩٨٩م
١٣	إبراهيم الاسفراييني، عصام الدين، الشرح المطول على التلخيص، تركية،١٢٨٤هـ
١٤	أبو الفرج الأصبهاني، الأغاني، ط٢، دار الفكر، بيروت
١٥	أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء، معاني القرآن، عالم الكتب، بيروت، ط٣، ١٤٠٣هـ / ١٩٨٣م.
١٦	أبو هلال العسكري، الصناعتين، تح، البجاوي، ومحمد أبو الفضل، المكتبة العصرية، بيروت، ١٩٨٦م.
١٧	أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح /نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م

١٨	أحمد المتوكل ، الخطاب وخصائص اللغة العربية دراسة في الوظيفة والبنية والنمط، الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف ط١ ،١٤٣١-٢٠١٠م
١٩	أحمد المتوكل ، دراسات في نحو اللغة العربية الوظيفي، دار الثقافة، الدار البيضاء، ١٩٨٦م.
٢٠	أحمد المتوكل، اللسانيات الوظيفية المقارنة دراسة في التنميط والتطور، منشورات الاختلاف، دار الأمان، الرباط، ط١، ١٤٣٣هـ-٢٠١٢م.
٢١	أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة، تح د/يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت، (د.ت).
٢٢	أحمد بن إبراهيم بن الزبير، ملاك التأويل، تح/سعيد الفلاح، دار الغرب الإسلامي ،ط١، ١٤٠٣هـ-١٩٨٣م.
	أحمد بن فارس، الصاحبي، تح، السيد أحمد صقر، مط، عيسى الحلبي، القاهرة.
٢٣	أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح/عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ.
٢٤	أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة، دار الكتب العلمية، بيروت، ط٤، ٢٠٠٢م.
٢٥	أحمد مطلوب عمر(الدكتور)، أساليب بلاغية؛ الفصاحة – البلاغة–المعاني وكالات المطبوعات الكويت ط١ ١٩٨٠م.
٢٦	أحمد مطلوب، أساليب بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت، ١٩٧٩م.
٢٧	أحمد مطلوب، مناهج بلاغية، وكالة المطبوعات، الكويت ،ط١، ١٣٩٣هـ -١٩٧٣م.
	ابراهيم بشار، الأبعاد النصية والتداولية في التراث البلاغي، رسالة دكتوراه مقدمة لقسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة محمد خضير، بسكرة، ٢٠١٥- ٢٠١٦م.
	أوستن، نظرية أفعال الكلام العامة (كيف ننجز الأشياء بالكلام) تر، عبد القادر قنيني، افريقيا الشرق، ١٩٩١م.
٢٨	باديس لهو يمل ، السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية ، مجلة المخبر ، أبحاث في اللغة الآداب ، الجزائر، جامعة بسكرة العدد التاسع ٢٠١٣م
٢٩	باديس لهويمل، السياق ومقتضى الحال في مفتاح العلوم متابعة تداولية، مجلة المخبر، أبحاث في اللغة والآداب، جامعة بسكرة، الجزائر، العدد التاسع، ٢٠١٣م.
٣٠	بدر الدين الزركشي، البرهان في علوم القرآن، تح/محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العلمية، بيروت،ط٣، ١٩٥٧م.
٣١	تمام حسان، البيان في روائع القران، دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني، عالم الكتب، القاهرة، ط١، ١٤١٣هـ-١٩٩٣م.
٣٢	تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم

	الايداع ٢-٦٦٧-٢٠١-٩٧٧
٣٣	جاك موشلر – آن ريبو، القاموس الموسوعي للتداولية، تر/ مجموعة من الباحثين، إشراف، عز الدين المجذوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ٢٠١٠م، السحب الثاني.
٣٤	جاك موشلر – آن ريبو، التداولية اليوم علم جديد في التواصل، تر/ سيف الدين دغفوس وآخرين، المنظمة العربية للترجمة، لبنان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ط١، ٢٠٠٣م.
٣٥	جلال الدين السيوطي، الإتقان في علوم القرآن، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، وزارة الشؤون الإسلامية، السعودية.
٣٦	جمال الدين بن هشام، مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب، تعليق/أبو عبد الله علي عاشور، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤٢١هـ- ٢٠٠٠م.
٣٧	خالد محمد علي، الفصل والوصل في القرآن الكريم دراسة تداولية، أطروحة دكتوراه، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة صنعاء، ٢٠١٩-٢٠٢٠
٣٨	خليفة بو جادي(الدكتور)، نحو منظور تداولي لدراسة البلاغة العربية، مشروع لربط البلاغة بالاتصال، جامعة سطيف، الجزائر، ندوة للدراسات البلاغية الواقع والمأمول، ١٤٣٢م.
٣٩	د/ باسم خيري خضير، الاستلزام الحواري في شعر أحمد مطر مقاربة تداولية في خطاب الإنسان والدولة، المؤتمر العلمي الدولي التاسع، كلية التربية، جامعة واسط.
٤٠	د/ تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب، رقم الايداع ٢-٦٦٧-٢٠١-٩٧٧.
٤١	دفة بلقاسم(الدكتورة)، التراكيب اللغوية من منظور اللسانيات التداولية، ديوان كأني أرى للشاعر عبد القادر الحصني أنموذجا، مجلة المخبر، العدد٥، مارس، ٢٠٠٩م.
٤٢	سعد الدين التفتازاني، المطول شرح تلخيص المفتاح، تح/عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
٤٣	سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، دار الفكر، ط١، ١٤٤١ه
٤٤	صابر الحباشة(الدكتور)، الحجاج في التداولية مدخل إلى الخطاب البلاغي، مجلة ثقافات، كلية الآداب، جامعة البحرين، ٢٠٠١١م.
٤٥	صلاح الدين العلائي، الفصول المفيدة في الواو المزيدة، تح/د. حسن موسى الشاعر، دار البشير – عمان؛ ط١ ، ١٩٩٠م.
٤٦	طه عبد الرحمن، التكوثر العقلي، أو اللسان والميزان، المركز الثقافي العربي، الدار

البيضاء ،ط١، ١٩٩٨م	
عباس حسن، النحو الوافي، ط١٥، دار المعارف.	
عبد المتعال الصعيدي، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،ط٧،مكتبة الآداب ومطبعته ، القاهرة.	٤٧
عبد الرحمن بن أحمد العباسي، معاهد التنصيص في شرح شواهد التلخيص، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، علم الكتب، بيروت، ١٩٤٧م.	
عبد الرحيم الأسنوي، تمهيد في تخريج الفروع على الأصول، تح/ محمد حسن هيتو، مؤسسة الرسالة، بيروت ، ١٤٠٠ه.	٤٨
عبد الفتاح لاشين(الدكتور)، المعاني في ضوء أساليب القران الكريم، المكتبة الأموية للنشر والتوزيع ،ط٤ ١٩٨٣.	٤٩
عبد القاهر الجرجاني ،دلائل الإعجاز، تح، محمد رشيد رضا وآخرون ،دار المعرفة ،بيروت، ١٤٠٢ه- ١٩٨٢م.	٥٠
عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح / محمود شاكر، مط الخانجي، مصر،(د. ت).	٥١
عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، تح، محمد التنجي ، ط١، دار الكتاب العربي، بيروت.	٥٢
عمر بن علي بن عادل الدمشقي(أبو حفص)، اللباب في علوم الكتاب، تح/الشيخ عادل أحمد عبد الموجود والشيخ علي محمد معوض، دار الكتب العلمية، بيروت / لبنان ،ط١ ١٤١٩ه -١٩٩٨م.	٥٣
فليب بلانشيه، التداولية من أوستين إلى غوفمان، تر، صابر حباشة، ط١,٢٠٠٧	٥٤
كاترين كيربرات – أوريكوني، المضمر، تر/ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، توزيع مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط١، ٢٠٠٨م.	٥٥
ليلى كادة، المكون التداولي في النظرية اللسانية العربية، ظاهرة الاستلزام التخاطبي نموذجا، أطروحة دكتوراه في علوم اللسان العربي، جامعة الحاج خضر، باتنة، كلية الآداب قسم اللغة العربية	٥٦
محمد العمري البلاغة العربية أصولها وامتداداتها، إفريقيا الشرق المغرب ،١٩٩٩م.	٥٧
محمد محمد أبو موسى، خصائص التراكيب، ط٤، مكتبة وهبة، القاهرة، ١٩٦٩م.	
محمد أبو موسى ، دلالة التراكيب، مكتبة وهبة ، عابدين ، ط ٢ ، ١٤٠٨ه – ١٩٨٧م.	٥٨
محمد بن محمد العمادي (أبو السعود)، تفسير أبي السعود المسمى إرشاد العقل السليم، دار	٥٩

	إحياء التراث العربي، بيروت.
٦٠	محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، القاهرة.
٦١	محمد عرفة الدسوقي(الشيخ)، الحاشية على شرح التفتازاني على متن التلخيص، تص/محمد قطة العدوي، المطبعة العامرية، بولاق، مصر (د.ت)
٦٢	محمد محمد يونس(الدكتور)، المعنى وظلال المعنى أنظمة الدلالة في العربية، دار المدار الإسلامي، بيروت، ط٢، ٢٠٠٧م.
٦٣	محمد محمد يونس(الدكتور)، علم التخاطب الإسلامي دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النص، دار المدار الإسلامي، ط١، ٢٠٠٦م.
٦٥	محمد يزيد سالم، الاستلزام التخاطبي في ضوء المقاربة الوظيفية، مجلة اللسانيات، العدد٢٤، جامعة محمد خيضر، الجزائر
٦٦	محمود الألوسي(أبو الفضل)، روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، دار إحياء التراث العربي – بيروت(د.ت).
٦٧	محمود نحلة(الدكتور)، أفاق في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية ، مصر، ٢٠٠٢م.
٦٨	محي الدين الدرويش، إعراب القرآن وبيانه، مط دار اليمامة، ودار ابن كثير، دمشق، بيروت.
٦٩	مسعود صحراوي(الدكتور)، التداولية عند العرب، مط، دار الطليعة، بيروت، ط، ٢٠٠٥م.
٧٠	يحيى بن حمزة اليمني، كتاب الطراز، كتاب الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، مكتبة المعارف، الرياض، الناشر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٠– ١٩٨٠م.

فهرس الشواهد القرآنية

السورة	الشاهد	الصفحة
الفاتحة	" إياك نعبد وإياك نستعين" (الفاتحة: ٥)	٩٢، ١٣١
البقرة	وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاَثَةَ قُرُوء " (البقرة: ٢٢٨)	٣٦، ٤٦
	وَالْوَالِدَاتُ يُرْضِعْنَ أَوْلاَدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ " (البقرة: ٢٣٣)	٤٦
	الم ذلك الكتاب لا ريب فيه" (البقرة: ١)	٥٣
	إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم "(البقرة)	٥٣، ١٨٤
	" وبالوالدين إحسانا" (البقرة: ٨٣).	٥٥، ١٨١
	وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض " (البقرة: ١٨٧).	٥٩
	فأتوا بسورة من مثله" (البقرة: ٢٣)	٦١
	فكتبوه وليكتب بينكم كاتب بالعدل" (البقرة: ٢٨٢)	٦٢
	واستشهدوا شهيدين من رجالكم"(البقرة: ٢٨٢)	٦٢
	ولا يأبى كاتب أن يكتب كما علمه الله"(البقرة: ٢٨٢)	٦٨
	" الحر بالحر والعبد بالعبد" (البقرة: ١٧٨)	٩٦
	" ولكم في القصاص حياة " (البقرة: ١٧٩)	١٠٢، ١٣٨
	" وعلى أبصارهم غشاوة"(البقرة– ٧).	١٠٣
	ولتجدنهم أحرص الناس على حياة" (البقرة– ٩٦).	١٠٣
	وإذا لقوا الذين آمنوا قالوا آمنا "(البقرة: ١٤)	١٢٠
	" الذين يؤمنون بالغيب" (البقرة: ٣)	١٣٢
	اضرب بعصاك الحجر فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا" (البقرة: ٦٠)	١٣٧
	فَمَن جَآءَهُ مَوْعِظَةٌ مِّنْ رَّبِّهِ فَانتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ " (البقرة: ٢٧٥)	١٣٩
	وأتى المال على حبه ذوى القربى واليتامى " (البقرة: ١٧٧).	١٤٩
	" حافظوا على الصلاة والصلاة الوسطى" (البقرة: ٢٣٧).	١٥٣
	" من كان عدوا لله وملائكته ورسله وجبريل وميكال"(البقرة:٩٨).	١٥٣
	" إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ " (البقرة : ١٧٣).	١٧٦
	"واتقوا الله ويعلمكم الله" (البقرة: ٢٨٢).	١٩٢

آل عمـــــران	قالت رب إني وضعتها أنثى " (آل عمران: ٣٦).	٤١
	رب إني نذرت لك ما في بطني محررا" (آل عمران: ٣٦)	٤٥، ١٥١
	قل موتوا بغيظكم " (آل عمران: ١١٩).	٦٥
	قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين" (آل عمران: ٩٣)	٦٦
	ربنا لا تزغ قلوبنا بعد إذ هديتنا " (آل عمران: ٨).	٦٨
	وقل للذين أوتوا الكتاب والأميين أأسلمتم" (آل عمران: ٢٠).	٧٤
	لمغفرة من لله ورحمة خير مما يجمعون "(آل عمران- ١٥٧).	١٠٥
	"بيدك الخير" (آل عمران: ٢٦).	١٣٢
	ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير "(آل عمران: ١٠٤).	١٥٣
	إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ "(آل عمران: ٥٩).	١٥٩
	قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء" (آل عمران: ٢٦).	١٣٣، ١٦١
	" وَمَا مَحمَّدٌ إلاَّ رَسُولٌ " (آل عمران : ١٤٤).	١٦٧، ١٧٥

	أفإن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم " (آل عمران: ١٤٤)	١٦٧
النساء	من بعد وصية يوصى بها أو دين" (النساء: ١١)	٩٥
	إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ " (النساء: ١٧٠)	١٦٧
	يا نساء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النساء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى في قَلْبِهِ مَرَضٌ" (الأحزاب: ٣٢).	١٩٥
المائـــــــــــدة	يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم "(المائدة: ١٠٥)	٥٧
	يأيها الذين آمنوا لا تسألوا عن أشياء إن تبدى لكم تسوؤكم "(المائدة: ١٠١).	٦٩
	إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن دين الله فهل أنتم منتهون " (المائدة: ٩١).	٧٥
	فلا تخشوا الناس" (المائدة: ٤٤).	٧٥
	وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله " (المائدة: ١١٦).	٧٦
	تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب" (المائدة: ١١٦).	٧٦
	وقد دخلوا بالكفر وهم قد خرجوا به " (المائدة: ٦١).	٨٦

	فانظري ماذا ترين" (الأنعام: ١٥٠).	٦٦
	أغير الله أتخذ وليا " (الأنعام: ١٦٦)	٩٢
	وجعلوا لله شركاء الجن" (الأنعام، ١٠٠).	٩٣
	ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم" (الأنعام– ١٥)	٩٧
	قُلْ آلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الأُنْثَيَيْنِ " (الأنعام: ١٤٣).	١٠٠
	وله ما سكن في الليل والنهار" (الأنعام: ١٣).	١٣١
	وَلَوْ تَرَى إِذْ وُقِفُواْ عَلَى النَّارِ فَقَالُواْ يا لَيْتَنَا نُرَدُّ " (الأنعام: ٢٧).	١٣٤
الأنعــام	من يشاء الله يضلله ومن يشاء يجعله على صراط مستقيم" (الأنعام: ٣٩).	١٣٥
	حرمت عليكم الميتة" (الأنعام: ٣).	١٣٦
	وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ آزَرَ أتتَّخذ أصناماً آلهة" (الأنعام: ٧٤).	١٤٤
	يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين " (الأنعام: ٢٥، ٢٦).	١٧٢
	إن أتبع إلا ما يوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير " (الأنعام: ٥٠).	١٧٣
	وعنده مفاتح الغيب "(الأنعام: ٥٠).	١٧٨
	وَإِذَا جَاءتْهُمْ آيَةٌ قَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللّهِ اللّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ" (الأنعام: ١٢٤).	١٨٦
الأعراف	أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين" (الأعراف: ٨٠).	٧٧
	وكم من قرية أهلكناها " (الأعراف: ١٤).	٧٩

	أإن لنا لأجر إن كنا نحن الغالبون" (الأعراف-١١٣).	١٠٥
	سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون " (الأعراف: ١٩٣).	١١٩
	خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِض عَنِ الْجَاهِلِينَ " (الأعراف: ١٩٩)	١٣٨
	وَالَّـذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَـابِ وَأَقَـامُواْ الصـلاة إِنَّـا لاَ نُضِـيعُ أَجْـرَ الْمُصْـلِحِينَ" (الأعراف: ١٧٠)	١٥٦
	قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا " (الأعراف: ١٣)	١٩٠
الأنفال	وَيُرِيدُ اللَّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ" (الأنفال: ٧)	١٣٧
	ليحق الحق ويبطل الباطل" (الأنفال: ٨)	١٣٧
التوبة	فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا" (التوبة: ٨٢)	٦٥
	أتخشونهم فالله أحق أن تخشوه" (التوبة: ١٣)	٧٥
	ومن أهل المدينة مردوا على النفاق لا تعلمونهم الله يعلمهم " (التوبة:١٠١).	٨٨
يونس	القوا ما أنتم ملقون" (يونس: ٨٠).	٦٤
	قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراما وحلال قل آلله أذن لكم".(يونس:٥٩)	٩٩

	قَالَ الَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ لِقَاءنَا ائْتِ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِن تِلْقَاء نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ " (يونس: ١٥).	١٣١
	قَالَ مُوسَى أَتقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءكُمْ أَسِحْرٌ هَذَا " (يونس: ٧٧).	١٨٧
هود	واصنع الفلك بأعيننا ووحينا " (هود: ٣٧).	٥٧
	قالت يا ويلتي أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخا إن هذا لشيء عجيب"(هود: ٧٢)	٧٢
	قالوا يا شعيب أصلاتك تأمرك أن نترك ما يعبد آباؤنا " (هود: ٨٧).	٧٨
	وما أنت علينا بعزيز" (هود-٩١).	٨٥
	ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاما قال سلام" (هود: ٦٩)	١٢٠
يوسف	وراودته التي هو في بيتها عن نفسه وغلقت الأبواب" (يوسف٢٣).	١٠٧
	قالت فذلكن الذي لمتتني فيه ولقد راودته عن نفسه "(يوسف- ٢٣).	١١٠
	وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ" (يوسف: ١٦).	١٢١
يوسف	أنا أنبئكم بتأويله فأرسلون، يوسف أيها الصديق" (يوسف:٤٥).	١٣٧
	إن النفس لأمارة بالسوء"(يوسف:٥٣)	١٤٥، ١٦١، ١٨٣
	تالله- لقد علمتم- ما جئنا لنفسد في الأرض"(يوسف: ٧٣).	١٤٩
	إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين" (يوسف: ٩٠).	١٥٧
	قال ما خطبكن إذ راودتن يوسف عن نفسه قلن حاش لله ما علمنا عليه من سوء" (يوسف: ٥١).	١٨٦

السورة	الآية	الصفحة
الرعد	يمحو الله ما يشاء ويثبت، وعنده أم الكتاب " (الرعد: ٣٩).	١١٧
	إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ" (الرعد : ٧)	١٦٤
	إنما يتذكر أولى الألباب" (الرعد: ١٩).	١٦٦
ابراهيم	قل تمتعوا فإن مصيركم إلى النار " (إبراهيم: ٣٠).	٦٢
	قَالُواْ إِنْ أَنتُمْ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا " (ابراهيم: ١٠).	١٧٣
الحجر	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ" (الحجر: ٤٦).	٦٦
	فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " (الحجر: ٩٤)	١٣٨
	وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع مصبحين" (الحجر: ٦٦).	١٤٥
النحل	"فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا" (النحل: ١١٤).	٦٦
	واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئا وهم يخلقون" (النحل-٢٠)	٨٧
	إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَآءِ ذي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ والبغي " (النحل: ٩٠).	١٣٩
النحل	فخرَّ عليهم السقف من فوقهم " (النحل: ٢٦).	١٤٤
	ويجعلون لله البنات -سبحانه – ولهم ما يشتهون"(النحل: ٥٧).	١٥٠
الإسراء	قل لو أنتم تملكون خزائن رحمة ربك إذا لأمسكتم " (الإسراء : ١٠٠)	٥٠
	إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ " (الإسراء: ٩).	٥٥
	ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن" (الإسراء: ٣٤).	٦٧
	ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم" (الإسراء: ٣١).	٩٧
	أفأصفاكم ربكم بالبنين واتخذ من الملائكة إناثا "(الإسراء-٤٠).	٩٩

السورة	الآية	الصفحة
	وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحه" (الاسراء: ٤٤).	١١١٧
	إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم"(الإسراء- ٩).	١٣٣
	وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا"(الإسراء: ٨١).	١٥٤
	قَالَ أَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا قَالَ أَرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ" (الإسراء: ٦١، ٦٢).	١٨٩
الكهف	وتحسبهم أيقاظا وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد "(الكهف ١٨).	١١٨
	وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم " (الكهف: ١٧).	١١٩
	"فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر"(الكهف: ٢٩)	١٣٥
	وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا" (الكهف: ٧٩).	١٣٦
	حتى إذا أتيا أهل قرية استطعما أهلها" (الكهف: ٧٧).	١٦٠
مريم	رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا" (مريم: ٤).	٤٣
	اسمع بهم وأصبر يوم يأتوننا " (مريم: ٣٨).	٦٥
	واشتعل الرأس شيبا" (مريم: ٤).	٩٥
	قال يا أبتي إني أخاف أن يمسك عذاب من الرحمن " (مريم-٤٥).	١٠٤
طه	رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة عن لساني يفقهوا قولي وأجعل لي وزيرا من أهلي " (طه: ٢٥، ٢٦، ٢٧).	٥٩

	فاقضي ما أنت قاض" (طه: ٧٢).	٦٤
	قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي " (طه: ٩٤).	٦٨
	وما تلك بيمينك يا موسى" (طه: ١٧).	٧٩
	فغشيهم من اليم ما غشيهم" (طه: ٧٨).	١١٨
	فقبضت قبضة من أثر الرسول" (طه: ٩٦).	١٣٧
	فوسوس إليه الشيطان قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد " (طه: ١٢٠).	١٤٦,١٨١
الأنبياء	أأنت فعلت هذا بآلهتنا يا إبراهيم" (الأنبياء: ٦٢)	٧٧، ٩٩
	قال بل فعله كبيرهم هذا فاسألوهم إن كانوا ينطقون" (الأنبياء: ٦٣).	٧٧
	وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد أفإن مت فهم الخالدون كل نفس ذائقة الموت " (الأنبياء: ٣٤، ٣٥).	١٥٦
	قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ" (الأنبياء: ٥٩، ٦٠).	١٩٠
الحج	الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَاتٌ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ الْحَجَّ فَلاَ رَفَثَ وَلاَ فُسُوقَ وَلاَ جِدَالَ فِي الْحَجِّ " (الحج: ١٩٧).	٤٦
	إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ادْخُلُوهَا بِسَلامٍ آمِنِينَ" (الحجر: ٤٦).	٦٦
	الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس" (الحج: ٧٥).	٩٦
	فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ " (الحجر: ٩٤)	١٣٨
	وقضينا إليه ذلك الأمر أن دابر هؤلاء مقطوع " (الحجر: ٦٦).	١٤٥
المؤمنون	ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون" (المؤمنون: ٣٧)	٥٢

النور	والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع" (النور: ٤٥).	٩٦
	إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُمْ مَّا لَّيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّناً وَهُوَ عِندَ اللَّهِ عَظِيمٌ" **(النور: ١٤)**.	١٤٣
	لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنين والمؤمنات بأنفسهم خيرا " (النور: ١٢).	١٥٩
الفرقان	أهذا الذي بعث الله رسولا"(الفرقان: ٤١).	٧٧
	وأنزلنا من السماء ماء طهورا لنحي به بلدة ميتا ونسقيه مما خلقنا أنعاما وأناساي كثيرا" (الفرقان: ٤٨، ٤٩)	٩٦
	وقال الظالمون إن تتبعون إلا رجلا مسحورا " (الفرقان: ٨).	١٦٠
الشعراء	وإن ربك لهو العزيز الرحيم " (الشعراء: ١٤٠)	٥٣
	أتأتون الذكران من العالمين" (الشعراء: ١٦٥)	٧٧
	فيأتيهم بغتة وهم لا يشعرون"(الشعراء: ٢٠٢)	٩٨
	وإنهم لنا لغائظون"(الشعراء: ٥٥).	٩٢
	أتبنون بكل ريع آية تعبثون " (الشعراء: ١٢٨، ١٢٩).	٩٨
	هل أنبئكم على من تنزل الشياطين ۞ تنزل على كل أفَّاك أثيم يلقون السمع وأكثرهم كاذبون" (الشعراء: ٢٢١– ٢٢٣).	١٢١
	قالوا لا ضير إنَّا إلى ربنا لمنقلبون ۞ إنَّا نطمع أن يغفر لنا ربنا خطايانا أنْ كنَّا أوَّل المؤمنين" (الشعراء: ٥٠، ٥١).	١٥٩
	واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون أمدكم بأنعام وبنين " (الشعراء: ١٣٢– ١٣٤).	١٨٢

النمل	قال ما لي لا أرى الهدهد" (النمل: ٢٠).	٧٣
	وقال لَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاؤُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ لَقَدْ وُعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِن قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ" (النمل: ٦٧، ٦٨)	١١٣
	يَا مُوسَى إِنَّهُ أَنَا اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ وَأَلْقِ عَصَاكَ" (النمل: ٨، ٩)	١٩١
القصص	وجاء رجل من أقصى المدينة يسعى قال يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك فاخرج إني لك من الناصحين"(القصص:٢٠).	٩٨، ١٠٢
	ولَمَّا وَرَدَ ماءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمّةً مِنَ النّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرأَتَيْن تَذُودانِ قالَ ما خَطْبُكما قالَتَا لا نَسْقي حَتّى يُصدِرَ الرِّعاءُ وأبُونا شَيْخٌ كبير فَسَقى لَهُما ثُم تَوَلى إلى الظِّلِّ" (القصص: ٢٣).	١٣٠
	وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَا إِلَى مُوسَى الأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُوناً فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ وَمَا كُنْتَ ثَاوِياً فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ " (القصص: ٤٤، ٤٥).	١٨٢
العنكبوت	أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُه" (العنكبوت: ١٩)	١٩٢
لقمان	كأن لم يسمعها كأن في أذنييه وقرا" (لقمان: ٧).	١٨٣
الأحزاب	تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت" (الأحزاب: ١٩)	١٣٧
	وامرأة مؤمنة إن وهبت نفسها للنبي " (الأحزاب: ٥٠).	١٦١
	يا نساء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النساء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِى في قَلْبِهِ مَرَضٌ" (الأحزاب: ٣٢).	١٩٥

السورة	الآية	الصفحة
سبأ	ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازي إلا الكفور"(سبأ: ١٧).	١٥٥
فاطر	فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق في الخيرات"(فاطر: ٣٢)	٩٧
	فإن كذبوك فقد كذبت رسل من قبلك" (فاطر-٤)	١٠٥
	يا أيها الناس اذكروا نعمة الله عليكم هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والأرض لا إله إلا هو فأنى تؤفكون " (فاطر: ٣).	١١٧
	إنما يخشى الله من عباده العلماء" (فاطر : ٢٨).	١٦٦، ١٧٥
	يا أَيُّهَا النَّاسُ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنْ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ" (فاطر: ٣).	١٨٦
يس	وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال يا قوم اتبعوا المرسلين " (يس:٢٠)	٩٨
الصافات	فانظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه" (الصافات: ١٠٢)	٦٧
	لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون"(الصافات 47).	١٧٨
	وحفظا من كل شيطان مارد لا يسمعون إلى الملأ الأعلى ويقذفون من كل جانب" (الصافات: ٧، ٨).	١٨٤
ص	إنا سخَّرنا الجبال معه يسبحن بالعشي والإشراق" (ص:١٨).	١١٧
	بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم وقال الكافرون هذا ساحر كذاب" (ص: ٤).	١٥٨
الزمر	وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ " (الزمر: ٣٨)	٥١
	إنك ميت وإنهم ميتون" (الزمر: ٣٠).	٥٢

	قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ والّذينَ لا يَعْلَمُونَ" (الزمر : ٩)	١٢٨
	حَتَّى إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ " (الزمر: ٧٣).	١٣٤
غافر	وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه أتقتلون رجلا يقول ربي الله " (غافر: ٣٨).	٩٣
	يا قوم اتبعوني أهدكم سبيل الرشاد يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع"(غافر: ٣٨، ٣٩).	١٤٧
فصلت	اعملوا ما شئتم إنه بما تعملون بصير"(فصلت: ٤٠).	٦٣
	وليل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة" (فصلت: ٦,٧).	١٤٥
الشورى	وإنك لتهدي إلى صرط مستقيم صراط الله" (الشورى: ٥٢، ٥٣).	١٣٤
	فإن يشأ يختم على قلبك ويمحو الله الباطل" (الشورى: ٢٤).	١٦١
الدخان	ذق إنك أنت العزيز الكريم" (الدخان: ٤٩).	٦٣
	ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون أنى لهم الذكرى وقد جاءهم رسول مبين " (الدخان: ١٢، ١٣)	٧٤
ق	ونعلم ما توسوس به نفسه"(ق:١٦)	١٤٦
الطور	اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم " (الطور: ١٦).	٦٠
النجم	أم لم ينبأ بما صحف موسى وإبراهيم الذي وفى" (النجم: ٣٦، ٣٧).	٩٤

السورة	الآية	الصفحة
الواقعة	وإنه لقسم – لو تعلمون –عظيم" (الواقعة: ٧٦)	١٥٠
الحديد	إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضاً حَسَناً " (الحديد:١٨).	١٩٢
الصف	هل أدلكم على تجارة تنجيكم من عذاب أليم" (الصف: ٢٠)	١٧٥
الجمعة	فإذا قضيت الصلاة فانتشروا " (الجمعة: ١٠).	٦٠
	فانتشروا في الأرض" (الجمعة: ١٠).	٦٤
الطلاق	لينفق ذو سعة من سعته " (الطلاق: ٧)	٦١
الملك	أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ فَوْقَهُمْ صَافَّاتٍ وَيَقْبِضْنَ " (الملك: ١٩).	١١٨
الحاقة	الحاقة ما الحاقة وما أدراك ما الحاقة" (الحاقة: ١، ٢).	١٤٧
نوح	رب اغفر لي ولوالدي ولمن دخل بيتي مؤمنا وللمؤمنين والمؤمنات" **(نوح: ٢٨)**.	١٥٤
المدثر	فقتل كيف قدر ثم قتل كيف قدر"(المدثر: ١٩، ٢٠).	١٤٧
الإنسان	إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا " (الإنسان: ٢)	٥١

	" إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا " (الإنسان: ٢٣)	٥١
المرسلات	ألم نهلك الأولين" (المرسلات: ١٦)	٧٨
	كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ " (المرسلات: ١٨)	٧٩
النازعات	هل أتاك حديث موسى إذ ناداه ربه بالوادي المقدس طوى"(النازعات: ١٥)	٧٦
	أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا " (النازعات: ٣٣)	١٣٩
الأعلى	" إن هذا لفي الصحف الأولى صحف إبراهيم وموسى" (الأعلى: ١٨، ١٩)	٩٥
الفجـــر	والفجر وليال عشر والشفع والوتر والليل إذا يسر هل في ذلك قسم لذي حجر أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ "(الفجر: ١-١٤)	١٣٣
الضحى	أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَى وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى " (الضحى: ٦-٨).	١٣٣
الشرح	والضحى والليل إذا سجى ما ودعك ربك وما قلى "(الضحى: ١، ٢)	١٣٤
	فإن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا"(الشرح:٥، ٦).	١٤٧
القدر	تنزل الملائكة والروح فيها" (القدر: ٤).	١٥٣
التكاثر	كلا سوف تعلمون ثم كلا سوف تعلمون "(التكاثر: ٣، ٤).	١٤٦
الماعون	أرأيت الذي يكذب بالدين فذلك الذي يدع اليتيم "(الماعون١،٢)	١١٠

فهرس الشواهد الشعرية

٢٣	وغيري يأكل المعروف سحتا ويشحب عنده بيض الأيادي	٨٩
٢٤	قد أصبحت أم الخيار تدعي علي ذنب كله لم أصنع	٨٩
٢٥	ما كل ما يتمنى المرء يدركه تأتي الرياح بما لا تشتهي السفن	٩٠
٢٦	ما كل رأي الفتى يدعوا إلى رشد إذا بدا لك رأي مشكل فقف.	٩٠
٢٧	له همم لا منتهى لكبارها وهمته الصغرى أجل من الدهر	٩١
٢٨	ثلاثة تشرق الدنيا ببهجتها شمس الضحى وأبو إسحاق والقمر	٩١
٢٩	له حاجب ن كل أمر يشينه وليس له عن طالب العرف حاجب	١٠٤
٣٠	فإن كنتُ قد قلتُ الذي قد زعمتمُ فَلا رَفَعَتْ سَوْطي إليّ أنامِلي وإنّ الذي قدْ قيلَ ليسَ بلائطٍ بها الدهرَ بل قولُ امرئ بيَ ماحلِ	١٠٧
٣١	إن الذين ترونهم إخوانكم يشفي غليل صدورهم أن تصدعوا.	١٠٨
٣٢	لا تُخْدَعَنّ عنِ التي جُعِلَتْ سُقْمَ الصَحيحِ ، وصِحّةَ السُّقْمِ	١٢٠
٣٣	ولِلأَحِبَّةِ أَيَّامٌ تَذَكَّرُها ولِلنَّوَى قبلَ يومِ البَيْنِ تأْوِيلُ إِنَّ الَّتِي ضَرَبتْ بَيْتاً مُهاجِرَةً بكُوفةِ الجُنْدِ غَالَتْ وُدَّها غُولُ	١٢٠
٣٤	هذا ابنُ فاطمةَ إنْ كُنتَ جاهِلَهُ بجَدِّهِ أَنْبِياءُ اللهِ قد خُتِمُوا	١١١
٣٥	أبِيتُ كأنّي بين شِقَّيْنِ مِنْ عَصاً حذَارَ الرَّدَى أو خِيفةً من زِيالِكِ تَعَالَلْتِ كي أشجَى وما بِكِ عِلَّة تُريدينَ قَتْلِي قد ظَفِرْتِ بذلكِ	١١١
٣٦	ودع كل صوت دون صوتي فإنني أنا الصائح المحكي والآخر الصدى	١١٣
٣٧	هو الواهب المائة المصفاة إما مخاضا وإما عشارا	١١٤
٣٨	إذا قبح البكاء على قتيل رأيت بكاءك الحسن الجميلا	١١٤
٣٩	وإن سنام المجد من آل هاشم بنو بنت مروان ووالدك العبد	١١٤
٤٠	هو الرجل المشروك في جل ماله ولكنه في المجد والحمد مفردا	١١٤
٤١	أنا الرجل المدعو عاشق فقره إذا لم تكارمني صروف زماني	١١٥
٤٢	أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثت إلي عريفهم يتوسم؟	١١٨
٤٣	إنا إذا اجتمعت يوما دراهمنا ظلت إلى طرق الخيرات تستبق	١١٩

	لا يألف الدرهم المضروب صرتنا لكن يمر عليها وهو منطلق	
٤٤	شَجْوُ حُسَّادِهِ وغيظُ عِداهُ أن يَرى مُبْصِرٌ ويَسْمَعَ وَاعِ	١١٩
٤٥	فلوْ أن قَوْمي أَنْطَقَتني رِماحُهُمْ نَطَقْتُ ولكنَّ الرِّماحَ أجرَّتِ	١١٩
٤٦	لو شئت لم تفسد سماحة حاتم كرما ولم تهدم مآثر خالد	١٣٦
٤٧	ولو شئت أن أبكي دما لبكيته عليه ولكن ساحة الصبر أوسع	١٣٦
٤٨	ذكرت أخي فعاودني صداع الرأس والوصب	١٤٢
٤٩	فتنفست في البيت إذ مزجت بالماء واستلت سنا اللهب كتنفس الريحان خالطه من ورد جور ناضر الشعب	١٤٢
٥٠	سقى الله نجدا والسلام على نجد ويا حبذا نجد على القرب والبعد نظرتُ إلى نجدٍ وبغدادُ دونها لعلي أرى نجداً وهيهاتَ من نجدِ	١٤٨
٥١	فيا قبر معن أنت أول حفرة من الأرض حطت للسماحة موضعا و يا قبر معن كيف واريت جوده وقد كان منه البر والبحر مترعا	١٤٨
٥٢	من يلق يوما على علاته هرما يلق السماحة منه والندى خلقا	١٤٨
٥٣	فسقى ديارك –غير مفسدها– صوب الغمام وديمة تهمي.	١٥٠
٥٤	إن الثمانين –وبلغتها– قد أحوجت سمعي إلى ترجمان.	١٥١
٥٥	وإن صخرا لتأتم الهداة به كأنه علم في رأسه نار.	١٥٢
٥٦	ولست بمستبق أخا لا تلومه على شعث أي الرجال المهذب.	١٥٥
٥٧	كَمْ عَاقِلٍ عَاقِلٍ أَعْيَتْ مَذَاهِبُهُ وَجَاهِلٍ جَاهِلٍ تَلْقَاهُ مَرْزُوقاً هَذَا الَّذِي تَرَكَ الأَوْهَامَ حَائِرَةً وَصَيَّرَ الْعَالِمَ النَّحْرِيرَ زِنْدِيقَا	١٥٨
٥٨	إنما الأمم الأخلاق ما بقيت فإن هم ذهبت أخلاقهم ذهبوا	١٧٠
٥٩	لا يطردُ الهمَّ إلاَّ الهمُّ من رجلٍ مُقَلْقِلٍ لِبَنَاتِ القَفْرَةِ النُّعُبِ	١٧٠
٦٠	وما أنا إلا من غزية إن غوت غويت وإن ترشد غزية أرشد	١٧٣
٦١	أنا الذائد الحامي الذمار وإنما يدافع عن أحسابهم أنا أو مثلي	١٧٦
٦٢	يهتز عطفاه عند الحمد يسمعه من هزة المجد لا من هزة الطرب.	١٧٧
٦٣	ليس التعجب من مواهب ماله بل من سلامتها إلى أوقاتها	١٧٧

٦٤	وما شاب رأسي من سنين تتابعت علي ولكن شيبتني الوقائع	١٧٧
٦٥	وتَظُنُّ سَلْمَى أَنَّنِي أَبْغِي بِهَا بَدَلاً أُرَاهَا في الضَّلاَلِ تُهِيمُ	١٨٣

فهرس الموضوعات